بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد بن عبد الله بن محمد الجلواني كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٩/١/١٤٢٠هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د. محمد بن ناصر الحمد	الاسم : د. محمد حسان كبيه	الاسم : أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

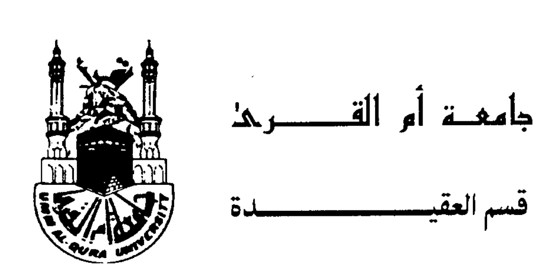
رئيس قسم العقيدة

الاسم : د / عبد الله القرني

التوقيع : ١٤٢٠/١/٢٩

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

جامعة أم القرى
قسم العقيدة



كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا

القاضي أبو السعود
وآراؤه الاعتقادية
عرض ونقد

إعداد الطالب :
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ الْحَلَوَانِي

إشراف الدكتور :
أَحْمَدَ بْنِ نَاصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَمَد

رِسَالَةٌ عِلْمِيَّةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاه فِي الْعَقِيدَةِ

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المبحث الثاني

الرؤيـــــة

إن مسألة رؤية الله عزّ وجلّ ذات شقّين اثنين :

رؤيتـــه تعالى في الدنيا .

ورؤيته تعالى في الآخرة .

وسنرى إنْ شاء الله تعالى من خلال العرض الآتي موقف أبي السعود من هاتين المسألتين .

العـــرض :

قال أبو السعود في تفسير قوله تعـــالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] :

« قال رب أرني أنظر إليك ، أي : أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك ، أو تتجلّى لي فأنظر إليك وأراك ، وهو دليل على أنّ رؤيته تعالى جائزة في الجملة ، لما أن طلب المستحيل مستحيل من الأنبياء لاسيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى ، ولذلك ردّه بقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ دون لن أُرى ،

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٣) .

ولن أريك ، ولن تنظر إلي ؛ تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ، ولم يوجد فيه ذلك بعد ، وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[1] خطأ ؛ إذْ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أنْ يجهّلهم ويزيح شبهتهم ، كما فعل ذلك حين قالوا : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً ﴾[2] ، وألاّ يتّبع سبيلهم ، كما قال لأخيه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3] ، والاستدلال بالجواب على استحالتها أشدّ خطأ ، إذْ لا يدلّ الإخبار بعدم رؤيته إيّاه على أنّه لا يراه أبداً ، وألاّ يراه غيره أصلاً فضلاً عنْ أنْ يدلّ على استحالتها ، ودعوى الضّرورة مكابرة أو جهل لحقيقة الرُّؤية ...

﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ : استدراك لبيان أنه لا يطيق بها[4] ، وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضاً دليل على الجواز ضرورة أنّ المعلّق بالممكن ممكن »[5] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[6] :

«ومعنى كونها ناظرة إلى ربها : أنها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله ، بحيث تغفل عما سواه ، وتشاهده تعالى بلا كيفٍ ، ولا على جهةٍ ، وليس هذا في جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره ، وقيل : منتظرة

---

(١) سورة النساء ، الآية : (١٥٣) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٣٨) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٢) .

(٤) كذا ، ولعلّها :«لا يطيقها».

(٥) إرشاد العقل السليم : (٣/٢٦٩) ، وهذا النصّ بتمامه نقله أبو السعود بتصرف يسير من تفسير البيضاوي : (١/٣٥٨ ، ٣٥٩) .

(٦) سورة القيامة ، الآيتان : (٢٢ ، ٢٣) .

إنعـامه ، وردّ بأنَّ الانتظار لا يُسنـد إلى الوجه ، وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر ، وأنَّ المستعمل بمعناه لا يعدى بإلى »[1] .

وقال في تفسير قوله تعـالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ ﴾[2] :

« البصر حاسَّة النَّظر ، وقد تُطلق على العين من حيث إنها محلّها ، وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به ، أي : لا تصل إليه إلا بعد الإبصار، ولا تحيط به ، كما قال سعيد بن المسيب[3] ، وقال عطاء[4] : كلّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به . فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الإطلاق ، وقد روي عن ابن عباس ومقاتل[5] رضي الله عنهم : لا تدركه الأبصار في الدنيا ، وهو يُرى في الآخرة »[6] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٦٧/٩) ، وانظر تفسير البيضاوي : (٥٤٩/١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١٠٣) .

(٣) تقدمت ترجمته في ص : (٢٦٨) .

(٤) هو عطاء بن أبي رباح ، واسم أبي رباح : أَسْلَم ، أبو محمد القرشي مولاهم المكي ، الإمام شيخ الإسلام ، مفتي الحرم ، أدرك كثيراً من الصحابة وروى عنهم . مات سنة ١١٤ هـ على المشهور . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٤٦٧/٥) ، وتهذيب الكمال : (٦٩/٢٠) ، وسير أعلام النبلاء : (٧٨/٥) .

(٥) هو مُقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البَلْخي ، من أعلام المفسرين . مات سنة ١٥٠ هـ . انظر تهذيب الكمال : (٤٣٤/٢٨) ، وسير أعلام النبلاء : (٢٠١/٧) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (١٧٠/٣) ، وانظر تفسير البيضاوي : (٣١٥/١) ، وفيه قوله : « واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية ، وهو ضعيف ؛ إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ، ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات ، فلعلّه مخصوص ببعض الحالات ، ولا في الأشخاص فإنه في قوة قولنا : لا كلّ بَصَرٍ يدركه ، مع أنّ النفي لا يوجب الامتناع » .

النقــد :

ذكر أبو السعود في هذه المسألة أنّ رؤيته تعالى في الدنيا جائزة في الجملة ، وأنها ليست ممتنعة ولا مستحيلة ؛ لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال .

وأثبت رؤيتــه تعـالى في الآخرة ، ونقـل كلام البيضـاوي في معنى كون الوجـوه ناظـرة إلى ربهـا : أنهـا تراه تعـالى مستغرقــة في مطالعــة جمـاله ، بحيث تغفل عما سواه ، وتشاهده تعالى بلا كيفٍ ، ولا على جهةٍ .

وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدِّين على تتابع القرون[1] .

وهذه المسألة مِن أشرف مسائل أصــول الدِّين وأجلّها ، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وحُرِمَها الذين هم عن ربِّهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون [2] .

وقد دلّ على إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة بأبصارهم : القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث .

وقالوا بأنّ الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصــار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما تُرى الشمس في الظهيرة[3] .

---

(١) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ص : (١٠٠) ، والشريعة للآجري ص : (٢٥٢) ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : (٦/٤٨٥) ، وحادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص : (٢٦٧) .

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز : (١/٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٣) بتصرف من حادي الأرواح ص : (٣١٩) .

ومن أدلة القرآن الكريم على إثبات الرؤية ما ذكره أبو السعود :

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

والاستدلال بهذه الآية الكريمة على جواز الرؤية من عدّة أوجه :

الوجه الأول : أنّ موسى عليه السلام طلب الرؤية ، وهذا دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة ؛ لأنّ طلب المستحيل محالٌ من الأنبياء لاسيّما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى[2] .

الوجه الثاني : أنّ الله تعالى لم ينهَهُ ، ولا أَيْأَسه لما طلب الرؤية ، ولو كانت محالة لأنكر عليه ، فقد أنكر على نوحٍ عليه السلام لما سأله نجاة ابنه حيث قال : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3]، ولم ينكر على الخليل إبراهيم عليه السلام حين قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[4] ، ولم ينكر أيضاً على عيسى عليه السلام حين قال : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٣) .

(٢) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي : (٣٥٨/١) ، وإرشاد العقل السليم : (٢٦٩/٣) .

(٣) سورة هود ، الآيتان : (٤٦ ، ٤٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٦٠) .

مَائِــدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُوْنُ لَنَا عِيْــداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ ﴾[1] ، ففي إنكارِه جلَّ وعلا على نوحٍ عليه السلام دليلُ على عدم جواز ما طلب ، وفي عدم الإنكار على الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام دليل الجواز وعدم الاستحالة[2] .

الوجه الثالث : أنه تعالى ردّ عليه بقوله : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ دون : لن أُرَى ، ولن أريك ، ولن تنظر إلي ؛ تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ، ولم يوجد فيه ذلك بعد .

والفرق بين الأجوبة ظاهر لمن تأمّله ، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرى ، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذا الدار ؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى[3] .

الوجه الرابع : أنّ الله سبحانه وتعالى قد كلَّم موسى عليه السلام وخاطبه وناجاه وناداه ، ومَن جاز عليه التكلم والتكليم ، وأنْ يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة ، فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لايتمّ إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه ، ولهذا سأل موسى عليه السلام ربَّه النَّظر إليه لما أسمعه كلامه ، وعلم نبيُّ الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، ولم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أنّ ما سأله لا يقدر على احتماله

---

(١) سورة المائدة ، الآية : (١١٤) .

(٢) انظر حادي الأرواح لابن القيم ص : (٢٦٨) ، وابن حزم وموقفه من الإلهيات ص : (٣٨٦) ، ورؤية الله وتحقيق الكلام فيها ص : (٨٣ ، ٨٤) كلاهما للدكتور أحمد الحمد .

(٣) انظر حادي الأرواح ص : (٢٦٨) ، وأنوار التنزيل : (٣٥٨/١ ، ٣٥٩) ، وإرشاد العقل السليم : (٢٦٩/٣) .

كما لم يثبت الجبل لتجليه[1] .

الوجه الخامس : أنَّ قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ استدراك لبيان أنه لا يطيقها ، وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلّق بالممكن ممكن[2] .

ومن أدلة القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[3] :

ووجه الاستدلال على الجواز : أنَّ الله تعالى إنما ذكرها في سياق التَّمدّح ، ومعلوم أنّ المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يُمدح به ، وإنما يُمدح الرَّبُّ تعالى بالنَّفي إذا تضمن أمراً وجودياً ، كمدحه بنفي السِّنَة والنَّوم المتضمن كمال القيُّوميَّة ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره ، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديّته وغناه ، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحّده وغناه عن خَلْقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المِثْل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدّح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً ، فإنّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك

---

(١) انظر شرح الطحاوية : (٢٤٢/١) ، وحادي الأرواح ص : (٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٢) انظر أنوار التنزيل : (٣٥٩/١) ، وإرشاد العقل السليم : (٢٦٩/٣) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فإنّ المعنى : أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به ، فقوله : لا تدركه الأبصار ، يدلّ على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كلّ شيءٍ ، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يُحاط به ، فإنّ الإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وهو قَدْر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا ﴾(١) ، فلم ينفِ موسى الرؤية ، وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كلٌّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرّب تعالى يُرى ولا يُدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية(٢) .

ويقال في وجه الاستدلال أيضاً كما قال الدكتور أحمد بن ناصر الحمد : « إنَّ اللَّه تعالى نَفَى إدراك الأبصار له ، وهو أنْ تحيط به ، فهذا النفي وَرَدَ على مقيّد وهي الرُّؤية المحيطة ، فإذا المنفي هو قيد الإحاطة ، وهذا يشهد بأنّ الرُّؤية جائزة ؛ لأنها لو كانت ممتنعةً لكان المنفي هو أصل الرؤية لا الرؤية المحيطة ، نظير ذلك أنه إذا كان هناك شخصان أحدهما لم يأتِ إليك ، والثاني أتى غير راكب ، فإنك تقول في الثاني : لم يأتِ راكباً ، تريد نفي الركوب لا نفي الإتيان ، ولا تقول في الأول لم يأت راكباً ، بل تقول لم يأت ، وهذا معنى قولهم في القواعد العامة : إذا ورد النفي على مقيّد بقيدٍ كان النفي مُنصَبّاً على القَيْد لا المقيّد ، والنّفي في الآية الكريمة وَرَدَ على الرؤية المحيطة ، فيكون المراد نفي الإحاطة ، وهذا بدوره يقتضي ثبوت أصل الرؤية »(٣) .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان : (٦١ ، ٦٢) .

(٢) انظر شرح الطحاوية : (٢٤٢/١ ، ٢٤٣) ، وحادي الأرواح ص : (٢٧٤) .

(٣) ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص : (٣٩٠) ، ورؤية الله وتحقيق الكلام فيها ص : (٩٥) .

وقال الإمـــام الآجُرّي[1] : « قال عزَّ وجلَّ مخبراً عن الكفـــــار أنهم محجوبون عن رؤيتــــه ، فقـــال جلَّ ذكره : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِـذٍ لَمَحْجُــوبُوْنَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوْا الجَحِيْم * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَ ﴾[2] ، فدلّ بهذه الآية أنّ المؤمنين ينظـــــرون إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأنهم غير محجـــــوبين عن رؤيتـــه ، وكرامة[3] منه لهم »[4] .

وقد احتج الإمام الشافعي بهذه الحجَّة عندما جاءته رقعة من الصَّعيد فيها : مـــا تقول في قول الله تبـــارك وتعـــالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِـــــــذٍ لَمَحْجُــوبُوْنَ ﴾[5] ؟

قال الشافعي : « فلمّا أنْ حُجِبوا [6] هـؤلاء في السخط ، كان في هـذا دليل على أنهم يرونه في الرضا »[7] .

(١) هو محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجُرّي ، أبو بكر ، الإمام المحدّث ، شيخ الحرم الشريف ، صاحب التواليف منها : كتاب الشريعة وكتاب الرؤية وكتاب الغرباء . مات سنة ١٣٦ هـ . انظر تاريخ بغداد : (٢٤٣/٢) ، وسير أعلام النبلاء : (١٣٣/١٦) .

(٢) سورة المطففين ، الآيات : (١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

(٣) كذا ، ولعلّها بدون الواو : « كرامة منه ... » ، والله أعلم .

(٤) التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة لأبي بكر الآجري ص : (٣٦ ، ٣٧) .

(٥) سورة المطففين ، الآية : (١٥) .

(٦) كذا ، ولعلّها : « فلما أن حُجب هؤلاء » .

(٧) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (٥٠٦/٣ رقم ٨٨٣) .

ومن الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الرؤية ما رواه الإمام البخاري بسنده عن جَرِيْر بن عبد الله[١] رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوْبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوْا »[٢] .

ومنها ما رواه الإمام البخاري أيضاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ تُضَارُّوْنَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فَهَلْ تُضَارُّوْنَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ »[٣] .

«والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي »[٤] ، أي : تشبيه لرؤية الله تبارك وتعالى برؤية الشمس أو القمر ، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي ، تعالى الله عن ذلك ، فالله عزَّ وجلَّ ليس كمثله شيء ، وليس له

---

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر البَجَلي القسري ، أبو عمرو ، وقيل : أبو عبد الله ، الأمير النبيل ، من أعيان الصحابة رضي الله عنهم . مات سنة ٥١ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٢٢/٦) ، وسير أعلام النبلاء : (٥٣٠/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة : (٢٤٢/١) .

(٢) الصحيح : كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٤٢٩/١٣ ح ٧٤٣٤) .

(٣) المصدر السابق : (٤٣٠/١٣ ح ٧٤٣٧) ، وانظر صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية (١٦٣/١ ح ١٨٢) .

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ص : (٢٦٤) .

شبيه ، كما قال جلّ وعلا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] .

ومن الأحاديث أيضاً ما رواه الإمام مسلم بسنده عن صهيب[2] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ يَقُوْلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيْدُوْنَ شَيْئاً أَزِيْدُكُمْ ؟ فَيَقُوْلُوْنَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوْهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوْا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ »[3] .

والأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الرؤية كثيرة وقد بلغت حَدَّ التَّواتر[4] .

وهناك مسألة تتعلق بهذه القضية ، وهي مسألة الجهة ، فقد نقل أبو السعود القول الذي ينفي الجهة بقوله : « ومعنى كونها ناظرة إلى ربها : أنها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله ، بحيث تغفل عما سواه ، وتشاهده تعالى بلا كيفٍ ، ولا على جهةٍ »[5] .

وهذا القول خلاف ما عليه السلف الصالح ، فإنهم حينما أثبتوا

---

(١) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

(٢) هو صُهَيْب بن سِنَان بن خالد ، أبو يحيى النَّمري ، ويُعْرَف بالرومي ، صاحب رسول الله ﷺ ومن كبار السابقين البدريين ، وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه . مات سنة ٣٨ هـ . انظر تهذيب الكمال : (٢٣٧/١٣)، وسير أعلام النبلاء : (١٧/٢)، والإصابة : (٢٥٤/٣) .

(٣) الصحيح : كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١ ح ١٨١) .

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : (٤٧٠/٣ - ٥٢٣) ، وحادي الأرواح ص : (٢٧٧ - ٣٠٧) .

(٥) إرشاد العقل السليم : (٦٧/٩) .

الرؤيــــة ، لم ينفوا الجهة . والجهة قسمان :

جهةٌ يجب أنْ ينزّه الله تبارك وتعالى عنها ، وهو هذا العالم الوجودي ، فإنَّ الله تعالى ليس حالاًّ في شيءٍ من مخلوقاته .

وجهةٌ أخرى هي ما فوق العالم ، فإثباتُ جهةٍ لله تبارك وتعالى بمعنى أنه فوق العالم على عرشه بائن من خَلْقه ، ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته ، فهذا واجب شرعاً .

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وغيره من العلماء هذا المعنى فقال :

« إذا كان فوق الموجودات كلّها ، وهو غني عنها ، لم يكن عنده جهة وجودية يكون فيها فضلاً عن أنْ يحتاج إليها ، وإنْ أُريد بالجهة ما فوق العالم فذاك ليس بشيء ، ولا هو أمر وجودي حتى يقال إنه محتاج إليه أو غير محتاج إليه ، وهؤلاء أخذوا لفظ الجهة بالاشتراك ، وتوهَّموا وأَوْهموا إذا كان في جهةٍ كان في شيءٍ غيره ، كما يكون الإنسان في بيته ، ثم رتَّبوا على ذلك أنه يكون محتاجاً إلى غيره ، واللَّه تعالى غني عن كلِّ ما سواه »[1] .

وقال رحمه اللَّه تعالى أيضاً : « فلفظ الجهة قد يُراد به شيءٌ موجودٌ غير الله فيكون مخلوقاً ، كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى ، كما إذا أُريد بالجهة ما فوق العالم .

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (أو بيان تلبيس الجهمية) : (٥٢/١) ، وانظر منهاج السنة النبوية : (٦٤١/٢) ، والتدمرية ص : (٦٦) .

ومعلوم أنه ليس في النَّص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلوِّ والاستواء والفوقيَّة والعروج إليه ونحو ذلك .

وقد عُلم أنه ماثَمّ موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مُبَاين للمخلوق سبحانه وتعالى ، ليس في مخلوقاته شيءٌ مِن ذاته ، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته .

فيُقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات .

أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أنَّ الله فوق العالم ، بائنٌ من المخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال : إنَّ الله في جهةٍ : أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم ؟ أو تريد به أنَّ اللهَ داخلٌ في شيءٍ من المخلوقات ؟ فإنْ أردتَ الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل »[1] .

ثم قال : « وقالت طائفة : إنه يُرى لا في جهة ، لا أمام الرائي ، ولا خَلْفه ، ولا عن يمينه ولا عن يساره ، ولا فوقه ولا تحته ، وهذا هو المشهور عند متأخري الأشعرية ، فإنّ هذا مبنيٌّ على اختلافهم في كون الباري تعالى فوق العرش ...»[2] .

ثم قال : « وجمهور الناس من مُثْبِتة الرؤية ونفاتها يقولون : إنّ قول هؤلاء معلوم الفساد بضرورة العقل ، كقولهم في الكلام ،

---

(١) التدمرية ص : (٦٦ ، ٦٧) ، وانظر منهاج السنة النبوية : (٢/٥٥٨ - ٥٦٣) .

(٢) منهاج السنة النبوية : (٢/٣٢٦) .

ولهذا يذكر أبو عبد الله الرازي[1] أنه لا يقول بقولهم في مسألة الكلام والرؤية أحد من طوائف المسلمين »[2] .

والمخالفون في الرؤية هم الجهميـة والمعتزلة ومـن تبعهم مـن الخوارج والإمامية وغيرهم ، وأقوالهم باطلة ومردودة بالكتاب والسنة والإجماع[3] .

فيظهـر ما تقـدم أنَّ لفـظ الجهـة غـير وارد في الكتـاب والسنـة ، وعليه فلا ينبغي إثباتها ولا نفيها ؛ لأنّ في كلٍّ من الإثبات والنفي ما تقدم من المحذور ، ولو لم يكن في إثبات الجهة إلا إفساح المجال للمخالف أنْ ينسب إلى متبني العلوّ مالا يقول به لكفى .

وكذلك لا ينبغي نفي الجهة توهماً من أن إثبات العلو لله تعالى يلزم منه إثبات الجهة ؛ لأنّ في ذلك محاذير عديدة منها نفي الأدلة القاطعة على إثبات العلو له تعالى ، ومنها نفي رؤية المؤمنين لربهم عزَّ وجلَّ يوم القيامة[4] .

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين الرّازي الشافعي ، أبو عبد الله فخر الدّين القرشي ، الإمام المفسّر له مصنّفات كثيرة منها : مفاتيح الغيب وهو التفسير الكبير ، ومعالم أصول الدّين ، ومحصّل أفكار المتقدّمين والمتأخرين . مات سنة ٦٠٦ هـ انظر سير أعلام النبلاء : (٢١/٥٠٠) ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي : (٨/٨١) ، والبداية والنهاية : (١٣/٦٠) .

(٢) منهاج السنة النبوية : (٢/٣٢٩) .

(٣) للمزيد من مناقشة المخالفين والرّد عليهم انظر نقض الإمام أبي سعيد على المريسي العنيد : (١/٣٥٩ - ٣٦٨)، وهو ضمن عقائد السلف بعنوان : ردّ الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص : (٤١٣ - ٤١٧) ، وكتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص : (٣١ - ٥٠)، ومجموع الفتاوى : (١٦/٨٢ - ٨٩) ، ومختصر الصواعق المرسلة ص : (١٧١) .

(٤) انظر مقدمة الشيخ الألباني في مختصر العلو للعلي الغفار ص : (٧١) .

وجاء في مختصر العلو عن الإمام القرطبي قوله :

« الأكثر من المتقدمين والمتأخرين - يعني المتكلمين - يقولون : إذا أوجب تنزيه الباري جلّ جلاله عن الجهة والتميز[1] فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم المتأخرين تنزيه الباري عن الجهة ، فليس لجهة[2] فوق عندهم ؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان وحيّز ، ويلزم على المكان والحيّز الحركة والسكون للتميز والتغير والحدوث ، هذا قول المتكلمين »[3] .

ثم عقّب الإمام الذهبي بقوله :

« نعم هذا ما اعتمده نُفاة علوِ الرّب عزَّ وجلَّ ، وأعرضوا عن مقتضى الكتاب والسنة وأقوال السلف وفطر الخلائق .

وإنما يلزم ما ذكروه في حقِ الأجسام ، والله تعالى لا مِثْل له ، ولازم صرائح النصوص حقّ ، ولكنا لا نُطلق عبارةً إلا بأَثرٍ . ثم نقول لا نُسَلِّم أنَّ كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في حَيّز وجِهَة ، إِذْ ما دون العرش يُقال فيه حيّز وجهات ، وما فوقه فليس هو كذلك ، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصَّدر الأول ، ونقله عنهم الأئمة ...

فأما القول الثالث المتولّد أخيراً من أنه تعالى ليس في الأمكنة ، ولا خارجاً عنها ، ولا فوق عرشه ، ولا هو مُتَّصِلٌ بالخَلْق ، ولا بمنفصلٍ

---

(١) كذا في النص ، والصواب : « والتحيّز » .

(٢) كذا ، ولعلها : « بجهة » . حتى يستقيم الكلام ، والله أعلم .

(٣) مختصر العلو ص : (٢٨٦) .

عنهم ، ولا ذاته المقـدسة متحـيّزة ، ولا بائنـة عن مخلوقاتـه ، ولا في الجهـات ، ولا خـارجاً عـن الجهـات ، ولا ... ، ولا ... فهذا شيء لا يُعقل ، ولا يُفهم ، مع ما فيه من مخالفـة الآيـات والأخبار ، فَفِرّ بدِيْنِك ، وإيَّاك وآراء المتكلّمين ، وآمِنْ باللّه وما جاء عن اللّه على مُراد اللّه ، وفوّض أمرك إلى اللّه ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه »[1] .

وعلى ذلك يكون أبو السعود قد وافق السلف في إثبـات الرؤية ، إلا أنه خالفهم ووافق المتكلمين في نفي الجهة ، والله تعالى أعلم .

(١) المرجع السابق ص : (٢٨٦ - ٢٨٧) .

المبحث الثالث

الإيمان

العرض :

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ ...﴾[1] :

«والإيمان : إفعال من الأمن المتعدّي إلى واحد ، يُقال آمنته ، وبالنقل تعدّى إلى اثنين ... ، ثم استعمل في التَّصديق ؛ لأنَّ المصدِّق يُؤمن المصدَّق ، أي : يجعله أميناً من التكذيب والمخالفة ، واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف ، وقد يُطلق على الوثوق ، فإنّ الواثق يصير ذا أمنٍ وطمأنينةٍ ، ومنه ما حُكي عن العرب : ما آمنت أنْ أجد صحابةً ، أي : ما صرت ذا أمنٍ وسكونٍ ، وكلا الوجهين حَسَن هٰهنا .

وهو في الشرع لا يتحقق بدون التَّصديق بما عُلم ضرورة أنه من دِيْن نبيّنا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها ، وهل هو كافٍ في ذلك ؟ أو لابد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه ؟

والأول : رأي الشيخ الأشعري[2] ومَن شايعه ، فإنَّ الإقرار عنده منشأ لإجراء الأحكام .

والثاني : مذهب أبي حنيفة ومَن تابعه ، وهو الحقُّ ؛ فإنه جعلهما

(١) سورة البقرة ، الآية : (٣) .

(٢) تقدّمت ترجمته في ص : (٢٤١) .

جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه ، وهو مجموع ثلاثة أمورٍ : اعتقادُ الحقِّ ، والإقرارُ به ، والعملُ بمُوجِبه عند جمهور المحدّثين والمعتزلة والخوارج، فمَن أخلّ بالاعتقاد وحده فهو منافق، ومَن أخلّ بالإقرار فهو كافر ، ومن أخلّ بالعمل فهو فاسق اتفاقاً ، وكافر عند الخوارج ، وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة »[١] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴾[٢] :

« مدلول الآية الكريمة : أنَّ مَن أظهر الإيمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمناً ، فلا حجَّة فيها على الكرَّامية[٣] القائلين بأنَّ مَن تفوّه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه مؤمن »[٤] .

وقال أبو السعود في الرسالة الإيمانية :

« الإيمان هو إقرار باللسان واعتقاد بالقلب »[٥] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَاناً ﴾[٦] :

« أي : يقيناً وطمأنينة نفس ، فإنَّ تظاهر الأدلَّة وتعاضد الحجج

(١) إرشاد العقل السليم : (١/٣٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٨) .

(٣) كذا في النص ، والصواب : « فلا حجة فيها للكرامية » .

(٤) إرشاد العقل السليم : (١/٤٠) .

(٥) الرسالة الإيمانية لأبي السعود : (ق/٢/أ) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : (٢) .

والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوّة اليقين .

وقيل : إنّ نفس الإيمان لا يقبل الزِّيادة والنُّقصان ، وإنما زيادته باعتبار زيـــادة المؤمَن به ، فإنه كلّما نزلت آية صدّق بها المؤمن فزاد إيمانه عدداً ، وأما نَفْس الإيمان فهو بحاله .

وقيل : باعتبار أنّ الأعمال تجعل من الإيمان ، فيزيد بزيادتها .

والأصوب أنّ نَفْس التَّصديق يقبل القوة ، وهي التي عبّر عنها بالزيادة للفرق النَّيِّر بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ، ويقين آحاد الأمة ، وعليه مبنى ماقال علي رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد ، وما قامت عليه أدلة كثيرة »[1] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَاناً فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ ﴾[2] :

« فزادتهم إيماناً : بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التَّدبر فيها ، والوقوف على ما فيها من الحقائق ، وانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق »[3] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَزَادَهُمْ إِيْمَاناً وَقَالُوْا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْل ﴾[4] :

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٤/٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١٢٤) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١١٣/٤) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (١٧٤) .

« دليـــل على أنَّ الإيمان يتفاوتـــ زيادةً ونقصــاناً ؛ فإنَّ ازدياد اليقين بالإلف وكثرةِ التَّأمُّل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه »[1] .

(١) إرشاد العقل السليم : (٢/١١٤) .

النقـــد :

رجّح أبو السعود في مسمى الإيمان قول الحنفيـــة ومـــرجئة الفقهـــاء[١] وبعض الماتريدية بأنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان[٢] ، إلا أنه خالفهم في مسـألة زيادة الإيمان ونقصـانه ، واسـتـدل بالأدلة السـابقة على أنَّ الإيمان يتفاوت زيادةً ونقصاناً ، وأنَّ التصديق نفسه يقبل القوّة ، وأن ازدياد اليقين بالإلفـــ وكثرة التّأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ، وهو بذلك يكون موافقاً لمذهب السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه . ويظهر مما تقدم أنه مضطربـــ فيما ذهب إليه ، وقد التبس الأمر عليه ، فلم يكن ماتريديا مرجئياً تماماً في هذه المسألة، ولم يكن سلفياً تماماً حين قال بزيادة الإيمان فقط .

وقد نقل تعريف الإيمان في الشرع من تفسير البيضاوي بتصرف يسير[٣] .

واستـدلَّ هؤلاء الذين جعلوا الإيمان هو التَّصديقـــ والإقرار باللســان ، وأخرجوا الأعمـال من الإيمان بأدلة كثيرة منها :

١- أنهم فسّروا الإيمان بالتصديق ، وزعموا أنَّ الإيمان مـرادف للتصديق في اللغـة ، وأنّ هذا هو المعروف من لســـان العربـــ ، فيكون في الشـرع كذلك ؛ لأنَّ الشَّـرْع خاطبنا بما نعلمه من ألفاظ اللغة العـربية ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِيْنَ ﴾[٤].

---

(١) الإرجاء هو التـأخير ، وسُمّوا بذلك لأنهم يؤخّرون العمـل عن النيـة والعقـد ، وهم أصنـاف كثيرة وفرَق عديدة ، ومرجئة الفقهاء هم القائلون بأنَّ الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان انظر مقالات الإسلاميين : (٢١٣/١) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٣٠/٤) ، والفَرْق بين الفِرَق ص : (٢٠٢) ، والملل والنّحل : (١٣٩/١) .

(٢) انظر شرح العقائد النسفية ص : (٥٥ ، ٥٦) ، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص : (٦٨) ، ومقالات الإسلاميين : (٢٣٨/١) .

(٣) انظر أنوار التنزيل : (١٧/١ ، ١٨) .

(٤) سورة يوسـف ، الآية : (١٧) .

٢- قال الله تعـالى : ﴿ يَاأَيُّهَـا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَـاتُ مُهَـاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوْهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَـانِهِنَّ ﴾[1] ، قالوا : ومعلوم أنَّ امتحانهن هو مطالبة لهـنّ بالإقرار بالشّهادتين ، كما في حديث الأَمَة التي سألها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقال لها : « أَتَشْهَـدِيْنَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّيْ رَسُوْلُ اللَّهِ ؟» . قالت : نعم . قال : « أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » [2].

٣- روى الإمام البخاري بسنده عن عِتْبَان بن مالك الأنصاري[3] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه يَبْتَغِيْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ »[4] .

فقالوا : إنَّ اللّه تعالى بعث نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس إلى الإيمان ، ولهم الجنّـة على ذلك ، فدعاهم إلى شهـادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، ويقولون ذلك ويقرون به ، ويصدّقونه فيما جاء به ، فكان كلُّ مَن قال ذلك وصَدّق به مؤمناً مستكمل الإيمان [5] .

٤- أنَّ الإيمان هو ما في القلب مِن المعرفة أو التَّصديق ، والأعمال زائدة

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : (١٠) .

(٢) رواه الإمـام أحمـد في المسنـد : (٣/٥٥ ، ٥٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٤٤) : « ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) هو عِتْبَان بن مالك بن عَمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي . صاحب رسول الله ﷺ . شهد بدراً . مات في خلافة معاوية . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٣/٥٥٠) ، وتهذيب الكمال : (١٩/٢٩٦) ، والإصابة في تميز الصحابة : (٤/٢١٣) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب التهجد - باب صلاة النوافل جماعة (٣/٧٣ ح ١١٨٦) ، وانظر صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً : (١/٦١ ح ٥٤) .

(٥) انظر التمهيد لابن عبد البر : (٩/٢٣٨ ، ٢٣٩) .

على هذا المعنى ، وأنه قد يرتفع العمل ولا يرتفع الإيمـــان ، والأعمال تُسمى إيمـــاناً ، فلا يُسمى ترك العمــــل تركاً للإيمان ، فمثـــلاً : الزكاة ترتفع عن الفقير ولا يرتفع عنه الإيمان ، كما لا يقال عنه : ليس على الفقير إيمان يعني زكاة [١] .

ويجاب عن ذلك بما يأتي :

١- إنَّ الإيمان ليس مرادفاً للتَّصديق ، بل بينهما فروق ، منها : أنه يقال للمخبر إذا صدق صدقه ، ولا يقال : آمنه ، وآمن به ، بل يقال : آمن له ، كما قال تعالى :﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوْسى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾[٣] . ففرّق بين المعدّى بالباء والمعدى باللام ، فالأول يقال للمخبر به ، والثاني يقال للمخبر ، ولا يرد كونه يجوز أنْ يقال : ما أنت بمصدِّقٍ لنا ؛ لأنَّ دخول اللام لتقوية العامل ، كما إذا تقدّم المعمول ، أو كان العامل اسم فاعل أو مصدراً [٤].

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « إنَّ التَّصديق يستعمل في كل خبر ، فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل : الواحد نصف الاثنين ، والسماء فوق الأرض ، مجيباً : صدقت ، وصدقنا بذلك ، ولا يقال : آمنا لك ، ولا آمنا بهذا ، حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة ، فيقال للمخبر : آمنا له ، وللمخبر به : آمنا به ، كما قال إخوة يوسف : ﴿وَمَا أَنْتَ

(١) انظر شرح الفقه الأكبر للقاري ص : (٧٢) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : (٢٦) .

(٣) سورة يونس ، الآية : (٨٣) .

(٤) انظر كتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى : (٢٩٠/٧) .

بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾[1] أي : بمقرٍّ لنا ، ومُصدِّق لنا ؛ لأنهم أخبروه عن غائب »[2].

٣- وقال شيخ الإسلام أيضاً عن الإيمان : « أنه إذا كان أصله التّصديق ، فهو تصديق مخصوص ، كما أنَّ الصلاة دعاء مخصوص ، والحج قصد مخصوص ، والصيام إمساك مخصوص ، وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلة في مسماه عند الإطلاق ، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ، ويبقى النزاع لفظياً هل الإيمان دال على العمل بالتضمن أو باللزوم ؟ »[3] .

٤- وقال أيضاً : « لو فرض أنَّ الإيمان في اللغة التصديق ، فمعلوم أن الإيمان ليس هو التصديق بكل شيء ، بل بشيء مخصوص ، وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحينئذٍ فيكون الإيمان في كلام الشارع أخصُّ من الإيمان في اللغة ، ومعلوم أنَّ الخاصَّ ينضمّ إليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان إذا أخذ بعض أنواعه وهو الإنسان كان فيه المعنى العام ومعنى اختص به ، وذلك المجموع ليس هو المعنى العام ، فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام ، فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه ، بل يكون الإيمان في كلام الشّارع مؤلّفاً من العام والخاص كالإنسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق »[4] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية : (١٧) .

(٢) الإيمان الأوسط لابن تيمية ضمن الفتاوى : (٥٢٩/٧) ، وانظر الإيمان الكبير : (٢٩١/٧) .

(٣) الإيمان الكبير لابن تيمية : (٢٩٦/٧ ، ٢٩٧) .

(٤) المرجع السابق : (١٢٢/٧) .

٥- وقال أيضاً : « إن كان هو التصديق ، فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح ، فإن هذه لوازم الإيمان التام ، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ، ونقول : إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة ، وتخرج عنه أخرى »(١) .

٦- أن يقال : إن الإيمان وإن كان أصله في اللغة هو التصديق ، فإن الشارع نقله وغيّر معناه ، وأراد بالإيمان ما بينه في الكتاب والسنة من معاني اسم الإيمان وأحكامه ، وأنّ العبد لا يكون مؤمناً إلا به ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢)، وهذا متواتر في القرآن والسُّنن ، ومتواتر أيضاً أنه لم يكن يحكم لأحدٍ بحكم الإيمان ، إلا أن يؤدي الفرائض ، ولم يقل الشارع : إن الفساق مؤمنون ، لكن أدخلهم في مسمى الإيمان في مواضع ، كما أدخل المنافقين في اسم الإيمان في مواضع مع القيود ، وأما الاسم المطلق الذي وعد أهله بالجنة فلم يدخل فيه لا هؤلاء ولا هؤلاء .

ونقل الإيمان عن معناه المعروف في اللغة لا يخرج القرآن عن كونه عربياً ، كما خاطب العرب باسم المنافقين ، وقد ذكر أهل اللغة أن هذا الاسم لم يكن يُعرف في الجاهلية(٣) .

ولم يقولوا إنه ليس بعربي ؛ لأن المنافق مشتق من نفق إذا خرج ، فإذا كان اللفظ مشتقاً من لغتهم ، وقد تصرف فيه المتكلم كما جرت عادتهم

---

(١) الإيمان الكبير : (١٢٧/٧) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٢) .

(٣) انظر لسان العرب : (٤٥٠٩/٨) مادة (نفق) .

في لغتهم لم يخرج ذلك عن كونه عربياً [1] .

عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان :

اتفق أهل السنة والجماعة وجماهير السلف على أنَّ الإيمان قول واعتقاد وعمل : قول باللسان ، واعتقاد بالجَنان ، وعمل بالأركان . يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية [2] .

قال السفاريني في منظومته :

« إيمَانُنَا قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَل   تَزِيْدُهُ التَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالزَّلَل » [3]

ونقل شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن أبي عبيد القاسم بن سلَّام [4] أنَّ الذين يقولون الإيمان قول وعمل [5] أكثر من مائة وعشرين عالماً [6]، وذكر الحافظ

---

(١) انظر الإيمان الكبير لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى : (١٢٩/٧ ، ١٣٠) .

(٢) انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص : (٦٦) ، وكتاب الإيمان لابن أبي شيبة ص : (٤٦) ، والشريعة للآجري ص : (١١٨) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : (٨٤٨/٤) ، والتمهيد لابن عبد البر : (٢٥٣/٩) ، وشرح السنة للبغوي : (٣٨/١) ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص : (٢٦) ، والإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص : (٢٩٢) ، وضمن مجموع الفتاوى : (٣٠٨/٧) .

(٣) الدرة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضيَّة ، وهي مطبوعة مع شرحها : لوامع الأنوار البهية : (٤٠٣/١) .

(٤) هو القاسم بن سلَّام بن عبد الله ، أبو عُبيد ، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، له كتاب الأموال والغريب وفضائل القرآن . مات سنة ٢٢٤ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٣٥٥/٧) ، وسير أعلام النبلاء : (٤٩٠/١٠) .

(٥) أي : قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح .

(٦) انظر كتاب الإيمان الكبير لابن تيمية ص : (٢٩٣) ، وضمن الفتاوى : (٣٠٩/٧) .

ابن حجر أن اللالكائي روى في كتاب السنة له بسنـده الصحيح عن البخاري أنه قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص[1] .

وصار القول بهذا من المميزات الفارقة بين أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وبين أهل البدعة [2] .

وقد استـدلّوا على قولهم بأن الإيمان قول باللسـان ، واعتقـاد بالقلب ، وعمل بالجوارح بأدلة كثيرة .

فمن أدلتهم على أن الإيمان قول باللسان ، قول الله تعالى : ﴿ قُولُوٓا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] .

وما رواه الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما تُوفّي رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، واستُخلف أبو بكر بعـده ، وكَفَر مَن كَفَر من العرب ، قال عمر لأبي بكر : كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِـرْتُ أَنْ أُقَـاتِلَ النَّـاسَ حَتَّى يَقُـوْلُوْا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَـنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَـالَهُ وَنَفْسَـهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحِسَـابُهُ عَلَى اللَّهِ »[4].

(١) انظر فتح الباري : (٦١/١) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (١٧٣/١) .

(٢) انظر الإيمان الكبير لابن تيمية ص : (٢٩٢) ، وضمن الفتاوى : (٣٠٨/٧) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٣٦) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «بُعِثتُ بجوامع الكلم» (٢٦٤/٣ ح ٧٢٨٥) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥١/١ ح ٢٠) .

ومن أدلتهم على أنه اعتقاد بالقلب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوْبُهُمْ ﴾- إلى قوله تعالى - ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوْبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَلَكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ﴾[٢].

ومارواه الإمام أبو داود بسنده عن أبي بَرْزَة الأسلمي[٣] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ » ... الحديث[٤] .

ومن أدلتهم على أنه عمل الجوارح ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوْا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾[٥] .

وقوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ التَّائِبُوْنَ الْعَابِدُوْنَ الحَامِدُوْنَ السَّائِحُوْنَ الرَّاكِعُوْنَ السَّاجِدُوْنَ الآمِرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ المُنْكَرِ

(١) سورة المائدة ، الآية : (٤١) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : (١٤) .

(٣) هو نَضْلَةُ بن عُبَيْد الأسلمي ، أبو بَرْزَة ، صاحب النبي ﷺ روى عدّة أحاديث . أسلم قديماً وشهد فتح مكة وخيبر . مات سنة ٦٠ هـ وقيل : سنة ٦٤ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٢٩٨/٤) ، وتاريخ بغداد : (١٨٢/١) ، وسير أعلام النبلاء : (٤٠/٣) ، والإصابة في تمييز الصحابة : (٢٣٧/٦) .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الأدب - باب في الغيبة (١٩٤/٥ ح ٤٨٨٠) ، وقال الألباني بأنه حديث حسن صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود : (٩٢٣/٣ ح ٤٠٨٣) .

(٥) سورة الحج ، الآية : (٧٧) .

وَالحَافِظُوْنَ لِحُدُوْدِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِيْنَ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُوْنَ ۞ الَّذِيْنَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ ۞ وَالَّذِيْنَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُوْنَ ۞ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُوْنَ ﴾[2] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (١١٢) .

(٢) سورة (المؤمنون) ، الآية : (١-٤) .

زيادة الإيمان ونقصانه :

إنَّ ما قاله أبو السعود في تفسير الزيادة والنقصان في الإيمان ، يخالف ماذهب إليه الإمام أبو حنيفة ، حيث قال : إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص[1] .

ويخالف قول الإمام الطحاوي حيث قرّر هذا الأمر في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ، فقال : « والإيمان واحد ، وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى »[2].

ويخالف أقوال الماتريدية الذين قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه ، وبنوا ذلك على أنَّ التَّصديق لا يتصوّر فيه الزيادة والنقص ، فقال أبو المعين النَّسَفِي : « وإذا ثبت أن الإيمان هو التصديق ، وهو لا يتزايد في نفسه ، دلّ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فلا زيادة له بانضمام الطاعات إليه ، ولا نقصان له بارتكاب المعاصي ؛ إذ التصديق في الحالين على ما كان قبلهما »[3] .

إلا أنه قد جاء في كتاب الفقه الأكبر قول الإمام أبي حنيفة : « وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المُؤْمَن به ، ويزيد وينقص من

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ص : (١٣٩) ، والفَرْق بين الفِرَق ص : (٢٠٣) ، والملل والنِّحَل ص : (١٤٤) .

(٢) شرح الطحاوية : (٥١/٢) .

(٣) تبصرة الأدلة : (٢١٥/٢) ، وانظر التمهيد للباقلاني ص : (١٠٢) ، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص : (٥٦) ، وشرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي ص : (٥٤) ، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص : (٨٧) .

جهة اليقين والتصديق ، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد ، متفاضلون في الأعمال »[1] .

وهذا النَّص المنقول فيه إشكال ، كما بيّنه الدكتور محمد بن عبد الرحمٰن الخميّس ، حيث قال إنه : « مخالف للمتقدم من قول أبي حنيفة : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، مع تفسير الإمام للإيمان بالتصديق والإقرار ، ولما ثبت عن أبي حنيفة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ... وهذا صريح في أن الإيمان وهو التصديق عنده لا تفاضل فيه بين المؤمنين ، وإنما التفاضل بينهم في الأعمال من الخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأُولى . وهذا يقتضي أن التصديق لا يزيد ولا ينقص ، وفي هذا النص من الفقه الأكبر صرّح بأن الإيمان يزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق . فيظهر لي - والله أعلم - أن كلمة (لا) في الجملة الأولى من خطأ النُّسَّاخ ، ومحلّها الجملة الثانية ، لتكون العبارة هكذا : (وإيمان أهل السماء والأرض يزيد وينقص من جهة المُؤْمَن به ، ولا يزيد ولا ينقص من جهة اليقين والتصديق) ؛ لتتفق مع ما تقدم من كلام أبي حنيفة وما نقله الطحاوي ، ولكن شُرَّاح الفقه الأكبر لم يروا هذا النَّص مُشْكِلاً [2]،

(١) شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي ص: (١٤٩ ، ١٥٠) وللقاري ص : (١٤٤ - ١٤٨) .

(٢) مثل الملا علي القاري حيث قال في شرحه للفقه الأكبر ص : (١٤٤) : « فالتحقيق أن الإيمان كما قال الإمام الرازي لا يقبل الزيادة والنقصان من حيثية أصل التصديق لا من جهة اليقين ، فإن مراتب أهلها مختلفة في كمال الدين ... وإن قال بعضهم : لوكشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، يعني : أصل اليقين لمطابقة علم اليقين في ذلك الحين ... وعلى هذا فالمراد بالزيادة والنقصان : القوة والضعف ؛ فإن التصديق بطلوع الشمس أقوى من التصديق بحدوث العالم ، وإن كانا متساويين في أصل التصديق المؤمن به » ، وانظر شرح أبي منصور الماتريدي للفقه الأكبر أيضاً ص : (١٤٩ - ١٥٠) .

فخَرَّجُوه على الفرق بين اليقـــين وأصــل التصــديق ، فأصل التصديق لا يتفاوت ، وأما اليقـين فإنه مما يجري فيه التفاضــل ، وهذا عندي لا يرفع الإشكال ؛ فإن اليقين هو التصديق الجازم الذي تستقـر معه النفس ، فهو مرتبة من مراتب التصديق »[1] .

ومـاقاله أبو السعود في مسـألة زيادة الإيمان ونقصـانه هو الحق ، حيث استدل بالأدلة السابقة على أن التصـــديق نفسه يقبل القوة التي يعبر عنها بالزيادة ، وأن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً ؛ فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه .

والأدلة من الكتاب على أن الإيمان يزيد وينقص بالإضافة إلى ماسبق :

قول الله تعـالى : ﴿ وَيَزِيْدُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اهْتَـدَوْا هُـدى وَالْبَـاقِيَاتُ الصَّـالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً ﴾[2] .

وقوله تعـالى : ﴿ نَحْنُ نَقُـصُّ عَلَيْـكَ نَبَـأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَـةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدَى ﴾[3] .

وقوله تعـالى : ﴿ وَلَمَّـا رَأَى الْمُؤْمِنُوْنَ الأَحْزَابَ قَالُوْا هَـذَا مَـا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَاناً وَتَسْلِيْماً ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ فِي قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيَزْدَادُوْا إِيْمَاناً

---

(١) أصول الدِّين عند الإمام أبي حنيفة ص : (٣٩٠ - ٣٩١) .

(٢) سورة مريم ، الآية : (٦) .

(٣) سورة الكهف ، الآية : (١٣) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : (٢٢) .

مَعَ إِيْمَـانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُوْدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْماً حَكِيْماً ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِيْمَـاناً ﴾ [٢] .

وأما الأدلة من السنة : فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان: « باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى : ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدَى ﴾ ، ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِيْمَـاناً ﴾ » [٣] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإِيْمَـانُ بِضْعٌ وَسَبْعُوْنَ شُعْبَـةً ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّوْنَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَـانِ » [٤] .

وفي هذا الحديث الشريف دليل على أنّ الإيمان فيه أعلى وأدنى ، وإذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان [٥] .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَـاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » [٦] .

---

(١) سورة الفتح ، الآية : (٤) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : (٣١) .

(٣) الصحيح (١٢٧/١) كتاب الإيمان - باب رقم (٣٣) .

(٤) الصحيح : كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٦٣/١ ح ٣٥) ، وانظر صحيح البخاري : كتاب الإيمان - باب أمور الإيمان (٦٧/١ ح ٩) .

(٥) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ص : (٦/٤) . نقلاً عن السيد صديق حسن القنوجي وآراؤه الاعتقادية ص : (٣٧٤) .

(٦) المسند : (٢٥٠/٢)، وصحح إسناده أحمد شاكر في شرحه على المسند : (١٣٣/١٣ح ٧٣٩٦).

قال ابن عبد البرّ[1] في وجـــــه الاستشهاد بهذا الحديث الشـــريف :

« ومعلـــوم أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكون غيره أنقص »[2] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أنه قال : « يَا مَعْشَـرَ النِّسَـاءِ تَصَـدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ ...

[إلى قوله :] ... وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَـــاتِ عَقْـــلٍ وَدِيْنٍ أَغْلَـــبَ لِذِيْ لُبٍّ مِنْكُنَّ » الحديث[3] .

وروى الإمام أبو داود بسنده عن أبي أمامــة[4] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قـــال : « مَـنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيْمَـانَ »[5] .

وكان عبــد الله بن مسعود رضي الله عنــه يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ زِدْنِيْ

---

(١) تقدمت ترجمته في ص : (٢٥٦) .

(٢) التمهيد : (٢٤٤/٩) .

(٣) الصحيح : كتاب الإيمان - باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٨٦/١ ح ٧٩) .

(٤) هو صُدَيُّ بن عَجْلان بن وَهْب بن عَرِيب ، أبو أُمامة الباهلي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزيل حِمص . مشهور بكنيته . مات سنة ٨١ هـ وقيل : سنة ٨٦ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٤١١/٧) ، وسير أعلام النبلاء : (٣٥٩/٣) ، والإصابة في تمييز الصحابة : (٢٤٠/٣) .

(٥) سنن أبي داود : كتـاب السنـة - باب الدليـل على زيادة الإيمان ونقصـانه (٦٠/٥ ح ٤٦٨١) ، وصحّح إسنـــاده الألبـــاني في صحيح سنن أبي داود : (٨٨٦/٣ ح ٣٩١٥) ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٧٢٨/١ ح ٣٨٠) .

إِيْمَـاناً وَيَقِيْناً وَفِقْهاً »[1] .

وقال عمير بن حبيب بن خُمَاشَة[2] رضي الله عنه :

« الإِيْمَـان يَزِيْدُ وَيَنْقُصُ . فَقِيْلَ لَهُ : وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ ؟ قَالَ : إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشِيْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَّعْنَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ »[3] .

وقال الإمام البخاري :

« كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلاّ صاحب حديث كانوا يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص »[4] .

وقال أبو عثمان الصابوني :

« ومذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »[5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة :

---

(١) الشريعة للآجري ص : (١١٢) .

(٢) هو عمير بن حبيب بن خُمَاشَة الأنصاري الخطمي ، صحابي بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة . انظر الإصابة : (٣٠/٥) .

(٣) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، تحقيق أستاذنا الدكتور محمد بن سعيد القحطاني : (٣١٥/١ رقم ٦٢٤) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (٨٨٩/٥ رقم ١٥٩٧) ، وانظر سير أعلام النبلاء : (٣٩٥/١٢) .

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص : (٢٦٤) .

« وثبت لفظ الزيادة والنقصان في الإيمان عن الصحابة ، ولم يُعرف لهم مُخالِف »[1] .

وقال ابن قيِّم الجَوزِيّة عن الإيمان :

« إنه بإجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »[2] .

والحاصل أنَّ الأدلة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السلف في أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة جداً . وقد رجّح أبو السعود القول بالزيادة والنقصان فوافق السلف الصالح ، وخالف بذلك أقوال الماتريدية ومرجئة الفقهاء .

وقد وقع في الاضطراب عندما وافق الماتريدية والمرجئة في مسمى الإيمان وإخراج العمل عن ذلك ، وفي الوقت نفسه وافق السلف في القول بزيادة الإيمان ونقصانه . والحق أن من أثبت الزيادة في الإيمان من جهة التصديق وأنه يقبل الزيادة ، فهو من جهة العمل من باب أولى .

فأبو السعود قد اضطرب منهجه في هذه المسألة ، والتبس عليه الأمر فيما نقله من الأقوال . فلم يكن ماتريدياً تماماً فيما ذهب إليه في مسمى الإيمان ، ولم يكن سلفياً تماماً حين قال بزيادة الإيمان ، والله تعالى أعلم وأحكم .

(١) مجموع الفتاوى : (٢٢٤/٧) .

(٢) مدارج السالكين : (٤٢١/١) .

المبحث الرابع

أفعال الله تعالى

المطلب الأول : القَضَاءُ وَالْقَدَرُ

العـرض :

يأتي القضاء بمعنى أمر ، كما قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[1] .

قال أبو السعود في تفسيره : « أي : أمر أمراً مبرماً »[2] .

ويأتي بمعنى أوحى ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوْعٌ مُصْبِحِيْنَ ﴾[3] .

قال أبو السعود : « وقضينا أي : أوحينا »[4] .

ويكون بمعنى أراد ، قال تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾[5] .

قال أبو السعود : « إذا قضى أمراً ، أي : أراد شيئاً كما في قوله : ﴿ إِنَّمَا

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٢٣) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٦٦/٥) .

(٣) سورة الحجر ، الآية : (٦٦) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٨٤/٥) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (٤٧) ، وسورة مريم ، الآية : (٣٥) .

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً ﴾[1] ، وأصل القضـــــاء الإحكام أُطلق على الإرادة الإلهية القطعيـة المتعلِّقة بوجود الشيء لإيجابها إياه ألبتَّه ، وقيـل : الأمـــر ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾[2] الخ ، ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3] كلاهما من الكون التام ، أي : أحدث فيحدث ، وليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال ، وإنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات بحسب تعلّق مشيئته تعالى،وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع ، وفيه تقرير لمعنى الإبداع »[4] .

ويأتي بمعنى خلق ، قال تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾[5] .

قال أبو السعود : « أي خلقهـن خلقـاً إبداعيـاً وأتقـن أمـرهن حسبمـا تقتضيه الحكمة »[6] .

ويأتي بمعنى أتمّ وأوفى ، كما قال تعـالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوْسَى الأَجَلَ ﴾[7] قال أبو السعود : « أي : فلما أتمّ الأجل »[8] .

ويأتي بمعنى كتب ، كمـا قال تعـالى : ﴿ ثُمَّ قَضَــىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى

(١) سورة يٓس ، الآية : (٨٢) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : (٢٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (٤٧) ، وسورة مريم ، الآية : (٣٥) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (١٥١/١) .

(٥) سورة فصلت ، الآية : (١٢) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (٥/٨) .

(٧) سورة القصص ، الآية : (٢٩) .

(٨) إرشاد العقل السليم : (١١/٧) .

عِنْدَهُ ﴾ [1] .

قال أبو السعود : « أي : كتب لموت كل واحد منكم »[2] .

ويأتي بمعنى الحُــكم ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِيْ فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ [3] :

قال أبو السعود : « أي : فاصنع ما أنت صانعه ، أو فاحكم ما أنت حاكم به »[4] .

ويأتي بمعنى القتل أو الموت ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوْسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [5] :

قال أبو السعود : « فقضىٰ عليه : فقتله ، وأصله أنهىٰ حياته »[6] .

وأما بالنسبة للقدر فقد قال أبو السعود في تعريفه : « القدر عبارة عن الإرادة الأزلية ، والعناية الإلهٰية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلّقها بالأشياء في أوقاتها »[7] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٢) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٠٦/٣) .

(٣) سورة طه ، الآية : (٧٢) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٣٠/٦) .

(٥) سورة القصص ، الآية : (١٥) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (٦/٧) .

(٧) إرشاد العقل السليم : (٢٥٤/٤) .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[1] :

« أي : تقديراً أو توقيتاً أو مقداراً ، وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه ؛ لأنه إذا عُلم أنَّ كلّ شيءٍ من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى ، لا يبقى إلا التَّسليم للقدر والتَّوكل على الله »[2].

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[3] :

« أي : ملتبساً بقدرٍ معيّنٍ اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين أو مقدراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه »[4] .

---

(١) سورة الطلاق ، الآية : (٣) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٨/٢٦٢) .

(٣) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٨/١٧٤) .

النقـــد :

ذكر أبو السعود معنى القضـاء بجميع مشتقـاته الواردة في اللغـة ، وهي بمعنى : الوحي ـ أراد ـ الخَلـق ـ الإتمـام ـ كَتَب ـ الحُكم ـ المـوت ، وغير ذلك ، وكلّ تلك المعاني ترجع إلى أصل معنى القضاء وهو إحكام الشيء وإتمام الأمر[1] .

وذكر ابن الأثير[2] أنّ أصل القضاء القَطْع والفَصْل . يُقال : قَضَى يَقْضِي قَضَاءً فهو قاضٍ ؛ إذا حَكَم وفَصَل . وقضـاء الشيء : إحْكَامه وإمْضَاؤه والفـراغ منـه ، فيكون بمعنى الخَلْق . والقضـاء في اللغـة على وجوه ، مـرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل مـا أحكم عمله ، أو أتمّ ، أو خُتم ، أو أُدِّي ، أو أُوجِب ، أو أُعلِم ، أو أُنفِذ ، أو أُمضِي ؛ فقد قُضِي[3] .

والقـــدر لغة مصدر قـدر يقدر بضم الدال وكسرها قَدْراً وقَدَراً بسكونها وفتحها . وله عدة معانٍ ، منها : الطاقة ، والتضييق ، والتقدير ، واليسار والغنى والقوة [4] .

وذكر لفظ القدر في القرآن أكثر من عشر مرات ، وكلّها تدور على أنّ أحداث الأرض والكون ، ووقائع التاريخ ، وكلّ ما ينزل من السماء ، وما يخرج

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص : (٤٠٦ ، ٤٢٣) .

(٢) هو المبارك بن محمد بن محمد الشَّيباني الجَزَرِي ، أبو السَّعادات ، مجد الدِّين ، الكاتب ابن الأثير القاضي المحدِّث الأصولي العلاّمة ، صاحب جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث . مات سنة ٦٠٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء : (٤٨٨/٢١) ، والأعلام : (٢٧٢/٥) .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث : (٧٨/٤) مادة (قضا) .

(٤) انظر القاموس المحيط : (١١٨/٢) ، ولسان العرب : (٣٥٤٥/٦) مادة (قدر) .

من الأرض ، وُزن بميزان الحكمة ، وقُدّر بمقدار ما تقتضيه رعاية الله لخَلْقه .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوْمٍ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُوْنَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُوْنٍ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِيْ كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيْضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٦) .

فالماء الهاطل ، والنبات النامي ، وكل ما خلق الله تعالى قد ظهر في دقةٍ

---

(١) سورة الحجر ، الآية : (٢١) .

(٢) سورة (المؤمنون) ، الآية : (١٨) .

(٣) سورة الحجر : الآية : (١٩) .

(٤) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

(٦) سورة الرعد ، الآية : (٨) .

وإحكامٍ وتقديرٍ عظيم من العزيز العليم .

وتدلّ الآيتان الأخيرتان على علم الله الواسع فهو سبحانه أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، وأحصى كلّ شيءٍ عدداً ، لا شيء يخرج عن علمه سبحانه سواء ما استتر في الأعماق ، أو ما ظهر في الآفاق .

كلّ شيءٍ مسجل عنده في كتابٍ حوى أخبار الكون أرضه وسمائه ، إنسه وجانه ، من خيرٍ وشرٍّ ، وسعادةٍ وشقاءٍ ، وثوابٍ وعِقابٍ ، وآجالٍ وأحوالٍ في الآمادِ البعيدةِ والآفاقِ الوسيعة والأغوار العميقة .

هذا علم الله صفةٌ كاشفةٌ للواقع ما كان وما سيكون في المستقبل[1] .

ومعنى القضاء اصطلاحاً : إبراز الكائن إلى الوجود بقدرة الله تعالى[2] .

يقول الدكتور كمال محمد عيسى[3] : « والقضاء والقدر معاً : عِلْم الله وإرادته كما يظهران على صفحة الحياة اليومية للبشر »[4] .

والقَدَر هو الخُطة الرَّبَّانيَّة الأزليَّة كما عَلِمَ اللّه تعالى وأراد ، وهو كما قال أبو السعود : « عبارة عن الإرادة الأزليَّة ، والعناية الإلهيَّة المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلّقها بالأشياء في أوقاتها »[5] .

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية سفينة النجاة للدكتور كمال محمد عيسى ص : (٤٢٠ ، ٤٢١) .

(٢) انظر العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ص : (٤٢٢) .

(٣) الدكتور كمال محمد عيسى ، من المعاصرين . وهو أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

(٤) العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ص : (٤٢٢) .

(٥) إرشاد العقل السليم : (٤/٢٥٤) .

وقال الإمام النووي في تعريف القدر : « إنَّ الله تبارك وتعالى قَدّر الأشياء في القِدَم ، وعَلِم سبحانه أنها سَتَقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ ، فهي تقع على حسب ما قَدَّرها سبحانه وتعالى »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر : « والمراد - أي : بالقدر - أنّ الله تعالى عَلِم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في عِلمه أنه يوجد ، فكلّ مُحْدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته ، وهذا هو المعلوم من الدِّين بالبراهين القطعية ، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة »[2] .

وقال ابن الأثير : « فالقضاء والقدر أمران مُتلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأنّ أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما ، فقد رام هَدْم البناء ونقضه »[3] .

والإيمان بالقدر - كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة - على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

« فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق : « فَأَوّل مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، قَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : مَا أَكْتُب ؟ قَالَ :

---

(١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم : (١/١٥٤) .

(٢) فتح الباري : (١/١٤٥) .

(٣) النهاية في غريب الحديث : (٤/٧٨) .

اكْتُبْ مَـا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ »[1] ، فمـا أصـاب الإنسـان لم يكن ليخطئـه ، ومـا أخطأه لم يكن ليصيبه ، جَفّت الأقلام وطُويت الصحف ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَـا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيْرٌ ﴾[2] ، وقال : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيْبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيْرٌ ﴾[3] ...

وأمـا الدرجة الثـانية : فهي مشيئـة الله النـافذة ، وقدرته الشـاملة ، وهي الإيمان بأنّ ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنّ ما في السمٰوات وما في الأرض مـن حركةٍ وسكون فهي بمشيئـة الله سبحانه ، لا يكون في ملكه إلا مـا يريد ، وأنه سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قدير من الموجودات والمعدومات .

فما من مخلوقٍ في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقـه سبحانه ، لا خالق غيره ولا ربّ سواه ، ومع ذلك فقـد أمـر العبـاد بطاعتـه وطاعة رسله ، ونهـاهم عن معصيتـه ، وهو سبحانه يُحبُّ المتَّقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصـالحات ، ولا يُحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمـر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ،

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة - باب في القدر (٧٦/٥ ح ٤٧٠٠) ، والإمام أحمد في المسند : (٣١٧/٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود : (٨٩٠/٣ ح ٣٩٣٣) .

ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة : (٥٠/١ ح ١٠٨) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده : (٧/٣ ح ٢٣٢٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى : (٣/٩) كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢٥٧/١ ح ١٣٣) .

(٢) سورة الحج ، الآية : (٧٠) .

(٣) سورة الحديد ، الآية : (٢٢) .

ولا يحب الفساد . والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبرّ والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيْمَ وَمَا تَشَاؤُوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ ﴾[١] »[٢] .

فيتضح من خلال ما تقدم أنّ الإيمان بالقدر يشمل الإيمان بأربع مراتب :

الأولى : العلم ، أي : أنّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون ؛ بعلمه الأزلي .

الثانية : الكتابة ، أي : أنّ الله عزّ وجلّ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ .

الثالثة : المشيئة ، أي : أن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، فليس في السموٰات ولا في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه ، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد .

الرابعة : الخلق ، أي : أن الله خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد .

فهذا هو مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وهي كثيرة جداً ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٣] .

---

(١) سورة التكوير ، الآيتان : (٢٨ ، ٢٩) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة : (١٤٨/٣ - ١٥٠) ، وانظر شرح العقيدة الواسطية ص : (١٥١ - ١٥٦) ، وشفاء العليل ص : (٢٩ - ٦٥) ، وقطف الثمر ص : (٩٠ ، ٩١) .

(٣) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْراً ﴾[١] .

ومنها ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ، حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْسُ ، أَوْ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ »[٢] .

وقال طاووس[٣] : « أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كلُّ شيءٍ بقدرٍ »[٤] .

وعنه عند اللالكائي أنه قال : « أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كلُّ شيءٍ بقدرٍ »[٥] .

وقال الحافظ ابن حجر : « ومذهب السلف قاطبة أنّ الأمور كلّها بتقدير الله تعالى »[٦] .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : (٢) .

(٢) الصحيح : كتاب القدر - باب كل شيء بقدر (٢٠٤٥/٤ ح ٢٦٥٥) .

(٣) هو طاووس بن كَيْسَان ، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجَنَدي ، الفقيه القدوة الحافظ عالم اليمن . مات سنة ١٠٦ هـ . انظرالطبقات الكبرى لابن سعد : (٥٣٧/٥) ، وتهذيب الكمال : (٣٥٧/١٣) ، وسير أعلام النبلاء : (٣٨) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب القدر - باب كل شيء بقدر (٢٠٤٥/٤ ح ٢٦٥٥) .

(٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (٥٣٥/٤) .

(٦) فتح الباري : (٤٧٨/١١) .

المطلب الثاني

خَلْقُ الأَفْعَالِ وَمَسْأَلَةُ الْكَسْبِ

العرض :

بيّن أبو السعود قضية خَلْق الأفعال ، وردّ على المعتزلة في زعمهم استقلال العبد في أفعاله ، والفرق بين مذهب أهل الحق وبين مسلك الجبرية بصورة مختصرة[1] .

فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَلُوْمُوْنِيْ وَلُوْمُوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾[2] :

« ... وليس مراده التّنصُّل عن توجّه اللائمة إليه بالمرة ، بل بيان أنهم أحقُّ بها منه ، وليس فيه دلالة على استقلال العبد في أفعاله كما زعمت المعتزلة ، بل يكفي في ذلك أن يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه ، فإنه سبحانه إنما يخلق أفعاله حسبما يختار ، وعليه تترتب السّعادة والشّقاوة ، وما قيل من أنه يستدعي أن يُقال : فلا تلوموني ولا أنفسكم ، فإنّ الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه مبني على عدم الفَرق بين مذهب أهل الحقّ وبين مَسلك الجبرية »[3] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ ﴾[4]:

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم : (٥/٤٢) .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : (٢٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٥/٤٢) .

(٤) سورة الصافات ، الآية : (٩٦) .

« إنه تعالى خَلَقكم وخَلَق ما تعملونه ، فإنّ جواهر أصنامهم ومادتها بخَلْقِه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه بإقدار تعالى إيّاهم عليه وخَلْقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدّواعي والعدد والأسباب .

﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ إما عبارة عن الأصنام ، فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للإيذان بأنّ مخلوقيتها لله عزَّ وجلَّ ليس من حيث نحتهم لها فقط ، بل من حيث سائر أعمالهم أيضاً من التّصوير والتّحلية والتّزيين ونحوها ، وإما على عمومه فينتظم الأصنام انتظاماً أولياً مع ما فيه من تحقيق الحقّ ببيان أن جميع ما يعملونه كائناً ما كان مخلوق له سبحانه .

وقيل : ما ، مصدرية ، أي : عملكم على أنه بمعنى المفعول .

وقيل : بمعناه ، فإن فعلهم إذا كان بخَلْق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك »[١] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٢] :

« من خيرٍ وشرٍّ وإيمانٍ وكفرٍ ، لكن لا بالجبر ، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها »[٣] .

وقال أيضاً : إن « استناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخَلْق إليه سبحانه وتعالى ، وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم ؛ لكون أفعالهم من حيث الكسب مستندة إليهم ، فإن

---

(١) إرشاد العقل السليم : (١٩٨/٧) .

(٢) سورة الزمر ، الآية : (٦٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٢٦١/٧) .

خَلْقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر ، بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح ، كما يعرب عنه قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[1] ، ونحو ذلك »[2] .

ثم بيّن أبو السعود أنّ التوسط بين الإفراط والتفريط هو رأس الفضائل كلّها ، ويندرج تحت ذلك أمور عديدة منها : القول بالكسب المتوسط بين الجَبْر والقَدَر[3] .

وقال عن فعل العبد في رسالة القضاء والقدر :

« فهو وإن كان من حيث الخَلْق مستنداً إلى الله تعالى ، لكنه من حيث الكسب مستند إلى العبد »[4] .

(١) سورة النساء ، الآية رقم : (١٥٥) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٣٧/١) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم : (١٣٦/٥) .

(٤) رسالة في القضاء والقدر لأبي السعود : (ق/٢٦/ب) .

النقـد :

يظهر مما تقدم أنّ أبا السعود يعتقد أن جميع أعمال العباد خيرها وشرّها مخلوقة لله عزّ وجلّ ، لكن لا بالجبر ، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها ، وهذا القول هو الوسط بين الجبرية والقدرية .

فالجبرية قالوا : إنّ الإنسان مجبور على أفعاله ، وأنه لا يقدر منها على شيء ، فهو كالريشة في مهبّ الريح ، وأول من عُرِف عنه القول بذلك هو الجهم بن صفوان[1] الذي كان من مقالته كما ذكر الأشعري : « أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز ، كما يقال : تحركت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس ، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه »[2] .

والمعتزلة قد تبنّوا مذهب القدرية في زعمهم أنّ أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال ، وجعلوا ذلك أصلاً من أصولهم التي قام عليها كيان الاعتزال ، وبسبب قولهم ذلك عُرفوا بالقدرية ؛ لنفيهم القدر[3].

قال ابن قيم الجوزية : « وقوله :﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ ﴾[4] ردٌّ على الجبرية

---

(١) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي مولى بني راسب ، وهو من أهل خراسان ورأس الجهمية ، وقد تتلمذ على الجعد بن درهم ، واتصل بمقاتل بن سليمان من المشبهة ، قُتِل سنة ١٢٨ هـ . انظر ميزان الاعتدال : (٤٢٦/١) ، والبداية والنهاية : (٢٨/١٠) .

(٢) مقالات الإسلاميين ص : (٣٣٨) .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ص : (٥٤٨) ، والفَرْق بين الفِرَق ص : (٩٤) ، والتدمرية ص : (٢٠٨) ، وشرح الطحاوية : (٢٨٥/٢) ، والتعريفات للجرجاني ص : (١١٦) .

(٤) سورة التكوير ، الآية : (٢٨) .

القائلين بأنّ العبـــد لا مشيئة له ، أو أن مشيئته مجرد علامة على حصول الفعل لا ارتباط بينها وبينه إلا مجرد اقتران عادي من غير أن يكون سبباً فيه .

وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّآ أَنْ يَشَـاءَ اللَّهُ ﴾[1] ردٌّ على القـدرية القـائلين بأنّ مشيئـة العبـد مستقلة بإيجـاد الفعـل من غير توقف على مشيئـة الله ، بل متى شاء العبد الفعـل وجد ، ويستحيل عندهم تعلّق مشيئة الله بفعـل العبد ، بل هو يفعله بدون مشيئة الله .

فالآيتان مبطلتان لقول الطائفتين ... والذي دلّت عليه الآية مع سائر أدلة التوحيد وأدلة العقل الصريح ، أنّ مشيئة العبـــاد من جملة الكائنات التي لا توجـد إلا بمشيـئة الله سبحانه وتعـالى ، فمـا لم يشـأ لم يكن ألبتَّـه ، كما أن ما شاء كان ولا بد »[2] .

فالجبرية محقّون في قولهم : إنّ الله خالق أفعـال العبـاد ، ومخطئون في قولهم : إن العبد ليس بفاعل لأفعاله في الحقيقة ، وإنما الفاعل هو الله تعالى .

والقدرية محقّون في : إثبات قدرة العبد على أفعاله ، وفعله لها ومسؤليته عنهـا ، ومخطئون في قولهم : إن العبـد خالق أفعـاله ، وإن الله ليس بخـالق لأفعال العبيد ، فأثبتوا خالقين مع الله سبحانه .

وأهـل السنـة قالوا بما مع الطائفتين مـن حَقٍّ ، فقـالوا : الله خالق أفعـال العباد على الحقيقة ؛ لأنّ العباد خَلْق له ، وأفعال المخلوقين مخلوقة ، لقوله

---

(١) سورة الإنسان ، الآية : (٣٠) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص : (٨١ ، ٨٢) .

تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] ... وقالوا : العبد فاعل لفعله حقيقة ، وقادر عليه بإقدار الله له عليه ، والله أثبت للعبيد فعلاً فقال : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[2]، وقال : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] ، ونحو ذلك ، وردّوا ما مع الطائفتين من باطل .

فلم ينفوا فِعْل العبد أصلاً كما قالت الجبرية ، ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون اللّه عزَّ وجلَّ كما قالت القدرية . وقد هدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه ، فعملوا بجميع النصوص الواردة في الباب ، ولم يضربوا بعضها ببعض .

فالجبرية عملوا بالنصوص الدَّالة على أنَّ الله خالق كلّ شيءٍ ، وأنّ كلّ شيءٍ بقدر الله وقضائه ومشيئته ، وأغفلوا ما دلّ منها على أنّ للعبد فعلاً وقدرة وإرادة .

والقدرية أخذوا بالنصوص الدَّالة على أن العبد هو الفاعل لفعله على الحقيقة ، وأن له قدرة وإرادة ومشيئة واختياراً ، وأهملوا ما دلّ منها على خَلْق الله لأفعال عبيده وعموم قدرته عليها ومشيئته لها .

والحقُّ هو إعْمال جميع النّصوص كلٌّ فيما دلّ عليه ، وهو ما هدى الله له أهل السنة ، فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تضارب أو تناقض ، والجمع بين ما في ظاهره شيء من ذلك ممكن عند أهل الحقِّ والعِلْم ... وهذا ما فعله أهل السنة ، فكانوا بذلك وسطاً بين

---

(١) سورة الصافات ، الآية : (٩٦) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (١٩٧) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٣٦) .

الطائفتين ، وجاء قولهم هـدى بين الضلالتين : ضـلالة الجبر المفضي إلى تعطيل الأمر والنهي ، وإبطال الثواب والعقاب ، وضلالة نفي القدر الذي حاصله وجود خالقين مـن دون الله ، وتجويز أن يكون في ملكه مـا لايقـدر عليه ولا يريده[1] .

والكسب عند أبي السعود مستند إلى فعل العبد بطريق الترتيب على ما عمله من خيرٍ أو شرٍّ .

وهو في ذلك يوافق مـذهب السلف الصالح ، ويخالف مذهب المتكلمين والأشاعرة في مسألة الكسب .

وحقيقة الكسب عند الأشاعرة جَبْرٌ مَحْضٌ ، وهو باطل قطعاً ، وقد عُدّ من المُحالات في علم الكلام[2] .

وله عندهم تعريفات عديدة ، وخلاصته :

أنه مقارنـة القـدرة الحادثـة والاختيـار للفعـل مـن غـير تأثـير فيه من العبـد .

وهو بمعنى آخر : مقارنـة قـدرة العبـد لقـدرة الـرَّب في أداء

---

(١) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كريم ص : (٣٨١ - ٣٨٣) .

(٢) ويُقال عنها : ثلاث من عجائب الكلام لا يُعلم لها حقيقة : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظّام ، ويُروَىٰ في ذلك قول الشاعر :

مِمَّا يُقَالُ وَلاَ حَقِيْقَةَ عِنْدَهُ ... مَعْقُوْلَة تَدْنُو مِنَ الأَفْهَامِ

الكَسْبُ عِنْدَ الأَشْعَرِيْ وَالحَالُ عِنْـ ... ـدَ الهَاشِمِيْ وَطَفْرَةُ النَّظَّامِ

انظر منهاج السنة النبوية : (٤٥٩/١)، ودرء تعارض العقل والنقل : (٤٤٤/٣ ، ٣٢٠/٨) ، وشرح القصيدة النونية للهرّاس : (٢٩/٢) ، وابن تيميّة السلفي ص : (٣٥) .

الفعـــل دون أن يكون لقـــدرة العبـــد أي تأثير[1] .

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميَّة غلط الأشاعرة في مسألة الكسب حين جعلوا الفعل هو المفعول ، فأوقعهم هذا في مأزق ما يسمونه بنظرية الكسب ، التي صارت علماً عليهم ، واشتهــروا بها ، ولم يستطيعوا التخلّص منها فقــال :

« والتحقيق ما عليه أئمــة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول ، والخَلق والمخلوق ؛ فأفعـال العبـاد هي كغيرهـا مـن المحْدَثات مخلوقة مفعولة لله ، كما أنّ نَفْسَ العبد وسائر صفاته مخلوقةٌ مفعولةٌ للّهِ ، وليس ذلك نَفْـس خَلْقـه وفِعْله ، بل هي مخلوقة ومفعولة ، وهـذه الأفعــال هي فعل العبد القائم به ، ليست قائمــة بالله ، ولا يتصف بها ؛ فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته ، وإنما يتصف بخَلْقـه وفِعْله ، كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته ، والعبد فاعل لهذه الأفعال ، وهو المتصف بها ، وله عليها قدرة ، وهو فاعلها باختيـاره ومشيئته ، وذلك كله مخلوق لله ، فهي فعل العبـد ، وهي مفعولة للرَّبِّ »[2] .

وقال ابن قيِّم الجَوزِية :

« ومعاذ الله والله أكبر وأجلّ وأعظم وأعزّ أنْ يكون في عبده شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيئته ، فما قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَن زَعَم ذلك ولا عَرَفه حقَّ معـرفته ولا عَظَّمـه حَقَّ تعظيمـه ، بل العبـد جسمه

(١) انظر الملل والنحل صـ : (٩٧ - ١٠١) ، وشرح المقاصد : (٣٨٩/٢) وتبصرة الأدلة : (٦٥٤/٢) ، ومجموع الفتـاوى : (٣٨٧/٨) ، ومنهـاج السنـة النبوية : (٣٢٣/١) ، والصفدية : (١٤٩/١ - ١٥٣) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١١٩/٢ - ١٢٠) .

وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكلّ ذرّة فيه مخلوق لله خَلْقاً تصرف به في عبده ... فهو عبد مخلوق من كلّ وجه وبكلّ اعتبار ، وفقره إلى خالقه وبارئه من لوازم ذاته ، وقلبه بيد خالقه وبين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء ، فيجعله مريداً لما شاء وقوعه منه ، كارهاً لما لم يشأ وقوعه ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن »[1] .

وقال أيضاً : « وهذا لا يعني أنّ العبدَ مجبورٌ لا اختيار له ، بل إن الله تعالى خَلَقَه على نشأةٍ وصفةٍ يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله ، وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذي خَلَقَه وكوّنه كذلك ، وهو لم يجعل نفسه كذلك ، بل خالقه وباريه جعله محدثاً لإرادته وأفعاله ، وبذلك أمره ونهاه ، وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب ، فأمره بما هو متمكن من إحداثه ، ونهاه عما هو متمكن من تركه ، ورتّب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتروك التي مكّنه منها وأقدره عليها وناطها به ، وفطر خَلْقه على مدحه وذمّه عليها مؤمنهم وكافرهم ، المقرّ بالشرائع منهم والجاحد لها ، فكان مريداً شائياً بمشيئة الله له ، ولولا مشيئة الله أن يكون شائياً لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائياً ، فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة ، وعرفه ما ينفعه وما يضرّه وأمره أنْ يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه »[2] .

فأفعال العباد إذن هي أفعالهم حقيقة ، ومفعولة للرب تعالى ، إذ الفعل غير المفعول ، فالعبد فعل فعله حقيقة ، وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية :

---

(١) شفاء العليل ص : (١٤٤) .

(٢) شفاء العليل ص : (١٣٧ ، ١٣٨) .

« والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة وخالق فاعليته ، وسرّ المسألة أن العبد فاعل منفعل ... فربُّه تعالى هو الذي جعله فاعلاً بقدرته ومشيئته وأقدره على الفعل وأحدث له المشيئة التي يفعل بها »[1] .

وقال الطحاوي : « والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل ، وأما الاستطاعة من جهة الصِّحة والوسع والتَّمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل ، وبها يتعلّق الخطاب ، وهو كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [2] »[3] .

وقال ابن أبي العزّ : « والذي قاله عامة أهل السنة : أنّ للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي ، وهذه قد تكون قبْلَه ، ولا يجب أن تكون معه ، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل ، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة »[4] .

وأفعال العباد الاختيارية هي خَلْقُ الله وكَسْب من العباد ، والكسب : هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر كما قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[5] ، ففعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله ، وليس هو ذات فعل الله ، فَفَرْقٌ بين

---

(١) شفاء العليل ص : (١٣١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٨٦) .

(٣) العقيدة الطحاوية - المطبوعة مع شرحها - : (١٧٤/٢) .

(٤) شرح الطحاوية : (١٧٤/٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٢٨٦) .

الفعل والمفعول والخَلْق والمخلوق[1] .

فأفعال العباد لها متعلّقان :

أحدهما : بالخالق تعالى ، فهذا قد اتفق فيه أهل السنة والجماعة والأشاعرة والماتريدية على أنّ الله خَلَق أفعال العباد .

والثاني : بالعبد ، وهل له قدرة أو لا ؟ وهل قدرته مؤثرة أو غير مؤثرة ؟[2] .

ويصرح الماتريدية بأنّ للعبد فعلاً حقيقة لا مجازاً [3] .

وحاصل مذهب الماتريدية أنّ للعبد اختياراً وقدرة مؤثرة ، لكن تأثير قدرته في كون الفعل طاعة أو معصية ، فقدرته مؤثرة في وصف الفعل ، وأما قدرة الله تعالى فهي مؤثرة في أَصْل الفعل وهو خَلْقُه وإيجادُه[4] .

فقول أبي السعود ومذهب الماتريدية موافقان لمذهب السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر شرح الطحاوية : (٢/١٨٨) .

(٢) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود : (٣/١٣٠) .

(٣) انظر شرح الفقه الأبسط لأبي الليث السمرقندي ص : (١٢) ؛ نقلاً عن الماتريدية للشمس السلفي : (١/٤٥٣) ، وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي : (٢/٥٩٤) .

(٤) انظر إشارات المرام للبياضي ص : (٥٥) ، والماتريدية للشمس السلفي : (١/٤٥٥) .

الفصل الثاني

النبــــــوات

- المبحث الأول : تعـريف النبي والرسول .
- المبحث الثاني : الإيمـان بالأنبياء والرسل .
- المبحث الثالث : صفـات الأنبياء والرسل .

المبحث الأول

تعريف النبي والرسول

العـــرض :

التعريف اللغوي :

لم أجد لأبي السعود كلاماً في تعريف النبي والرسول لغةً ، واستكمالاً لهذا المبحث أضيف ذلك فأقول :

النبي في اللغـــة يأتي مهموزاً (النبيء) ، ويأتي غير مهموز (النبي) . فأما المهمـــوز فهو مشتقّ من النبـــأ ، وهو الخبر ، ومنه الإنباء ، أي : الإخبار ، كما في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُوْنَ ۝ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيْمِ ﴾[1] .

قال ابن الأثـــير :

« النبيء فعيل بمعنى فاعـل للمبالغـــة من النبأ : الخبر ؛ لأنه أنبأ عن الله ، أي : أخـــبر، ويجـــوز فيه تحقيق الهمـــز وتخفيفـــه ، يقـــال : نَبأَ ونَبّأَ وأَنْبأَ »[2] .

---

(١) سورة النبأ ، الآيتان : (١ ، ٢) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : (٣/٥) مادة (نبأ) .

وقال الجوهري[1] : « وهو فعيل بمعنى مفعول ، وتصغيره نُبَيٌّ ، والجمع أنبياء »[2] .

وقال ابن بَرّي[3] : « صوابه أن يقول : فَعِيل بمعنى مُفْعِل ، مثل نذير بمعنى مُنْذِر ، وأليم بمعنى مُؤْلِم »[4] .

وقال سيبويه[5] : « ليس أحد من العرب إلا ويقول : تَنَبَّأَ مُسيلمة ، بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز في النبيّ ، كما تركوه في الذُّرِّيَّة ، والبَرِيَّة ، والخَابِيَة ، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب بذلك »[6] .

قال : والهمز في النبي لغة رديئة ، أي : لقلة استعمالها ، لا لكون القياس يمنع ذلك[7] .

---

(١) هو إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، أبو النصر الفارابي ، إمام في النحو واللغة والصرف ، من أشهر كتبه الصِّحاح والعروض . مات سنة ٣٩٨ هـ . انظر إشارة التّعيين في تراجم النُّحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني ص : (٥٥) ، وسير أعلام النبلاء : (٨٠/١٧) ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزابادي ص : (٦٦) ، والأعلام : (٣١٣/١) .

(٢) الصحاح : (٢٥٠٠/٦) .

(٣) هو عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبّار بن بَرّي المقدسي ، أبو محمد ، الإمام اللغوي ، رئيس النحاة بمصر ، له حواشٍ على كتاب الصحاح . مات سنة ٥٨٢ هـ . انظر إشارة التّعيين ص : (١٦١) ، وسير أعلام النبلاء : (١٣٦/٢١) ، والبلغة ص : (١٢١) ، والأعلام : (٧٣/٤) .

(٤) لسان العرب : (٤٣٥١/٧) ، مادة : (نبأ) ، وانظر تاج العروس : (١٣١/١) .

(٥) هوعمرو بن عثمان بن قَنبر مولى بني الحارث بن كعب ، أبو بشر ، الملقّب بـ «سيبويه» ، إمام النحاة ، وأول مَن بسط علم النحو . مات سنة ١٨٠ هـ . انظر إشارة التعيين ص : (٢٤٢) ، والبلغة ص : (١٦٣) ، والأعلام : (٨١/٥) .

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : (٤/٥) مادة (نبأ) .

(٧) انظر تاج العروس : (١٣١/١) .

وقال الزَّبِيْدِي[1] : « نبأته أبلغ من أنبأته ، قال تعالى : ﴿ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُ ﴾[2] ، لم يقل : أنبأني ، بل عدل إلى نبأ الذي هو أبلغ تنبيهاً على تحقيقه ، وكونه من قبل الله تعالى »[3] .

وقال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيْ أَنِّيْ أَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ ﴾[5] .

ومن المهموز شعر عَبَّاس بن مِرْدَاس[6] رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

يَا خَاتَمَ النُّبَـــــآءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ ... بِالْخَيْرِ كُلُّ هُدَى السَّبِيْلِ هُدَاكَا

إِنَّ الإِلَهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّـــــةً ... فِي خَلْقِـــــهِ وَمُحَمَّـــداً سَمَّاكَا[7]

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبِيْدي ، أبو الفيض ، الملقّب بـ « مرتضى » ، علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب . أصله من العراق ، ومولده بالهند ، ومنشأه في زَبِيْد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر. له تاج العروس، واتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، وعقد الجمان في بيان شعب الإيمان . مات سنة ١٢٠٥ هـ انظر الأعلام : (٧/٧٠) .

(٢) سورة التحريم ، الآية : (٣) .

(٣) تاج العروس : (١/١٣١) .

(٤) سورة الحجر ، الآية : (٤٩) .

(٥) سورة الحجر ، الآية : (٥١) .

(٦) هو العبَّاس بن مِرْداس بن أبي عامر السلمي ، أبو الهيثم ، من مضر ، شاعر فارس من سادات قومه ، أمه الخنساء الشاعرة ، أدرك الجاهلية والإسلام . شهد مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً . مات سنة ١٨ هـ . انظر الإصابة في تمييز الصحابة : (٤/٣١) ، والأعلام : (٣/٢٦٧) .

(٧) انظر النهاية في غريب الحديث : (٥/٤) مادة (نبأ) ، وتاج العروس : (١/١٣١) .

وأما غير المهموز فهو من النَّبْوَة والنَّبَاوَة ، وهو ما ارتفع من الأرض .

وقيل : النبي هو الطريق الواضح ؛ لأنَّ العرب تطلق لفظ النبي على عَلَم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، وسمي النبي بذلك ؛ لأنه عَلَم يهتدي به الخَلْق إلى الله تبارك وتعالى[1] .

قال الجوهري :

« يقال نبأت على القوم إذا طلعت عليهم ، ونبأت من أرض إلى أرض ، إذا خرجت من هذه إلى هذه .

قال : وهذا المعنى أراده الأعرابي بقوله : يا نبيء الله ؛ لأنه خرج من مكة إلى المدينة ، فأنكر عليه الهمز ؛ لأنه ليس من لغة قريش »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة :

« والتحقيق أنَّ هذا المعنى داخل في الأول ، فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه ، فلا يكون إلا رفيع القدر علياً ، وأما لفظ العلوّ والرِّفعة فلا يدل على خصوص النبوة ، إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي ، بل يوصف بأنه الأعلى ، كما قال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾[3] ، وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز ...

---

(١) انظر الصحاح للجوهري : (٢٥٠٠/٦) ، ولسان العرب : (٤٣١٥/٧) مادة (نبأ) ، والقاموس المحيط : (٣٠/١) .

(٢) الصحاح للجوهري : (٢٥٠٠/٦) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٩) .

واللفظان مشتركان في الاشتقاق الأكبر[1]، فكلاهما فيه النون والباء ، وفي هذا الهمزة ، وفي هذا الحرف المعتلّ ، لكن الهمزة أشرف ، فإنها أقوى ... ويمكن أن تلين فتصير حرفاً معتلاً ، فيعبر عنه باللفظين ، بخلاف المعتل ، فإنه لا يجعل همزة ، فلو كان أصله نبي ، مثل علي ووصي وولي ، لم يجز أنْ يُقال بالهمز ، كما لا يُقال عليء ووصيء ووليء بالهمز ، وإذا كان أصله الهمز جاز تَلْيِيْن الهمزة »[2] .

ومن غير المهموز ما رواه الإمام مسلم بسنده عن البراء بن عازب[3] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوْءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيْ إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِيْ إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِيْ إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِيْ أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِيْ أَرْسَلْتَ ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ

---

(١) الاشتقاق في اللغة : هو أخذ شقّ الشيء . وفي الاصطلاح : أن تجد بين اللفظين تناسباً في المعنى والتركيب ، فَتَرُدّ أحدهما إلى الآخر . والاشتقاق عند الجرجاني : نَزْع لفظٍ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ومغايرتها في الصِّيغة . وهو أنواع : فالصغير : أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب ، نحو : ضرب من الضرب . والكبير : أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب ، نحو : جبذ من الجذب . والأكبر : أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج ، نحو : نَعَق من النَّهْق . انظر كتاب الاشتقاق لأبي سعيد عبد الملك الأصمعي ، وكتاب التعريفات للجرجاني ص : (٢٧) ، وكتاب العَلم الخفّاق من علم الاشتقاق لصديق حسن خان .

(٢) كتاب النبوات ص : (٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٣) هو البراء بن عازب بن الحارث ، أبو عُمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة . مات سنة ٧١ هـ وقيل : ٧٢ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٣٦٤/٤) ، وسير أعلام النبلاء : (١٩٤/٣) ، والإصابة في تمييز الصحابة : (١٤٧/١) .

وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْـرَةِ . قال : فَرَدَّدْتُهـنّ لأستـذكرهن ، فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت . قال : « قُلْ : آمَنْتُ بِنَبِيّكَ الَّذِيْ أَرْسَلْتَ »[١] .

قال ابن الأثـير : « إنما ردّ عليـه ليختلفـ اللفظـان ، ويجمع له الثناءين ؛ معنى النبوة والرسالة ، ويكون تعديداً للنعمة في الحالين ، وتعظيماً للمِنّة على الوجهين »[٢] .

والرسول لغة : مشتقٌّ مـن الإرسـال ، ومعنـاه : البعث والتَّوجيـه ، قال تعالى حكاية عن مَلِكة سبأ : ﴿ وَإِنِّيْ مُرْسِـلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَـدِيَّةٍ فَنَـاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴾[٣] ، ويُجمع الرسـول على أَرْسُـل ورُسُـل ورُسَـلاء ، وسُمُّوا بذلك ؛ لأنهم مبعوثون وموجّهون من قِبَل الله عزّ وجلّ لتبليغ الخَلْقِ أمرَ الله ووَحْيه [٤] .

قال الزَّبِيْدِي : « الرسول المرسـل ، فهو فعول بمعنى مفعول ، يقـال : أرسلته فهو مُرْسَل ورسـول ، ويكون بمعنى الرسـالة ، قال الله تعـالى : ﴿ فَأْتِيَـا فِرْعَوْنَ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَـمِيْنَ ﴾[٥] ، وقال تعـالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلاَ رَبِّكَ ﴾[٦] ، جاء في الآية الأولى : ﴿ إِنَّا رَسُـوْلُ ﴾ ، وفي

---

(١) الصحيح في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع : (٢٠٨١/٤ ح ٢٧١٠) ، وانظر صحيح الإمام البخاري في كتاب الوضوء - باب فضل من بات على الوضوء : (٤٢٦/١ ح ٢٤٧) ، وفي كتاب الدعوات - باب إذا بات طاهراً : (١١٢/١١ ح ٦٣١١) .

(٢) النهاية في غريب الحديث : (٤/٥) .

(٣) سورة النمل ، الآية : (٣٥) .

(٤) انظر الصحاح : (١٧٠٩/٤) ، ولسان العرب : (١٦٤٣/٣) مادة (رسل) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : (١٦) .

(٦) سورة طه ، الآية : (٤٧) .

الثانية :﴿ إِنَّا رَسُوْلاَ ﴾ ؛ لأنَّ فَعُولاً وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، ويجوز التَّثنية والجمع ، فيُجمع على رُسُل بضمَّتين »[1] .

وقال الزمخشري : « الرسول يكون بمعنى المرسَل ، وبمعنى الرسالة ، فجعل ثم[2] بمعنى المرسَل ، فلم يكن بُدّ من تثنيته ، وجعل ههنا [3] بمعنى الرسالة ، فجازت التَّسوية فيه ، إذْ وُصف به بين الواحد والتثنية والجمع ، كما يفعل بالصفة بالمصادر[4] »[5] .

التعريف الاصطلاحي :

اختلف علماء العقيدة كثيراً في تحديد معنى النبي والرسول اصطلاحاً ، وقد ذكر أبو السعود بعض أقوالهم ، إلا أنه لم يرجِّحْ شيئاً منها ، وقد اكتفى بسَرْد تلك الأقوال ، وصدّرها بالقول القريب من التعريف المشهور والشائع في كتب العقيدة ، وهذه الأقوال التي نقلها أبو السعود في تفسيره - والتي سأبيِّنها قريباً إن شاء الله تعالى - هي من أقوال العلماء الذين فرّقوا بين النبي والرسول في التعريف ، حيث إن تلك التعريفات تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : تعريفات الذين لم يفرّقوا بين النبي والرسول .

والقسم الثاني : تعريفات الذين فرّقوا بين النبي والرسول[6] .

---

(١) تاج العروس : (٣٤٤/٧) .

(٢) أي في قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلاَ رَبِّكَ ﴾ سورة طه ، الآية : (٤٧) .

(٣) أي في قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ سورة الشعراء ، الآية : (١٦) .

(٤) كذا قوله : « كما يفعل بالصفة بالمصادر » ، ولعله : « كالوصف بالمصدر » ، كما نقل ذلك عنه الزَّبِيْدِي في تاج العروس : (٣٤٤/٧) .

(٥) الكشاف : (١٠٧/٣) .

(٦) انظر تعريفات هذين القسمين في كتاب النبي والرسول للدكتور أحمد الحمد ص : (١٤ - ٢٣).

وهذه التعريفات التي نقلها أبو السعود كما يأتي :

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[1] :

« الرسول مَن بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها ، والنبي يعمُّه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ...

فالنبي أَعَمُّ من الرسول ، ويدلُّ عليه أنه صلى الله عليه وسلم سُئل عن الأنبياء ، فقال : مائةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُوْنَ أَلْفاً . قيل : فكم الرسل منهم ؟ فقال : ثَلَاثُمَائَة وَثَلَاثَة عَشَر جمّاً غفيراً[2] .

وقيل : الرسول مَن جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه ،

---

(١) سورة الحج ، الآية : (٥٢) .

(٢) وهو حديث طويل عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، رواه ابن حبان في صحيحه في النوع الثالث من القسم الأول ، وقال ابن حبان : قلت : فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، قال أبو حاتم وغيره : كذاب . انظر موارد الظمآن : (ص ٥٢ ح ٩٤) ، ورواه الإمام أحمد في المسند : (١٧٨/٥ ، ١٧٩) وفي إسناده عبيد الخَشْخَاش وهو ليّن ، ومن طريق آخر رواه الحاكم في المستدرك : (٥٩٧/٢) وسكت عنه ، والبيهقي في أول شعب الإيمان : (١٤٩/١ ح ١٣٢) ، وفي السنن الكبرى : (٤/٩) ، وفي إسنادهم يحيى بن سعيد السعدي وهو ضعيف ، وله طريق ثالث رواه الإمام أحمد في المسند عن أبي أمامة رضي الله عنه : (٢٦٥/٥ - ٢٦٦) بلفظ : « ثَلَاثُمَائَة وَخَمْسَة عَشَر » ، وفي سنده معان بن رفاعة السلامي وعلي بن يزيد الدمشقي والقاسم بن عبد الرحمن وثلاثتهم ضعفاء ، وذكر ابن حجر أنَّ ابن الجوزي أفرط فذكره في الموضوعات ، ولم يُصِبْ في ذلك ؛ فإن له طريقاً أخرى وفيها يحيى بن سعيد السعدي وغيره وهو ضعيف ، ولكن لا يتأتى الحكم بالوضع مع هذه المتابعة . وقد صحّح الألباني إسناد روايات الإمام أحمد في حاشية مشكاة المصابيح . انظر تخريج أحاديث الكشاف للحافظ الزيلعي : (٣٨٨/٢ ح ٨٢٢) ، ومشكاة المصابيح : (١٥٩٩/٣ ح ٥٧٣٧ رقم ٤٠) .

والنبي غير الرسول من لا كتاب له .

وقيل : الرسول مَن يأتيه المَلَك بالوحي ، والنبي يقال له ولمن يُوحىٰ إليه في المنام »[1] .

إلا أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُوْلاً نَبِيّاً ﴾[2] :

« فيه دلالة على أنَّ الرسول لا يجب أنْ يكون صاحب شريعة ؛ فإنَّ أولاد إبراهيم عليه السلام كانوا على شريعته »[3] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾[4] :

« الذين يتبعون (الرسول) : الذي نوحي إليه كتاباً مختصاً به . (النبي) : أي صاحب المعجزة ، وقيل : عنوان الرسالة بالنسبة إليه تعالى ، وعنوان النبوة بالنسبة إلى الأمة »[5] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُوْلُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ ﴾[6] :

« ولكل أمة من الأمم الخالية رسول يبعث إليهم بشريعةٍ خاصَّةٍ مناسبةٍ

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٦/١١٣) .

(٢) سورة مريم ، الآية : (٥٤) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٥/٢٧٠) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : (١٥٧) .

(٥) إرشاد العقل السليم : (٣/٢٧٩) .

(٦) سورة يونس ، الآية : (٤٧) .

لأحوالهم ؛ ليدعوهم إلى الحقّ »[1] .

النقـــد :

نقل أبو السعود كما تقدم ثلاثة أقوال للعلماء في تعريف النبي والرسول ، وقد نقلها بتمامها من تفسير البيضاوي[2] ، ولم يصرّحا بترجيح شيءٍ منها .

فأما القول الأول : وهو أنَّ الرســول مَن بعثه الله تعالى بشريعــةٍ جديدةٍ يدعو النــاس إليها ، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعةٍ سابقةٍ ، فلعلّ البيضاوي وأبا السعود - والله أعلم - يميلان إلى هذا التعريف ؛ لأنهما ذكراه في أول التعريفات مع التَّمثيل له والتَّدليل ، ونقلا غيره بصورة التَّمريض : قيل : كذا ، وقيل : كذا .

وقد انْتَقَد الدكتور أحمد بن ناصر الحمد هذا التعريف قائلاً : إنَّه تعريفُ جامعُ مانعُ مِن دخول مَن ليس رسولاً ولا نبياً في عدادهم ، ولكنَّه غيرُ جليّ في تحديد الرسل الأنبيـاء مـن الأنبيـاء فقط ، حيث إنَّ هنـاك رسـلاً لم يأتوا بشرائع ، وإنما كانوا على شرائع الرسل السابقين لهم[3] .

وقد قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة : « وليس مِـن شرط الرسول أنْ يأتي بشريعةٍ جديدةٍ ، فإنَّ يوسف كان رسولاً ، وكان على مِلّة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة . قال تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا

(١) إرشاد العقل السليم : (١٥١/٤) .

(٢) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٩٢/٢ - ٩٣) .

(٣) انظر النبي والرسول ص : (٦٤) .

هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيْسَى وَأَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهَارُوْنَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوْراً ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوْسَى تَكْلِيْماً ﴾[2] »[3] .

وأما القول الثاني الذي نقله أبو السعود وقبله البيضاوي فهو بنحو قول الزمخشري ، حيث قال في تفسيره : « إنَّ الرسول مِن الأنبياء مَن جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبي غير الرسول مَن لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أمر أنْ يدعو الناس إلى شريعة مَن قَبْلَه »[4] .

ونقل أبو البركات النَّسَفِي عنه هذا القول أيضاً في تفسيره بنحوه ، ثم أضاف بعده قائلاً :

« وقيل : الرسول واضع شرع ، والنبي حافظ شرع غيره »[5] .

ويُعترَض على هذا القول بما قيل في نقد القول الأول ، مِن أنَّ هناك رسلاً

---

(1) سورة غافر ، الآية : (٣٤) .

(2) سورة النساء ، الآية : (١٦٣) .

(3) كتاب النبوات : (٢٥٧) .

(4) الكشاف : (٣/١٨ - ١٩) .

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢/١٢٠) .

لم يأتوا بشـرائع جديدة ، ثم إنَّ عدد الرسـل[1] وعدد الكتب[2] يدل على أن هناك رسلاً لا كُتُب لهم[3] .

وأما القول الثالث فهو الذي ذهب إليـه الفخـر الرازي[4] في تفسيره ، حيث عرّف النبي بأنه الذي يرى في النوم كونه رسولاً ، أو يخبره أحد مـن الرسـل بأنه رسول ، وأما النبي الرسـول فهو من جاءه المَلَك ظاهـراً ، وأمره بدعوة الخَلْق [5] .

ويعترض على هـذا التعريف بأنه تعـريف غير مانع ؛ لما يتحتَّم منعـه من إرسـال النسـاء ، ولأنَّ ثبوت النّبـوة لمجـرّد رؤيا ذلك منـاماً غير صحيـح ، ولا تعتبر وحيـاً ولا حقّـاً إلا بعـد ثبوت النبوة فالعصمة ، فتكون رؤيا الأنبياء حقاً[6] .

---

(١) بلغ عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً ، أو ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً ، كما تقدم في ص : (٤٣٦) من هذه الرسالة .

(٢) بلغ عددها مائة وأربعة كتب ، وقد نقـل السيوطي رواية عدد الكتب التي أنزلها الله تعالى من السماء فقال : « أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنـه ، قال : قلت يا رسول الله : كَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ؟ قَالَ : مِائَةُ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ » الحديث . انظر : الدر المنثور للسيوطي : (٤٨٩/٨) ، وإرشاد العقل السليم : (١٤٧/٩) .

(٣) انظر النبي والرسول ص : (٦٧) .

(٤) تقدمت ترجمته في ص : (٣٨٣) .

(٥) انظر التفسير الكبير : (٤٩/٢٣) .

(٦) انظر تفصيل النقد على ذلك من عدة أوجه في النبي والرسول ص : (٦٨ - ٩٠) .

وأما القول المشهور والشائع في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما فهو:

« أنَّ الرسول مَن أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه ، والنبي مَن أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه ، فالرسول أخصّ من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً » . وهذا التعريف مذكور في كثير من كتب العقيدة[1] .

لكن قد يَرِد اعتراض على هذا التعريف ، وهو أنه تعريف غير مانع من جواز دخول ما يمنع مثل كون الملك نبياً ، ولا مِن أن يكون في الجنّ والنِّساء أنبياء ، وبالتالي فهو لم يُراعِ حدّ التعريف وهو كونه جامعاً مانعاً [2] .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في بيان معنى النبي والرسول : « النبي هو الذي ينبّئه الله ، وهو ينبىء بما أنبأ الله به ، فإنْ أُرسل مع ذلك إلى مَن خالف أَمْرَ الله ليبلِّغه رسالةً مِن الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ، ولم يُرسل هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً فهو نبي وليس برسول . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه ﴾[3] .

وقوله : ﴿ مِنْ رَسُوْلٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾ فذكر إرسالاً يعمّ النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، فإنَّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى

(١) انظر كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص: (٢٣٧ - ٢٣٨)، وكتاب النبوات ص : (٢٥٥) ، وشرح الطحاوية : (١٨٨/١)، ولوامع الأنوار البهية : (٤٩/١) ، وغيرها .

(٢) انظر النقد على هذا التعريف بالتفصيل في النبي والرسول ص : (٩٧ - ١٠٢) .

(٣) سورة الحج ، الآية : (٥٢) .

مَن خالف الله كنوح ... »[1] .

وقال شيخ الإسلام عن الأنبياء بأنهم هم الذين « يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول ، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة ، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معيّنة ، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن ، كما فهّم الله سليمان [حُكْمَ][2] القضية التي حَكَمَ فيها هو وداود .

فالأنبياء يُنبّئُهم الله فيُخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم يُنَبّئون المؤمنين [بما][3] أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي ، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ولا بد أن يكذّب الرسلَ قومٌ ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ قَالُوْا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ ﴾[4]، وقال : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيْلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[5] ، فإن الرسل ترسل إلى مخالفين ، فيكذبهم بعضهم ، وقال : ﴿ وَما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُوْنَ ۞ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوْا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ

(١) كتاب النبوات : (٢٥٥) .

(٢) في النص : « حكيم » ، والصواب ما أثبته .

(٣) في النص : « بهم ما أنبأهم » ، والصواب ما أثبته .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : (٥٢) .

(٥) سورة فصلت ، الآية : (٤٣) .

بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[1] ، وقال :﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[2] .

فقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾[3] دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق ؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقٌّ كالعالم ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنبِيَاء »[4] »[5] .

وقد بحث أستاذنا الدكتور أحمد بن ناصر الحمد اختلاف العلماء في تحديد معنى النبي والرسول ، وكشف مبنى هذا التعريف ومؤدّاه من خلال عَرْض الآراء والمذاهب فيه ونقدها والخلوص إلى الراجح منها ، ثم جلّى هذا التعريف بصورة مختصرة جداً بعد أنْ طوّف في أكثر مباحثه ومتعلقاته ؛ لبيان الشروط وشرحها ، وذكر الفروق ونقدها ، فقال في خلاصته عن

---

(١) سورة يوسف ، الآيتان : (١٠٩ ، ١١٠) .

(٢) سورة غافر ، الآية : (٥١) .

(٣) سورة الحج ، الآية : (٥٢) .

(٤) جزء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه . رواه أبو داود في سننه : كتاب العلم - باب الحث على طلب العلم : (٥٧/٤ ح ٣٦٤١) ، والترمذي في كتاب العلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة : (٤٧/٥ ح ٢٦٨٢) ، وابن ماجه في المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : (٨١/١ ح ٢٢٣) . وقال الترمذي عقب هذا الحديث: « ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوه ، وليس هو عندي بمتصل هكذا : حدثنا محمود بن خِدَاش بهذا الإسناد ، وإنما يُروَى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوه عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أصح من حديث محمود بن خِدَاش » .

(٥) كتاب النبوات : (٢٥٥ - ٢٥٧) .

التعريف المختار ما نصُّه :

« التعريف الصحيح للنبي والرسول ، والذي لا يعتبر مفاجأة بالنسبة لأحد ، بل هو محفوظ الكثيرين ، وهو الشائع في كتب المتقدمين ، لكنهم قليلون الذين يَعرفون مَبْناه ، ويُدركون مُحْتَواه ، فيستطيعون ردّ الواردات التي يوردها عليه معارضوه ، وهو :

النبي فقط : إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرٌ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيْغِهِ .

والنبي الرسول : إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرٌ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيْغِهِ »[1].

ثم وضّح هذا التعريف وشرحه قائلاً :

« إذا حصل وحي الله تعالى لأحدٍ من البشر بشيءٍ يتعلّق بذاته ، وليس شرعاً ، ولا تهيئة شرع ، وإنما بشارة أو توجيه أو نحو ذلك ، فهو ليس نبياً بمجرّد هذا الوحي ، سواء أكان على شريعة ، أم لم يكن .

وأما إنْ كان على دِيْنٍ وشريعةٍ ، والأُمَّة التي هو فيها كذلك ، والوحي إليه بمقتضيات ذلك الشرع القديم ، تأكيداً للعمل به ولزومه ، والدعوة إليه ، فهو والحالة هذه نبي ليس برسول .

وأما إنْ كان على دِيْنٍ وشريعةٍ ، والأُمَّة التي هو فيها ليست كذلك ،

---

(١) النبي والرسول للدكتور أحمد بن ناصر الحمد ص : (١٤٢ - ١٤٣) .

لكون هـــذا الوحي إليهم جديداً ، أو لم يكن لكنهم بدّلوه أو نسوه كُلاًّ أو جزءاً ، والوحي إليـه بلزوم تلك الشريعـــة ، وتبليغهـا تلك الأمـة ودعوتهم إليها ، فهو والحالة هذه نبي رسول .

وأمـا إن كان على دِيْنٍ وشـريعةٍ أيضـاً ، والأمـة التي هو فيهـا كذلك ، والوحي إليه بنســخ أشياء منها ، ودعــــوة الناس إلى لزوم ما هم عليه مما لم ينسخ ، وتبليغهم مــــا نسخ ، ودعوتهم إلى الأخذ بالناسـخ ، وترك المنسوخ ، فهو والحالة هذه نبي رسول »[1] .

وقال في خاتمة بحثه أيضاً :

« إنَّ مَن أتى بشرعٍ جديدٍ فهو النبي الرسول .

ومــن أتى بشــرعٍ قديمٍ ، فينظــر إلى حال قومــه ؛ فإن كانوا على ذلك الشــــرع ولم ينكروه ولا شيئاً منه ، فهذا المبعوث فيهم نبي فقط ؛ لأن مَن تَبَلَّغ لا يُبَلِّغ ، وإنما يُدْعَى .

وإنْ كانوا قد نســوه أو شيئـاً منــه ، أو غيّروا فيـه ، أو هو قد أتى بنسخ بعـض أحكامــه ، أو كان الشـرع قديماً لكنـه بالنسبـة إليهم جديد ، فهو نبي رســـول .

فالرسول مبلِّغ داعيـة ، والنبي داعيـة فقط ؛ حيث لا مجهول فيمـا أتى به قومه ، وإنما كان منهم التقصير في العمل »[2] .

(١) النبي والرسول ص : (١٤٣ - ١٤٤) .

(٢) المرجع السابق ص : (١٤٨) .

وكان من أبرز ما استطلعه من نتائج بحثــه القيّم ، ما يأتي :

* إنَّ الخلط بين معنى التبليغ والدعوة أوقع بعض الناس في تخطئة معرّفي النبــــوة .

* الاعتماد على أدلة القرآن دون أدلة السنة من أسباب الخطأ .

* إنَّ النبــوة لا تحصل بمجرّد الوحي ، ولا تكون بدونه [1] .

---

(١) انظر المرجع السابق ص : (١٤٨) .

المبحث الثاني

الإيمان بالأنبياء والرسل

العرض :

يقول أبو السعود إن إرسال الرسل إلى المكلّفين نعمة عظيمة من نعم الله عزّ وجلّ لا يكافئها نعمة قط[1] ، وأوضح أنهم ذوو عددٍ كثير ، وأُولو شأن خطير ، من أجل أن يقرّروهم على مراعاة حقوق الميثاق ، ويطلعوهم على ما يَأْتُون ويَذَرُون في دِينهم ، ويتعهدوهم بالعِظَة والتَّذكير [2] .

وأنَّ مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم في أنفسهم ، بل هو مِن حيث مجيئهم من عند اللّه تعالى لإرشاد الخَلْق إلى ما شرع لهم من الدِّين والأوامر والنواهي ، وأنَّ من الإيمان بهم ألا نفرّق بينهم ، بأنْ نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين ؛ بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم .

وقد جعل الله تعالى الإيمان ببعض رسله والكفر ببعضهم الآخر كفراً بجميعهم ، ثم جعل الكفر بجميعهم كفراً به .

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُوْلُوْنَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يَتَّخِذُوْا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُوْنَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَذَاباً أَلِيْماً ﴾[3] :

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم : (١/١٧٨) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم : (٣/٦٣) ، (٧/١٩٥) .

(٣) سورة النساء ، الآيتان : (١٥٠ ، ١٥١) .

« نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ ، أي : نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ، كما قالت اليهود : نؤمن بموسى والتوراة وعُزَير ، ونكفر بما وراء ذلك ، وما ذاك إلا كُفْرٌ باللّه تعالى ورسله ، وتَفْريقٌ بين الله تعالى ورسله في الإيمان ؛ لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام ... فمَن كَفَر بواحدٍ منهم فقد كَفَرَ بالكلّ وبالله تعالى أيضاً من حيث لا يحتسب»[1].

وقال أيضاً : « إنَّ مَن كَذَّب واحداً من الأنبياء عليهم السلام فقد كَذَّب الجميع ؛ لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي [لا تختلف][2] باختلاف الأمم والأعصار »[3] .

وقال أيضاً : « إنَّ الكفرَ بكتابٍ أو برسولٍ كفرٌ بالكلّ »[4] .

فثبت أن حُسن المآب إنما يكون لمن لم يفرّق بين رسل الله عزَّ وجلَّ ، وآمن بجماعتهم ، وهذا الإيمان يكون بالاعتقاد الجازم بأنَّ الله تعالى اصطفى مِن عباده رسلاً لدعوةِ الناس إلى التوحيدِ ، وردّهم إلى دِيْن الإسلام وإلى الفطرة السوية ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّيْنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ ﴾[5] .

قال أبو السعود في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِيْنَ إِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ ﴾[6] :

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٢٤٨/٢) .

(٢) في النص : « لا تخلف » ، والصواب ما أثبته .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٨٧/٥) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٢٤٣/٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٢١٣) .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : (٤٨) .

« حالان مقدّرتان من المرسلين ، أي : ما نرسلهم إلا مقدراً تبشيرهم وإنذارهم ، ففيهما معنى العلّة الغائيّة قطعاً ، أي : ليبشّروا قومهم بالثّواب على الطاعة ، وينذروهم بالعذاب على المعصية ، أي : ليخبروهم بالخبر السّار والخبر الضّار دنيوياً كان أو أخروياً من غير أن يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به أصلاً ، وعليه يدور القصر ، وإلا لزم ألا يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة »[1] .

وقال أيضاً : « مبشرين للمؤمنين بالثّواب ، ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب »[2] .

وبيّن أبو السعود أنَّ طاعةَ الرسول طاعةٌ لله تعالى ، وفي هذا بيان لتلازم الحقّين ، فإنَّ مَن أطاع الرسول فقد أطاع الله تعالى ، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[3] :

« وما أرسلنا رسولاً من الرسل لشيءٍ من الأشياء إلا ليُطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمرِ المرسل إليهم بأنْ يُطيعوه ويتّبعوه ؛ لأنه مؤدٍّ عنه تعالى ، فطاعته طاعة الله تعالى ، ومعصيته معصيته تعالى »[4] .

وقال في تفسير قوله تعالى :﴿ آمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [5] :

---

(1) إرشاد العقل السليم : (١٣٥/٣) .

(2) إرشاد العقل السليم : (٢٣٠/٥) .

(3) سورة النساء ، الآية رقم : (٦٤) .

(4) إرشاد العقل السليم : (١٩٦/٢) .

(5) سورة البقرة ، الآية : (٢٨٥) .

« وكتبه ورسله ، أي : من حيث مجيئهما من عنده تعالى لإرشاد الخَلْق إلى ما شرع لهم من الدِّين بالأوامر والنواهي ، لكن لا على الإطلاق ، بل على أنَّ كلَّ واحدٍ من تلك الكتب منزل منه تعالى إلى رسول معيَّن من أولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام ، حسبما فصَّل في قوله تعالى :﴿ قُوْلُوْا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[1] الآية ، ولا على أنَّ مناط الإيمان خصوصية ذلك الكتاب ، أو ذلك الرسول ، بل على أنَّ الإيمان بالكلِّ مندرج في الإيمان بالكتاب المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومستند إليه ، لما تُلي من الآية الكريمة ، ولا على أنَّ أحكام الكتب السَّالفة وشرائعها باقية بالكليَّة ، ولا على أنَّ الباقي منها معتبر بالإضافة إليها ، بل على أنَّ أحكام كلّ واحدٍ منها كانت حقّة ثابتة إلى ورود كتاب آخر ناسخ له ، وأنَّ مالم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب المصون عن النسخ إلى يوم القيامة ... ثم إنَّ الأمور المذكورة حيث كانت من الأمور الغيبيَّة التي لا يوقف عليها إلَّا مِن جهة العليم الخبير كان الإيمان بها مصداقاً لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الإيمان بالغيب »[2] .

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٣٦) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١/٢٧٤) .

النقـــد :

إنَّ الإيمان بالأنبياء والرسل ركن أساسٍ من أركان العقيدة الإسلامية ، فهو الركن الرابع مِـن أركان الإيمان ، وقد أمـر اللَّه عزَّ وجلَّ أهـل الإيمان أنْ يؤمنوا بالرسل جميعاً على السواء ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُـــلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُـــلِهِ ﴾[1] ، وقال تعـالى : ﴿ قُوْلُوْا آمَنَّـا بِاللَّهِ وَمَـا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَـا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى وَمَـا أُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ ﴾[2] .

والإيمان بجميع الأنبياء والرسل واجب من لَدُن آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الإيمـــان الواجب لا مندوحة عنه ، ولا نجاة بدونه[3] .

وإن مـاذكره أبو السعود في الإيمان بالأنبيـاء والرسـل حقٌّ وصـدق ؛ لأنَّ الإيمان بهم مِن أركان الإيمان ، ولا إيمان لمن أنكر ركناً منها ، والتكذيب ببعضها يستلزم التكذيب بجميعها ، كذلك التكذيب ببعضِ الرسـل بل بواحدٍ منهم يستلزم تكذيب جميعهم ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نَوْحٍ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾[4] ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (١٣٦) .

(٣) انظر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ص : (٤٠ - ٤١) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية : (١٠٥) .

﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾[1]، ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾[2]، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطٍ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾[3]، ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾[4]، هذا مع العلم أنه لم يرسل إلى كلٍّ من هؤلاء الأقوام إلا رسولٌ واحد ، فالتعبير يوحي بأنَّ تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيبهم جميعاً [5] .

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [6] :

« نصّ سبحانه على أنَّ التفريق بين اللَّه ورسله كفر، وإنما كان كفراً ؛ لأنَّ اللَّه سبحانه فَرَض على النَّاس أنْ يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ردّوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أُمروا بالتزامها ، فكان كجحد الصانع سبحانه ، وجحد الصانع كفر ؛ لما فيه ترك التزام الطاعة والعبودية ، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر »[7] .

إنَّ مهمَّة الرسل هي تعريف الناس بربهم وخالقهم ، وأنه ما خَلَقهم إلا لعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنَ ﴾[8]،

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : (١٢٣) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : (١٤١) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية : (١٦٠) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية : (١٧٦) .

(٥) انظر كتاب دراسات قرآنية للشيخ محمد قطب ص : (١٠٣) .

(٦) سورة النساء ، الآية : (١٥٠) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : (٥/٦) .

(٨) سورة الذاريات ، الآية : (٥٦) .

ولتحقيق هذه العبودية أرسل الله في كلِّ أمَّةٍ رسولاً ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوْا اللّهَ وَاجْتَنِبُوْا الطَّاغُوْتَ ﴾[1] .

فهناك تلازمٌ كبيرٌ بين توحيد الله والإيمان بالرسل ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: إنَّ « القرآن في مواضع يُبيِّن أنَّ الرُّسل أُمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونُهوا عن عبادة شيءٍ من المخلوقات سواه ، وأنَّ أهل السعادة هم أهل التوحيد ، وأنَّ المشركين هم أهل الشَّقاوة ، ويُبيِّن أنَّ الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون ، فعُلم أنَّ التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، فالثلاثة متلازمة ، ولهذا يجمع بينها في مثل قوله : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَالَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَ ﴾[2] »[3] .

قال العَدَوِي[4] : « إنَّ الدعوة إلى التوحيد هي أساس كلِّ رسالة ، وقد بذلوا في سبيل التوحيد أكثر وقتهم ، وخاطروا بمهجهم وأرواحهم »[5] .

وقال أيضاً : « إنَّ الذي يتأمّل تاريخ أولئك الرسل ... يجدهم متواطئين على دعوة الناس إلى التوحيد ، والإيمان بالبعث والجزاء ، والإيمان بالرسل جميعهم ، لا فرق بين رسول ورسول ، وأنَّ المكذِّب لرسول من رسل الله تعالى

(١) سورة النحل ، الآية : (٣٦) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١٥٠) .

(٣) مجموع الفتاوى : (١٨/٥٥ - ٥٦) .

(٤) هو الشيخ محمد أحمد العَدَوِي ، من علماء الأزهر ، من المعاصرين ، له كتاب أصول في البدع والسنن ، وطريق القرآن في العقائد ، والتوحيد أو العقائد الإسلامية . انظر دعوة الرسل ص : (٥٣٢) .

(٥) دعوة الرسل إلى الله تعالى ص : (١) .

مكذِّب بالرسل جميعهم ...

وكذلك كانت دعوتهم أساسها العمل الصالح ، والخُلُق الطيِّب . على هذه الأصول اتَّفقت دعوتهم ، واجتمعت كلمتهم ، وبذلك كانت الشرائع متَّحدة في أصولها ، وإنْ تفاوتت في مشاربها وأساليبها .

ترى الرسل دائماً يذكّرون أقوامهم بماضيهم معهم ، وأنهم لم يبعثوا فيهم جبَّارين ، بل مبشّرين ومُنْذِرين ، أُمناء ناصحين ، لا يبتغون من دعوتهم سوى إرضائهم لربهم ، وإسعادهم لشعوبهم ، لا ينتظرون منهم أجراً على دعوتهم ، بل ينتظرونه من الذي فطرهم ، مؤمنين بأحقيَّة ما يقولونه ، وجدير بقوم ذلك حالهم ، وهذا ماضيهم أنْ يَسْمع الناس لهم .

إنَّ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على اتفاقهم على أولئك الأصول يُعنون عنايةً خاصةً بالأمراض التي تحيق بأقوامهم ، فتجد نبيّ اللّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام يهتمّ كثيراً للتوحيد ، ومحاربة الشرك ، حتى ليخيّل لمن يقرأ قصته في القرآن الكريم أنه لم يُبعث إلا بالتوحيد ، لتفشّي الوثنية في عهده ، وفتنة الناس بالأصنام في مدته ، ولذلك اشتهر بأنه شيخ الموحِّدين .

وتجد نبيّ اللّه لُوطاً يُعنى بمحاربة الفاحشة التي فَشَت في قومه ، حتى أَلِفَها الناس ، وأصبح التنزّه منها جرماً يستحق عليه صاحبه النفي والتغريب ، وذلك منتهى الفساد الخُلُقي ، والنزول عن مستوى الإنسانية ، ألا ترى إلى القوم يقولون في شأن لوط وحزبه : ﴿ أَخْرِجُوْهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُوْنَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (٨٢) .

وتجد نبيّ اللّه شُعيباً يدعو القوم بعد توحيد اللّه تعالى إلى أنْ يُوفوا الكيل وَيَزِنُوا بالقِسْطَاس المستقيم ؛ لأنَّ مَرَض الغِشِّ والتَّدْلِيس كان شائعاً فيهم .

وترى نبيّ اللّه مُوسى يُعنى بإنقـاذ بني إسـرائيـل مـن مخالب فرعون ، ويعمل على إحباط ظُلْمه ، ومحاربة طُغْيانه ، ويَجِدُّ في تربية العزّة والكرامة في نفوس القوم ؛ لأنهم أَلِفوا الذّل زمناً طويلاً »[1] .

وما قاله أبو السعود عن التلازم بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حقٌّ أيضاً ، وذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيميَّة في هذا الأمر :

« إنَّ اللّه تعالى جعل محبة اللّه ورسوله ، وإرضاء اللّه ورسوله ، وطاعة اللّه ورسوله ، شيئاً واحداً ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَأَطِيْعُوْا اللّهَ وَالرَّسُوْلَ ﴾[3]، في مواضع متعـدّدة ، وقال تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ ﴾[4] ، فوحَّد الضمير ، وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُوْنَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللّهَ ﴾[5] ، وقال أيضاً : ﴿يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُوْلِ ﴾[6] .

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى ، من المقدمة ص : (ي ، ك ، ل) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٢٤) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٦٢) .

(٥) سورة الفتح ، الآية : (١٠) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : (١) .

وجعل شِقاق الله ورسوله ، ومحادَّة الله ورسوله ، وأذى الله ورسوله ، ومعصية الله ورسوله شيئاً واحداً ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [1]، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[4] الآية .

وفي هذا وغيره بيانٌ لتلازم الحقّين ، وأنَّ جهَة حُرْمَة الله ورسوله جِهةٌ واحدةٌ ، فمن آذى الرسول فقد آذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ؛ لأنَّ الأُمَّة لا يَصِلُون ما بينهم وبين ربّهم إلا بواسطة الرسول ، ليس لأحدٍ منهم طريقٌ غيره ولا سببٌ سواه ، وقد أقامه الله مُقَام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه ، فلا يجوز أنْ يُفَرَّق بين الله ورسوله في شيءٍ من هذه الأمور »[5] .

ويجب الإيمان بالأنبياء والرسل جملة وتفصيلاً ، فأما الإيمان بهم تفصيلاً فهو بمعنى التصديق بمن ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم ، وذكرهم نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية الشريفة ، ولا يجوز أنْ نكذّب بهم ، وأما جملة فهو بمعنى أنْ نؤمن ونصدّق أنَّ لله تعالى رسلاً وأنبياء لا نعلمهم ، وهم غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب والسنة ، قال الله تعالى :

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : (١٣) .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : (٢٠) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٦٣) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (١٤) ، وسورة الأحزاب ، الآية : (٣٦) ، وسورة الجن ، الآية : (٢٣) .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم : (٢/٨٦ - ٨٧) .

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[2] .

وقد ذكر أبو السعود أنَّ عدد الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم ثمانية وعشرون[3] .

والصحيح أنَّ المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً ، فذكر ثمانية عشر منهم في مَوْضعٍ واحدٍ ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ❁ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❁ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ❁ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[4] .

وذكر سبعة منهم في مواضع متفرقة ، وهم : محمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾[5] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : (١٦٤) .

(٢) سورة غافر ، الآية : (٧٨) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم : (١/٢١٤) .

(٤) سورة الأنعام ، الآيات : (٨٣ - ٨٦) .

(٥) سورة الفتح ، الآية : (٢٩) ، وانظر سورة آل عمران ، الآية : (١٤٤) ، وسورة الأحزاب ، الآية : (٤٠) ، وسورة محمد ، الآية : (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ ... وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ ﴾[6] .

وجعل اللَّه الرسل وساطة بينه وبين خَلْقِه لحاجة العباد إليهم ، وحتى تستقيم أمور دِينهم ودُنياهم ؛ ولأنَّ سعادتهم تكمن في اتباع الرسل وما جاؤوا به .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « والرسالة ضرورية للعباد ، ولابُدَّ لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كلِّ شيءٍ ، والرسالة روح العالم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٣٣) ، وانظر سورة البقرة ، الآيات : (٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧) ، ومواطن كثيرة غيرها .

(٢) سورة هود ، الآية : (٥٠) ، وانظر سورة هود أيضاً ، الآيتان : (٦٠ ، ٨٩) ، وسورة الشعراء ، الآية : (١٢٤) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٦١) ، وانظر سورة الأعراف ، الآية : (٧٧) ، وسورة الشعراء ، الآية : (١٤٢) .

(٤) سورة هود ، الآية : (٨٤) ، وانظر سورة هود أيضاً ، الآية : (٩٤) ، وسورة الأعراف ، الآيات : (٨٥ ، ٩٠ ، ٩٢) ، وسورة العنكبوت ، الآية : (٣٦) .

(٥) سورة مريم ، الآية : (٥٦) ، وانظر سورة الأنبياء ، الآية : (٨٥) .

(٦) سورة ص ، الآية : (٤٨) ، وانظر سورة الأنبياء ، الآية : (٨٥) .

ونور حياته ، فأيُّ صلاحٍ للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟

والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد ما لم تُشْرِق في قلبه شمس الرسالة وينالـه من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِيْ بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[١]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميّت القلب في الظلمات »[٢].

وقال ابن قَيِّم الجَوزيَّة : « ومن هٰهنا تعلم اضطرار العباد فوق كلِّ ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلَّا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضا الله ألبتَّه إلا على أيديهم ، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميّز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأيُّ ضرورة وحاجة فُرِضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير »[٣].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (١٢٢) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١٩/٩٣ - ٩٤) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد : (١/٦٩) .

المبحث الثالث

صفات الأنبياء والرسل

العـــرض :

يرى أبو السعود أنَّ الرســالة منصب جليـل ورتبـة روحانيـة ، لا يترقّى إليها إلا هممُ الخواص المختصّين بالنفوس الزكيـة، المؤيّدين بالقوة القـدسية ، المتحلّين بالفضائل الإنسية [1] .

وأنَّ إيتـاء النبـــوة مِن فضـل اللّه العظيم ، فيؤتي رحمتـه مَـن يشاء مِن عباده ، ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفـائض عليه بحسب إرادته عزّ وعلا تفضلاً لا يتعدّاه إلى غيره[2] .

وقال إنَّ : « مجيء الرسول لا يكون إلا برسالة ودعوة »[3].

وبيّن أنَّ الرسـالة لا تُنال بالمال أو بالأسباب المادية فقـال : « إنَّ منصب الرســـالة ليس مما ينـال بكثرة المال والولد ، وتعـاضـد الأسباب والعدد ، وإنما ينال بفضائل نفسانية يخصّها الله تعالى بمن يشاء من خُلّص عباده »[4] .

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم : (٨/٤٥) ، وكررها بنحو ذلك في : (٥/١٩٦) ، (٦/٥٦ ، ١٢١) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم : (١/١٤٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٨/٦١) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٣/١٨٣) .

وبيّن معنى الاصطفاء فقال : « الاصطفاء أَخْذُ ما صفا من الشيء كالاستصفاء ، مثل به اختيارِهِ تعالى إيّاهم النفوس القدسية ، وما يليق بها من الملكات الروحانية ، والكمالات الجسمانية ، المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى ، كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام »[1] .

وقال أيضاً : « وإنَّ مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة ، والسبق في إحراز الفضائل العلية ، وحيازة الملكات السنية جبلة واكتساباً »[2] .

وبين معنى التزكية ، فقال : « التزكية هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرّع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة ، للإيذان بأن كلاًّ من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر »[3] .

ويرى أنَّ من صفاتهم أنهم يحملون البشر على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد والأعمال ، والتزكية هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية ، وتهذيبها المتفرّع على تكميلها بحسب القوة النظرية[4] .

وصفات الأنبياء عليهم السلام كثيرة وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بيّن أبو السعود تلك الصفات التي يجب توفرها في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها :

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٢/٢٦) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٤/١١٧) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١/١٧٩) ، وذكرها أيضاً بنصها في : (٢/١٠٨ ، ٨/٢٤٧) .

(٤) انظر إرشاد العقل السليم : (٨/٢٤٧) .

١- البشرية

٢- الذكورة .

٣- الصدق .

٤- الأمانة .

٥- كمال العقل أو الفطانة .

٦- التبليغ .

٧- العصمة .

٨- أن يكون من أهل القرى .

وتفصيل ذلك كما يأتي :

١- البشرية :

أي كون الرسول من جنس البشر قال أبو السعود : « إنَّ مقتضى الحكمة أنْ يرسل إلى البشرِ البشرَ ، وإلى المَلَكِ المَلَكَ حسبما ينطق به قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُوْلاً ﴾[١] ، فإنَّ عامَّة البشر بمعزلٍ من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض ، فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع ، وإنما الذي تقتضيه الحكمة أنْ يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكيَّة المؤيَّدين بالقوة القدسيَّة المتعلِّقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا من جانب آخر ...

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٩٥) .

فالرسل عليهم السلام أسوة لسائر أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية »[1] .

وعليه فإرسال رسول من الملائكة إلى البشر ليبلغهم رسالات ربهم ظاهر البطلان بحيث لا مزيد عليه ؛ « لأنَّ بعث الملك إنما يكون عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما قال سبحانه :﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُوْلاً ﴾[2] ، وأما عامة البشر فهم بمعزلٍ من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس ، فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع »[3].

ويقول أبو السعود أيضاً : « جرت السُّنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بألَّا يبعث للدعوة العامة إلا بشراً يُوحِي إليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلِّغوها الناس »[4] .

ويقول أيضاً : « إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية »[5] .

٢- الذكورة :

يرى أبو السعود أنَّ الذكورة شرط من شروط النبوة ، يجب توفرها في

(١) إرشاد العقل السليم : (٥٦/٦) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : (٩٥) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١١٧/٤) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (١١٦/٥) .

(٥) إرشاد العقل السليم : (٥٤/٦) .

الأنبياء عليهم السلام ، واحتج على ذلك بأدلة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

قال في تفسيره : « وفيه دلالة على أنه لم يرسل للدعوة العامة مَلَكاً - وقوله تعالى : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾[٢] ، معناه : رسلاً إلى الملائكة ، أو إلى الرسل - ولا امرأة ولا صبياً ، ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهو في المهد ؛ لأنها أعمّ من الرسالة »[٣] .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[٤] .

قال في تفسيره : « أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي قيام الولاة على الرّعية ، وعلّل ذلك بأمرين : وهبي وكسبي ... ولمثل ذلك لم يصرّح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل ، وحسن التدبير ، ورزانة الرأي ، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ، ولذلك خصّوا بالنبوة ، والإمامة ، والولاية ، وإقامة الشعائر ، والشهادة في جميع القضايا ، ووجوب الجهاد ، والجمعة ، وغير ذلك »[٥] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٤٣) .

(٢) سورة فاطر ، الآية : (١) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١١٦/٥) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (٣٤) .

(٥) إرشاد العقل السليم : (١٧٣/٢) .

٣- الصدق :

يرى أبو السعود أن الأنبياء كانوا مشهورين بالصدق في قومهم ، وقد وصفهم الله تعالى بالصدق ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيْمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيْقاً نَبِيّاً ﴾[١] .

فيقول في معنى صديق : « ملازماً للصدق في كلِّ ما يَأتي وَيَذَر ، أو كثير التصديق ؛ لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله »[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيْلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾[٣] ، ويقول في تفسيرها : « تعليل لموجب الأمر ، وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به »[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيْقاً نَبِيّاً ﴾[٥] ، ويقول في تفسيرها : « ملازماً للصدقِ في جميع أحواله »[٦] .

وما ثبت لهؤلاء الأنبياء فإنه يثبت لإخوانهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا فرق في ذلك .

---

(١) سورة مريم ، الآية : (٤١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٥/٢٦٦) .

(٣) سورة مريم ، الآية : (٥٤) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٥/٢٧٠) .

(٥) سورة مريم ، الآية : (٥٦) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (٥/٢٧٠) .

وقد نفى عن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام الكذب في قوله تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوْمِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيْمٌ ﴾[1] ، قال : « وكان صادقاً في ذلك ، فجعله عذراً في تخلّفه عن عيدهم ، وقيل : أراد إني سقيم القلب لكفركم ... »[2] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوْهُمْ إِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَ ﴾[3] : « سلك عليه السلام مسلكاً تعريضياً يؤدّيه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه ؛ بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقّي من الكذب ، حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه ، كما أبرزه في ذلك المعرض فعلاً بجعل الفأس في عنقه ، وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبيب »[4] .

٤- الأمانة :

ذكر أبو السعود أن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة للصدق والأمانة[5] .

ولقد حمل رسل الله عليهم السلام راية الأمانة في مسيرتهم ودعوتهم ، فكلُّ رسول يُعلن في قومه أنه أمين على وحي الله ، قال الله تعالى :

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان : (٨٨ - ٨٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٩٧/٧) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : (٦٣) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٧٤/٦ - ٧٥) .

(٥) انظر إرشاد العقل السليم : (٢٣٨/٣) .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[1] .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[2] .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[3] .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[4] .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[5] .

وقالت ابنة شعيب في موسى عليه السلام :﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [6] .

وحكى الله تعالى عن عَزِيْزِ مِصْر وصفه يوسف عليه السلام بالأمانة : ﴿ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [7] ،

قال أبو السعود في معناها : « مؤتمن على كل شيء »[8] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيــة : (١٠٧) .

(٢) سورة الشعراء ، الآيــة : (١٢٥) .

(٣) سورة الشعراء ، الآيــة : (١٤٣) .

(٤) سورة الشعراء ، الآيــة : (١٦٢) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : (١٧٨) .

(٦) سورة القصص ، الآيــة : (٢٦) .

(٧) سورة يوسف ، الآيــة : (٥٤) .

(٨) إرشاد العقل السليم : (٢٨٦/٤) .

٥- كمال العقل والفطانة :

من الصِّفات الواجبة للأنبياء عليهم السلام : كمال العقل والفطانة ، وهي سرعة إدراك ما يراد تعريضه على السامع ، ولذلك نرى أبا السعود يفسِّر سبب حذف حرف النداء في قوله تعالى : ﴿ يُوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا ﴾[١] باتصافه عليه السلام بكمال فطنته ، حيث يقول : « حُذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث »[٢] .

٦- التبليغ :

من الصفات الواجبة للرسل عليهم السلام تبليغ ما أنزل إليهم من ربّهم تبليغاً واضحاً .

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُوْنِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُوْنِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ ﴾[٣] :

« أي ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً أو موضّحاً ، وإبانة طريق الحق ، وإظهار أحكام الوحي الذي من جملتها تحتّم تعلّق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحقّ لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٤]، وأما إلجاؤهم إلى ذلك وتنفيذ

(١) سورة يوسف ، الآية : (٢٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٢٧٠/٤) .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٣٥) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : (٦٩) .

قولهم عليهم شاؤوا أو أبوا - كما هو مقتضى استدلالهم - فليس ذلك من وظيفتهم ، ولا من الحكمة التي عليها يدور أمر التكليف في شيءٍ حتى يستدلّ بعدم ظهور آثاره على عدم حَقّيّة الرسل ...

فإنَّ الرسل ليس من شأنهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه ، لا تحقيق مضمونها ، وإجراء موجبها على الناس قسراً وإلجاءً ، وإيراد كلمة (على) للإيذان بأنهم في ذلك مأمورون ، أو بأن ما يبلّغونه حقّ للناس عليهم إيفاؤه »[1] .

وقال أبو السعود أيضاً : « إنَّ مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحقّ والطاعة فيما يقرّب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب ، وأنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجمعون على ذلك ، وإنْ اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار، وأنهم متنزّهون عن المطامع الدَّنيَّة والأغراض الدُّنيويَّة بالكليَّة »[2].

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾[3] :

« ومن الناس : وهم المختصون بالنفوس الزكية ، المؤيّدون بالقوة القدسية ، المتعلّقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني ، يتلقون من جانب ، ويلقون إلى جانب ، ولا يعوقهم التعلّق بمصالح الخَلْق عن التّبتُّل إلى

(١) إرشاد العقل السليم : (١١٢/٥) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٢٥٦/٦) .

(٣) سورة الحج ، الآية : (٧٥) .

جناب الحقِّ فيدعـــونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ، ويعلمـــونهم شرائعه وأحكامه ... بيّن أن له عباداً مصطفين يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادته عزَّ وجلَّ ، وهو أعلى الدرجـــات ، وأقصى الغـــايات ، لمن عداه مـــن الموجودات ، تقريراً للنبوة ... »[1] .

وذكر أنَّ كلَّ رسول يبلِّغ قومه ما يناسبهم من التَّشريع فقال : «جاء كلُّ رسول قومه بما يخصُّه من البيّنات »[2] .

٧- العصمة :

إنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب ، صادقون فيما يخبرون الناس من أمر دِينهم .

قال أبو السعود في تفسير قول الله تعـــالى : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ ﴾[3] : « فيه دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر على الإطلاق ، وعدم صلاحية الظالم للإمامة »[4] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[5] : « وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلّته تعظيمٌ لها ، وزجرٌ بليغٌ لأولاده عن أمثالها ... وهدى ، أي : إلى

(١) إرشاد العقل السليم : (٦/٢١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٧/٦٤) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٢٤) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (١/١٥٦) .

(٥) سورة طه ، الآيتان : (١٢١ - ١٢٢) .

الثبات على التوبة والتمسّك بأسباب العصمة »[1] .

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز لتبرئة ساحة يوسف عليه السلام من صدور أي ذنب مُخلٍ بعصمته : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾[2] :

« امتنع طالباً للعصمة ، وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتَّحفُّظ الشديد ، كأنه في عصمةٍ وهو يجتهد في الاستزادة منها ، كما في استمسك واستجمع الرأي ، وفيه برهانٌ نيّرٌ على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخلّ باستعصامه ، بقوله : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[3] من الهمّ وغيره »[4] .

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾[5]:

« وهمَّ بها ... أي : مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ، وشهوة الشباب وقرمه ميلاً جِبلِّيّاً لا يكاد يدخل تحت التكليف ، لا أنه قصدها قصداً اختيارياً ، ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبىء عن كمال كراهيته له ، ونفرته عنه ، وحكمه بعدم إفلاح الظالمين ، وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهَمِّ منه عليه السلام تسجيلاً محكماً ، وإنما عبّر عنه بالهمّ لمجرّد وقوعه في صحبة همّها في الذكر بطريق المشاكلة ، لا لشبهه

(١) إرشاد العقل السليم : (٤٧/٦) .
(٢) سورة يوسف ، الآية : (٣٢) .
(٣) سورة يوسف ، الآية : (٢٣) .
(٤) إرشاد العقل السليم : (٢٧٣/٤) .
(٥) سورة يوسف ، الآية : (٢٤) .

به كما قيل »[1] .

وقال أيضاً : « وفيه آية بيّنة وحجّة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه همّ بالمعصية ، ولا توجّه إليها قط ، وإلا لقيل : لنصرفه عن السوء والفحشاء ، وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العِفَّة والعِصْمة ، فتأمّل !!! ... ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ ﴾ : تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق ، والمخلَصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأنْ عصمهم عما هو قادح فيها ... فانحسم مادة احتمال صدور الهمّ بالسُّوء منه عليه السلام بالكليّة»[2].

وقد ردّ أبو السعود على الزمخشري المعتزلي ردّاً شافياً في نسبته الخطأ إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، عندما قال في تفسير قول الله تعالى :﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِيْنَ ﴾[3] :

« عفا الله عنك : كناية عن الجناية ؛ لأنَّ العفو رادف لها ، ومعناه : أخطأتَ وبئس ما فعلتَ »[4] .

فقال أبو السعود : « وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه صلى الله عليه وسلم ، وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على أولي الألباب ... ولقد أخطأ وأساء

(١) إرشاد العقل السليم : (٢٦٦/٤) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٢٦٧/٤) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٤٣) .

(٤) الكشاف : (١٩٢/٢) .

الأدب ، وبئسما فعل فيما قال وكتب مَن زعم أنَّ الكلام كناية عن الجناية ، وأنَّ معناه : أخطأتَ وبئسما فعلتَ .

هَبْ أنه كناية أليس إيثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب ؟

وهَبْ أنَّ العفو مستلزم للخطأ ، فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ؟

أو يسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة : « بئسما » المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجّب منها ؟

ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحةُ للدِّين أو منفعة للمسلمين ، بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا ﴾[1] الخ ، وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾[2] الآية .

نعم ، كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي أثير ، ويفتضحوا على رؤوس الأشهاد ، ولا يتمكّنوا من التمتّع بالعيش على الأمن والدّعة ، ولا يتسنّى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم غرّوه صلى الله عليه وسلّم وأرضوه بالأكاذيب على أنه لم يهنأ لهم عيش ، ولا قرّت لهم عين إذْ لم يكونوا على أمن واطمئنان ، بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم ، وقد كان »[3].

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (٤٧) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٤٦) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٤/٦٩) .

٨-أن يكون من أهل القرى :

يضيف أبو السعود إلى صفات الأنبياء والرسل المذكورة آنفاً صفة ثامنة ألا وهي ألّا يكون النبي أو الرسول بدوياً ، بل لا بد أنْ يكون من أهل المدن ، أي : من أهل القرى ، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ﴾[١] :

« من أهل القرى ؛ لأنهم أعلم وأحلم ، وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة »[٢] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية : (١٠٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٤/٣١٠) .

النقـــد :

ذكر أبو السعود في معرض حديثه عن صفات الأنبياء والرسل بعض العبارات الموهمة ، والتي تحمل معانٍ غير صحيحة عن اكتساب شيءٍ من صفات النبـــوة ، والترقّي إليها من قبل أصحاب الهِمَم العالية ، والنفوس الزاكيـة ، فقوله : « ولم يدروا أنهـا رتبـة روحانيـة ، لا يترقى إليهـا إلا همم الخواص ، المختصّين بالنفوس الزكيـة ، المؤيَّدين بالقوّة القـدسية ، المتحلّين بالفضـائل الإنسيـة ، وأمـا المتزخرفون بالزخارف الدنيوية ، المتمتعون بالحظوظ الدنية ، فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل »[1] .

وقوله أيضـاً : « وإنَّ منـاط الاصطفـاء للنبوة والرسـالة هو التقـدم في الاتصـاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفـات الجليلة ، والسبق في إحراز الفضائل العلية ، وحيازة الملكات السنية جبلة واكتســـاباً »[2] .

فهذه العبارات فيها شبه إلى حدٍّ ما بقول الفلاسفة الذين زعموا أنَّ النبوة تنـال بمجـرّد الكسـب بالجـدّ والاجتهـاد ، وتكلّف أنواع العبـادات ، واقتحام أشق الطاعات ، والدَّأب في تهـذيب النفوس ، وتنقيـة الخواطـر ، وتطهير الأخلاق ، ورياضة النفس والبدن[3] .

وهذه العبارات تناقض ما قاله أبو السعود في مواضع أخرى من تفسيره ، حيث ذكر فيها ما يناقض ذلك تماماً ، كما سبق بيانه[4] ، منها قوله : « إن

(١) إرشاد العقل السليم : (٨/٤٥) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٤/١١٧) .

(٣) انظر المنقذ من الضلال ص:(٤٢)،وتهافت الفلاسفة ص:(٢٣٤)،وتهافت التهافت:(٢/٧٧١).

(٤) في ص : (٤٦٠) من هذه الرسالة .

إيتاء النبوة من فضله العظيم »[1] ، وقوله : « إنَّ منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد ، وتعاضد الأسباب والعدد ، وإنما ينال بفضائل نفسانية يخصّها الله تعالى بمن يشاء من خُلّص عباده »[2] .

وهذا الأخير هو الحقُّ ، فالنبوة منحة إلهية ، وهبة ربانية ، يهبها اللَّه عزّ وجلّ لمن يشاء من عباده ، ويختصّ لها من يريد من خَلْقه ، وهي لا تُنال بمجرّد التشهي والرغبة ، ولا تُدرك بالجدّ والتعب ، ولا تُعطَى بكثرة الطاعة والعبادة ، وإنما هي اصطفاء واختيار .

فالله تعالى يصطفي رسله لهذا العمل الجليل ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِيْ مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوْحاً وَآلَ إِبْرَاهِيْمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾[4] .

وهو سبحانه يختار لها ممن هم أهل لحملها ممن يشاء من عباده ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴾[6] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (١٤٢/١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٨٣/٣) .

(٣) سورة الحج ، الآية : (٧٥) .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان : (٣٣ ، ٣٤) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : (١٢٤) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (٧٤) .

يقول الدكتور أحمد الحد : « إنَّ من يختارهم الله تعالى لنبوته ليسوا بمكتسبين لشيء من صفاتها ، ولا وارثين لشيء من خصائصها ؛ فأهلها أعدّهم الله تعالى لها ، وهيأهم لتحمّلها ، والقيام بأعبائها ، من غير كَسْبٍ منهم ، بمحض فضله يصطفيهم ، ويتولاهم منذ تسلسلهم في أصلاب آبائهم من أنْ يطرأ على أنسابهم ما يدنّسها ، ويحفظ عليهم فطرهم بعد ولادتهم ، فلا يَضِلُّوا ، وإنما ينشأون على الخلال الحميدة ، مخالفين ما عليه أقوامهم ... إنها رعايةُ اللَّهِ وعنايته »[١] .

ويقول أيضاً : « إنَّ أمر النبوة ليس أمراً اختيارياً يتم بوساطة التعيين من الناس ، إنما هو اختيار واصطفاء من الله تعالى ، كما هو صريح الأدلة الكثيرة ، منها قول الله تعالى حكاية عن يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيْلِ الأَحَادِيْثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوْبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴾[٢] ، وكلّم الله تعالى موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا مُوْسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِيْ وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴾[٣] »[٤] .

وأما بالنسبة للصفات الثمانية التي يجب توفرها في الأنبياء والرسل ، فتأكيداً لما ذكره أبو السعود عن الصفات المتعلّقة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة

---

(١) النبي والرسول ص : (٣٩) .

(٢) سورة يوسف ، الآية : (٦) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٤) .

(٤) النبي والرسول ص : (٢٤ - ٢٥) .

والسلام ، وعلاوة على ما قاله عن النبوة وشروطها أذكر ما يأتي :

✷ **البشرية :** قضى الله سبحانه وتعالى ألاّ يصطفي نبياً إلا من البشر ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ ﴾ (٢) . والاصطفاء كما قال أبو السعود وغيره من المفسرين : هو أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى إياهم للرسالة ، حيث فضّلهم الله تعالى على العالمين بالنبوة (٣) .

ولا تتحقق هذه النبوة في الملائكة أو الجنّ بدليل حصرها في تلك الذرية في قوله تعالى في حق الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحاً وَإِبْرَاهِيْمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيْرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُوْنَ ﴾ (٥) .

يقول الدكتور أحمد بن ناصر الحمد : « وحصر النبوة بعد اصطفاء آدم والمذكورين معه في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام مخرج من ذوي الخطاب

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : (١١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (٣٣) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم : (٢٦/٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : (٦٣٤/٢ رقم ٣٤١١) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : (١٥٦/١) ، وروح المعاني للآلوسي : (١٣٢/٣) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : (٢٧) .

(٥) سورة الحديد ، الآية : (٢٦) .

من لم يكونوا من ولد آدم ، ثم لم يكونوا من ذرية نوح وإبراهيم ، وهم الملائكة والجن .

فإن قيل : إذا كان الملائكة بحكم كونهم مفطورين على العبادة لايحتاجون إلى بعث الأنبياء فيهم ، وإرسال الرسل إليهم لدعوتهم وإصلاح نفوسهم ، وقطع معذرتهم ، وإقامة الحجة عليهم ، فالجن ليسوا كذلك ، فهم كالإنس خلقهم الله تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، وما خلقهم إلا لعبادته ، فحالهم تستدعي بعث الأنبياء فيهم ، وإرسال الرسل إليهم . فما وجه تخصيص الإنس بالنبوة دونهم ؟

قلنا : إنَّ اللَّه تعالى خَلَق الجِنَّ خلقة يسهل معها تحركهم وتنقلهم بسرعة ، كما أنهم يرون الإنس ، ويسمعون كلامهم ، ولا يكون من الإنس رؤية لهم ، وهم على خلقتهم التي خلقوا عليها . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] ، فهم والحال تلك يستمعون إلى الأنبياء والمرسلين من الإنس ويأخذون عنهم ، وينذر من سمع منهم من لم يسمع ، وبهذا تقوم الحجة عليهم ، سواء خاطبهم النبي ، وكان مبعوثاً إليهم كما بعث إلى الإنس كمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كالحال بالنسبة لبقية الأنبياء ، لحصول المقصود وإمكان تحقق المطلوب منهم بحضورهم واستماعهم ... وقد جاء التصريح بنفي النبوة عن الجن من بعض السلف كابن عباس ومجاهد والحسن البصري[2] »[3] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (٢٧) .

(٢) انظر زاد المسير : (٢٩٥/٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٨٦/٧) .

(٣) النبي والرسول ص : (٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠) .

وقد كثر اعتراض أعداء الرسل على بعثة الرسل من البشر ، وكان هذا الأمر من أعظم ما صدّ الناس عن الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوْا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُوْلاً ﴾[1] .

وعدّوا اتّباع الرسل بسبب كونهم بشراً فيما جاؤوا به من عقائد وشرائع أمراً قبيحاً ، وعدّوه خسراناً مبيناً ، فقالوا فيما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُوْنَ ﴾[2] ، وقوله تعالى عنهم : ﴿ فَقَالُوْا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِيْ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾[3] .

ويمكن تلخيص تلك الافتراضات التي تَعَلَّل بها المشركون بما يأتي :

١- طلب التلقي عن الله مباشرة . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوْا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيْراً ﴾[4] .

٢- طلبهم أن ينزل الله مَلَكاً يبلّغ الناس . قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيْدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِيْنَ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٩٤) .

(٢) سورة (المؤمنون) ، الآية : (٣٤) .

(٣) سورة القمر ، الآية : (٢٤) .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : (٢١) .

(٥) سورة (المؤمنون) ، الآية : (٢٤) .

اللَّهَ قَالُوْا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَ ﴾[1] .

٣- طلب المشركون إنزال ملائكة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتشهد له بصدقه في رسالته ، كما تقدم في الفقرة الأولى .

٤- طلبهم إرسال مَلَك على هيئة بشر شاهد للرسول الإنسان على صدقه . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوْا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُوْنَ ۞ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُوْنَ ﴾[2] .

وعندما نتأمل النصوص القرآنية يمكننا الرد على هذه الشبهة وتلك الافتراضات من وجوهٍ[3] :

الأول : أنَّ الله تعالى اختارهم بشراً لا ملائكة ؛ لأنه أعظم في الابتلاء والاختبار .

الثاني : أنَّ هذا إكراماً لمن سبقت لهم منه الحسنى ، فإنَّ اختيار الله لبعض عباده ليكونوا رسلاً تكريم وتفضيل ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوْحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْرَائِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾[4] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : (١٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآيتان : (٨ ، ٩) .

(٣) بتصرف من روح المعاني للآلوسي : (٩٨/٧) ، والجامع لأحكام القرآن :(٣٩٣/٦) ، والتفسير الكبير : (١٦٢/١٢) ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ص : (٧٨) ، والرسل والرسالات ص : (٧١) .

(٤) سورة مريم ، الآية : (٥٨) .

الثـــالث : أنَّ البشر أقــدر على القيــادة والتوجيـــه ، وهم الذين يصلحون قـــدوة وأســـوة .

قال سيد قطب[1] : « وإنها الحكمة الإلهٰية تبدو كذلك في رسالة واحدٍ من البشـر إلى البشـر ، واحدٍ من البشر يحسّ إحساسهم ، ويتـذوّق مواجدهم ، ويعـاني تجـاربهم ، ويدرك آلامهم وآمـالهم ، ويعرفـــ نوازعهم وأشواقهم ، ويعلم ضـروراتهم وأثقـالهم ... ومِـن ثَمَّ يعطفـــ على ضعفهم ونقصهم ، ويرجو في قوتهم واستعلائهم ، ويسير بهم خطوة خطوة ، وهو يفهم ويقـدّر بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم ؛ لأنه في النهـاية واحد منهم ، يرتاد بهم الطريق إلى الله ، بوحي من الله ، وعون منه على وعثاء الطريق .

وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة التقليد ؛ لأنه بشر منهم ، يتسـامى بهم رويداً رويداً ، ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمـال والتكاليف التي يبلغهم أنَّ الله قد فرضها عليهم ، وأرادها منهم ، فيكون هو بشخصه ترجمة حيّةً للعقيـــدة التي يحملها إليهم ، وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معـروضة لهم ينقلونهـا سطـراً سطـراً ، ويحققونهـا معنى معنى ، وهم يرونهـا بينهم ، فتهفو نفوسهم إلى تقليدها ؛ لأنها ممثلة في إنسان .

ولو كان مَلَكاً ما فكّروا في عمله ولا حاولوا أنْ يقلِّدوه ؛ لأنهم منذ البدء يشعرون أنَّ طبيعته غير طبيعتهم ، فلا جَرَمَ يكون سلوكه غير سلوكهم على

---

(١) هو سيّد بن قطب بن إبراهيم ، مفكِّر إسلامي مصري ، كان يرأس قسم نشر الدعوة ، وتحرير جريدة الإخوان المسلمين ، صـدر الأمـر بسجنـه قبـل إعدامـه ، فعكفـــ على تأليف الكتب ونشرها ، ومنها العدالة الاجتماعية في الإسلام ، وفي ظـلال القـرآن ، ومعالم في الطريق . استُشهد سنة ١٣٢٤ هـ . انظر الأعلام : (١٤٧/٣) .

غير أملٍ في محاكاته ، ولا شوقٍ إلى تحقيق صورته .

فهي حكمة الله الذي خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً ، هي حكمة الله البالغة أنْ جعل الرسول بشراً ليؤدّي دوره على قيادة البشر ، والاعتراض على بشرية الرسول جهل بهذه الحكمة ، فوق ما فيه من جهل بتكريم الله للإنسان »[١] .

الرابع : أنَّ الجِنْس إلى الجنس أميل .

الخامس : أنَّ طاعات الملائكة قوية ، فيستحقرون طاعات البشر ، وربما لا يعذرونهم في الإقدام على المعاصي .

✱ **الذكورة :** ذكر أبو السعود - كما تقدم - أنَّ الله تعالى لم يرسل للدعوة العامة امرأة ، وأنَّ الله تعالى فضّل الرجال على النساء بما به التفضيل من صفات الكمال التي هي كمال العقل ، وحسن التدبير ، ورزانة الرأي ، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ، لذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وغيرها .

كما أنَّ النساء ناقصات عقل ودِين ، ومَن كان كذلك فلا يصلح للنبوة ، يشهد لذلك قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوْا شَهِيْدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُوْنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾[٢] .

---

(١) في ظلال القرآن : (١٩/٢٥٥٣) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٨٢) .

ويشهد له أيضاً ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِيْنٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ »[1] .

وذكر ابن كمال باشا أنَّ الماتريدية يَرَوْنَ الذكورة شرطاً في النبوة ، حتى لا يجوز أن تكون الأنثى نبياً [2] .

ومن الحكمة في كون الأنبياء من الرجال دون النساء ما يأتي :

١- أنَّ النبوة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، ومخاطبة الرجال والنساء ، ومقابلة الناس في السِّر والعلانية ، والتنقل في فجاج الأرض ، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم ، وإعداد الجيوش وقيادتها ، والاصطلاء بنارها ، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء .

٢- النبوة تقتضي قوامة النبي على من يتابعه ، فهو في أتباعه الآمر الناهي ، وهو فيهم الحاكم والقاضي ، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتم ذلك على الوجه الأكمل ، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة .

٣- الذكورة أكمل كما تقدم آنفاً ؛ لذلك جعل الله تعالى القوامة للرجال على النساء .

٤- أن المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات ،

---

(١) الصحيح : كتاب الحيض - باب ترك الحائض الصوم : (٤٨٣/١ ح ٣٠٤) . وانظر صحيح الإمام مسلم : كتاب الإيمان - باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات : (٨٧/١ ح ٧٩) .

(٢) انظر رسالة في الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية لابن كمال باشا ص : (٥٩) ، نقلاً عن ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية : (٤٢٥/٢) .

كالحيض والحمل والولادة والنفاس ، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية ، وآلام وأوجاع ، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية ، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء النبوة وتكاليفها [1] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيميَّة الإجماع عن بعض العلماء على أنه ليس في النساء نَبيَّة ، وإنما فيهن صدِّيقات[2] .

وقد نصّ القرآن الكريم على ما ينفي نبوة النساء ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِيْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوْا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[5] .

قال أبو السعود : « قوّامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن ... ولذلك خصّوا بالنبوة ، والإمامة ، والولاية ، وإقامة الشعائر ، والشهادة في جميع القضايا ، ووجوب الجهاد ، والجمعة ، وغير ذلك »[6] .

وقال ابن كثير : « الرجال قوامون على النساء ، أي : الرجل قيّم على

---

(١) انظر الرسل والرسالات ص : (٨٤ - ٨٥) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى : (٣٩٦/٤) ، ولعلّ المراد بالإجماع المحكي : النبيات المرسلات ، وإلا فالقول بوجود نبيات محكي عن بعض العلماء .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٤٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٢٨) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٣٤) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (١٧٣/٢) .

المرأة ، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدّبها إذا اعوجّت . بما فضّل الله بعضهم على بعض ، أي : لأن الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم »[1] .

وقال السَّفَّارِيْني : « والحق اعتبار الذكورية ؛ لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار ، لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع »[2] .

* **الصدق** الذي هو ضد الكذب ، قال عنه السفاريني : « واجب في حق الأنبياء والمرسلين عقلاً وشرعاً ، وهو مطابقة أخبارهم للواقع إيجاباً وسلباً ، إذ لوجاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى ، لتصديقه إياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني ، وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب ، والكذب على الله تعالى محال ، فلزومه كذلك .

وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً »[3] .

* **الأمانة** التي هي ضدّ الخيانة : المراد بها في حقّ رسل الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام : اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة ، إذْ لو جاز عليهم أنْ يخونوا الله تعالى بفعل محرّم

(١) تفسير القرآن العظيم : (٥٢٠/١) .

(٢) لوامع الأنوار البهية : (٢٦٦/٢) .

(٣) المرجع السابق : (٣٠٧/٢) .

أو مكروه على قول لجاز أنْ يكون ذلك المنهي عنه مأموراً به ؛ لأنَّ اللّٰه تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل ، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[٢]، فمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قد بلّغ الرسالة كما أمر ، ولم يكتم منها شيئاً ؛ فإنَّ كتمان ما أنزله اللّٰه تعالى يناقض موجب الرسالة ، كما أنَّ الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة ، كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والأمة تشهد له بأنه بلّغ الرسالة كما أمر الله تعالى ، وبيّن ما أنزل إليه من ربه ، وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به[٣].

✳ **الفطانة** هي الذكاء والنَّباهة ، وهي أمر وهبه الله لهم ، فجعل فيهم رجاحة العقل وسلامة الفكر وقوة الحجة ، وأعطاهم العلم والحكمة ، قال الله تعالى في لوطٍ عليه السلام : ﴿ وَلُوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[٤] .

وقال في يوسف عليه السلام : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[٥].

وقال في موسى عليه السلام : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي

(١) سورة الحشر ، الآية : (٧) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٦٧) .

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية : (٢/٣٠٨) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : (٧٤) .

(٥) سورة يوسف ، الآية : (٢٢) .

رَبِّيْ حُكْمـــــــاً ﴾[1] .

وقال تعالى في جملة من أنبيائه عليهم السلام : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾[2] .

وقال في نبيّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الأُمِّيِّيْنَ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَـــــلَالٍ مُبِيْنٍ ﴾[3] .

ومن الأدلة على ثبوت الفطانـــــة وكمال العقل للرسل عليهم السلام الآيات التي تحتوي على محاجّةٍ ومجادَلةٍ بين الرســـل وأقوامهم ، فكانوا يلزمون خصومهم بالحجج الدامغة ، ويفحمونهم بالبراهين القـاطعة ، مثل قوله تعـالى : ﴿ أَلَمْ تَــرَ إِلَى الَّذِيْ حَاجَّ إِبْرَاهِيْـــمَ فِي رَبِّـــــهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْـمُلْكَ إِذْ قَـــالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِيْ وَأُمِيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيْـــمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَ وَاللَّهُ لَايَهْدِيْ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ﴾[4] .

وهكذا جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله تعالى العقل والرشد ، فكانوا على أكمل وجوه الذكاء والنباهة والنبوغ والفطنة ؛ ليستطيعوا إقامة الحجة على أقوامهم .

* **التبليغ** : بيّن الله تعالى أنَّ مُهمّة الرسل جميعاً تبليغ رسالات الله إلى

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : (٢١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٨٩) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : (٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٨) .

خَلْقِه ، قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ ﴾[1] .

فهذا نوح عليه السلام يعلن في قومه : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾[2] .

وهذا هود عليه السلام يعلن في قومه : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِيْنٌ ﴾[3] .

وهذا صالح عليه السلام يعلن في قومه : ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّوْنَ النَّاصِحِيْنَ ﴾[4] .

وهذا شعيب عليه السلام يعلن في قومه : ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِيْنَ ﴾[5] .

وقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي بَكْرَة[6] رضي الله عنه حديث حجة الوداع عندما خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر ، فقال بعد خطابه الجامع : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ » ؟ قالوا : نعم . قال : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ »[7] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٣٥) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٦٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (٦٨) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : (٧٩) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : (٩٣) .

(٦) هو نُفَيْع بن الحارث ، وقيل نُفَيْع بن مَسْرُوح ، أبو بَكْرَة الطَّائفي ، تدلّى في حصار الطائف بِبَكْرَة ، وفرّ إلى النبي ﷺ ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد فأعتقه ، روى جملة أحاديث . سكن البصرة ، وكان من فقهاء الصحابة . مات سنة ٥١ هـ انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (١٥/٧) ، وسير أعلام النبلاء : (٥/٣) ، والإصابة في تمييز الصحابة : (٢٥٢/٦) .

(٧) انظر الصحيح : كتاب القسامة - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال : (١٣٠٧/٣ ح ١٦٧٩ رقم : ٣١) . وانظر تخريجه بالتفصيل في رسالة حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه للألباني ص : (٣٧ - ٤١) .

❋ **العصمة :** العصمة لغة : المنعة ، والعاصم : المانع الحامي ، والاعتصام : الامتساك بالشيء ، افتعال منه[1] .

والأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون في تحمّل الرسالة والتبليغ عن الله تعالى ، فلا ينسبون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، ولا يكتمون شيئاً منه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَى ﴾[3] ، وهم معصومون أيضاً عن ارتكاب الذنوب والمعاصي مما يزري بمناصبهم[4] .

والعصمة ثابتة للأنبياء والرسل عليهم السلام دون غيرهم ، وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها ، وميّزهم بها على سائر البشر ، وقد اتفقت الأمة على عصمتهم في التبليغ عن الله تعالى ، فلا يقع في ذلك خطأ باتفاق المسلمين[5] .

وأما عصمتهم في غير ذلك ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : « إنَّ القول بأَنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر

---

(١) انظر لسان العرب : (٢٩٧٦/٥) مادة (عصم) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٦٧) .

(٣) سورة النجم ، الآيتان : (٣ ، ٤) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى : (٢٩١/١٠) ، ولوامع الأنوار البهية : (٣٠٤/٢) ، والرسل والرسالات ص : (٩٧) ، ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة للدكتور عبد الله نومسوك : (٦٧١/٢) .

(٥) انظر مجموع الفتاوى : (٢٨٩/١٠ ، ٢٩٠) ، والشفا للقاضي عياض : (٧٨٥/٢) .

أبو الحسن الآمدي[1] أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا [ما يوافق][2] هذا القول »[3] .

✷ **كونه من أهل القرى** : وعمدة القائلين بألّا يكون النبي بدوياً هو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُوْنَ ﴾[4] .

فظاهر الآية أنَّ الله تعالى لا يبعث رسله إلا من أهل المدن دون أهل البوادي ؛ لأن أهل البادية فيهم الجهل والجَفاء والقَسوة ، وأهل المدن أعلم وأحلم ، كما ذكره أبو السعود نقلاً عن غيره[5] .

ويُرد على القائلين بهذا القول بأن نبي الله يعقوب عليه السلام كان في البادية ، والدليل على ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيْلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِيْ إِذْ أَخْرَجَنِيْ مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ

---

(١) هو علي بن محمد بن سالم التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدِّين الآمدي ، أصولي باحث ، أصله من آمد (ديار بكر) . له عشرون مُصَنَّفاً ، منها الإحكام في أصول الأحكام ، وأبكار الأفكار ومنتهى السول . مات سنة ٦٣١ هـ . انظر طبقات السبكي : (٣٠٦/٨) ، والأعلام : (٣٣٢/٤) .

(٢) في النص : « ما يواقف » ، والصواب ما أثبته .

(٣) مجموع الفتاوى : (٣١٩/٤) .

(٤) سورة يوسف ، الآية : (١٠٩) .

(٥) انظر ص : (٤٧٤) من هذه الرسالة .

الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيْ إِنَّ رَبِّيْ لَطِيْفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴾ [1] .

وقد ردّ الدكتور أحمد الحمد عن تعليلهم بأنَّ أهل البادية فيهم الجهل والجفاء والقسوة ، فقال : « ولا أرى أن لهذا التعليل وجهاً ؛ لأنَّ مَن يختارهم الله تعالى لنبوته ليسوا بمكتسبين لشيءٍ من صفاتها ، ولا وارثين لشيءٍ من خصائصها ، فأهلها أعدّهم الله تعالى لها ، وهيأهم لتحمُّلها ، والقيام بأعبائها ، من غير كَسْبٍ منهم بمحض فضله يصطفيهم ، ويتولاَّهم منذ تسلسلهم في أصلاب آبائهم مِن أَنْ يطرأ على أنسابهم ما يدنِّسها ، ويحفظ عليهم فِطَرهم بعد ولادتهم فلا يَضِلُّوا ، وإنما ينشأون على الخلال الحميدة مخالفين ما عليه أقوامهم ، كما كانت حال المصطفى صلى الله عليه وسلم بين قومه ، فلم يأتِ ما كان عليه أهل الجاهلية من أمورها ، مع معايشتهم ، وعدم التقائه بسواهم ، لكنه تميّز من بينهم ، إنها رعاية الله وعنايته » [2] .

ثم فصّل في الجواب عليهم ، وبيّن اعتراضهم ، ودحض شبهتهم ، كما يأتي :

فإن قالوا : إن المقصود بالبدو في الآية اسم الموضع المعروف « بدا » ، وهو موضع بين طريق مصر والشام .

قيل لهم : إن ذلك لا يدل على المراد ، ودلالته على كونها بادية أقرب ؛ لأن « بدا » ليست مدينة ، إنما هي وادٍ من الأودية ، كما ذكر ذلك ياقوت

(١) سورة يوسف ، الآية : (١٠٠) .

(٢) النبي والرسول ص : (٣٩) .

الحموي[1] في كتابه[2] .

وإنْ قالوا : إنَّ الآية على ظاهرها ، لكن يعقوب عليه السّلام لم يتحوّل إلى البادية إلا بعد النبوة .

يُقال لهم : هذه دعوى يعوزها الدليل ، وعلى فرض صحتها تكون دليلاً على الجواز ؛ إذْ لا يصحّ للنبي أنْ يتحوّل إلى موضع لا يليق به ، ولا يصح أن يبعث منه [3] .

وأما استدلالهم على اشتراطهم كونه من أهــل القرى بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾[4] .

فيُجاب عن ذلك بتفسير حبر الأمة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لهذه الآية الكريمة ، والذي فيه ردٌّ على استدلالهم المذكور ، ورفع للإشكال .

قال الإمام ابن كثير : « وقال الضحاك عن ابن عبــــاس في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً ﴾[4] الآية ، أي : ليسوا من أهل السماء كما قلتم . وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

---

(١) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، أبو عبد الله ، شهاب الدّين ، مؤرّخ ثقة من أئمة الجغرافيين ، ومن العلماء باللغة والأدب ، أصله من الروم ، له معجم البلدان ، ومعجم الأدباء ، والمبدأ والمآل . مات سنة ٦٢٦ هـ . انظر وفيات الأعيان : (١٢٧/٦) ، والأعلام : (١٣١/٨) .

(٢) انظر معجم البلدان : (٣٥٦/١) .

(٣) انظر النبي والرسول ص : (٣٨ - ٤٤) .

(٤) سورة يوسف ، الآية : (١٠٩) .

مِنَ المُرْسَـــلِيْنَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَيَمْشُوْنَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ (١) الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوْا خَالِدِيْنَ ۞ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الوَعْـــدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَشَاءُ وَأَهْلَكنا المُسْرِفِيْنَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ... ﴾ (٣) الآية »(٤) .

فقوله : « من أهـل القـرى » تأكيـد لآدميتهم ، وأنهم مـن سكان الأرض ، يعيشون عيشة أهلها ، ويخالطونهم فيها ، لا أن المراد أهل الحضر دون أهل البادية ، والله أعلم (٥) .

(١) سورة الفرقان ، الآية : (٢٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيتان : (٨ ، ٩) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : (٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : (٥٣٤/٢) .

(٥) انظر النبي والرسول ص : (٣٨ - ٤٤) .

الفصل الثالث

السمعيات

- المبحث الأول : المس والصرع .
- المبحث الثاني : الموت .
- المبحث الثالث : اليوم الآخر وأحداثه .
- المبحث الرابع : الجنة والنار .

تعريف السمعيات

السمعيات لغة : من سَمِعَه سَمْعاً وسِمْعاً وسَمَاعاً وسَماعة وسَماعِية .
والسَّمع بالفتح : المصدر، والسِّمْع بالكسر : الاسم . والسَّمْع أيضاً : الأذن ، والجمع أسماع[1] .

واصطلاحاً : هي الأمور التي تتوقف معرفتها على السمع الوارد في الكتاب أو السنة الصحيحة ، ولا يستقل العقل بإدراكها وإثباتها ، ولا طريق إلى العلم بصدقها ، لا بالحسّ ولا بالعقل ولا بالبديهة ولا بالكسب ؛ كعذاب القبر ونعيمه والحشر والنشر والصحف والحساب والميزان والصراط والشفاعة والحوض والثواب والعقاب في الجنة والنار ، وكذلك الأمور الغيبيّة كمَسّ الجِنّ أو الصَّرْع [2] .

وسأذكر في هذا الفصل - إن شاء الله - بعضاً من هذه السمعيات والغيبيات ، وذلك من خلال المباحث الآتية :

---

(١) انظر لسان العرب : (٢.٩٥/٤) مادة (سمع) ، والقاموس المحيط : (٤١/٣) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم : (٣.٠/١) ، ولوامع الأنوار البهية : (٣/٢) ، وبرهان الشرع في إثبات المسّ والصَّرْع لعلي بن حسن الحلبي ص : (٢٩) .

المبحث الأول

المَسّ والصَّرْع

العرض :

إن قدرة الشيطان على الإنسان تتعدّى الوسوسة إلى الإيذاء أو التخبّط أو الإيلام أو الدخول ، وتُسمّى هذه المسألة بالمسّ أو الصّرْع ، وحقيقة هذا الأمر بمجملها تعتبر قضية غيبيَّة ليس للاجتهاد والرأي فيها مجال[١] .

وقد بيّن أبو السعود معنى المسّ بأنه الجنون ، ثم أنكر مسّ الجنّ للإنسان ، وصرعه إيّاه ، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لاَ يَقُوْمُوْنَ إِلاَّ كَمَا يَقُوْمُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ [٢] :

« لا يقومون ، أي : من قبورهم إذا بُعثوا إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان ، أي : إلا قياماً كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع ، والخبط : الضرب بغير استواء خبط العشواء . من المسّ ، أي : الجنون ، وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجنّي يمسّه فيختلط عقله ، فلذلك يُقال : جُنّ الرجل ، وهو متعلّق بما قبله من الفعل المنفي ، أي : لا يقومون من المسّ الذي بهم ؛ بسبب أكلهم الربا ، أو بيقوم ، أو بيتخبطه ، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ، بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا ، فأثقلهم فصاروا

---

(١) انظر برهان الشرع في إثبات المسّ والصّرْع ص : (٢٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٧٥) .

مخبلين ، ينهضون ويسقطون ، تلك سيماهم يُعرفون بها عند أهل الموقف »[1] .

فظاهر كلام أبي السعود كما تقدّم أنه ينكر دخول الجن في أبدان الإنس ، وينكر خبط الشيطان للإنسان وصرعه .

وقد أوّل أبو السعود معنى الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُوْدٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِيْنَ يُوْلَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا »[2] .

فقال : « ومعناه أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولودٍ بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها ، فإنَّ اللَّه عَصَمَهُما ببركة هذه الاستعاذة »[3] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (١/٢٦٦) .

(٢) الصحيح : كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ (٦/٥٤١ ح ٣٤٣١) ، وانظر صحيح مسلم : كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام (٤/ ١٨٣٨ ح ٢٣٦٦ رقم ١٤٧) ، ومسند الإمام أحمد : (٢/٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٩) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٢/٢٩) وذلك في تفسير قوله تعالى على لسان امرأة عمران : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيْ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ سورة آل عمران ، الآية : (٣٦) .

النقـــد :

الصَّــرْع لغة : الطَّرْح بالأرض . وصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ يَصْرَعُهُ صَرْعاً وصِرْعاً فهو مَصْرُوعٌ وصَرِيْعٌ والجمع صَرْعَى . والصَّرْع : عِلَّة معروفة . والصَّرِيع : المجنون[1] .

وما يُقال في الصَّرْع يُقال في المسّ ، فقد قال ابن الأثير : « استعير المسّ للجنون ، كأن الجنّ مَسَّتْه . يُقال : به مسٌّ من جُنُونٍ »[2] .

وهما في الاصطلاح : أذيّة الجنّ للإنسان من خارج جسده أو من داخله أو منهما معاً ، وهو تأثير شيطاني يصيب الإنسان ، فيفسد عليه عقله وفكره ، ويجعل أعضاءه تتصرّف بطريقة مغايرة للمألوف . والمسّ أعمّ من الصَّرْع[3].

وقد تأثر أبو السعود بالبيضاوي في إنكار مسألة المسّ والصَّرْع ، ونقل كلامه بتمامه تقريباً ، موافقاً له ومتابعاً ، ويظهر ذلك من نصّ البيضاوي حيث قال في تفسيره :

« لا يقومون إذا بُعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان : إلا قياماً كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أنّ الشيطان يخبط الإنسان فيصرع ، والخبط : ضرب على غير اتساق كخبط العشواء . من المسّ ، أي : الجنون ، وهذا أيضاً من زعماتهم أنّ الجنّي يمسّه فيختلط عقله ، ولذلك قيل : جنّ الرجلُ ، وهو متعلّق بلا يقومون ، أي :

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور : (٢٤٣٢/٤) مادة (صرع) .

(٢) النهاية في غريب الحديث : (٣٢٩/٤) ، وانظر لسان العرب : (٤٢٠١/٧) مادة (مسس) .

(٣) انظر برهان الشرع ص : (٢٩ ، ٩١) .

لا يقومون من المسّ الذي بهم ؛ بسبب أكل الربا ، أو بيقوم ، أو بيتخبط ، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ، ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم »(١) .

فوقع أبو السعود ومِن قَبله البيضاوي في الزَّلل الذي وقع فيه الزمخشري المعتزلي في إنكار هذه المسألة المهمة ، حيث قال الزمخشري في تفسيره للآية المذكورة :

« لا يقومون إذا بُعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان أي المصروع ، وتخبط الشيطان من زعمات العرب ، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع ، والخبط : الضرب على غير استواء ، كخبط العشواء ، فورد على ما كانوا يعتقدون ، والمسّ : الجنون ، ورجل ممسوس ، وهذا أيضاً من زعماتهم ، وأنّ الجنّي يمسّه فيختلط عقله ، وكذلك جنّ الرجل معناه : ضربته الجن ، ورؤيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب ، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات . فإن قلت : بم يتعلّق قوله : (من المسّ) ، قلت : بلا يقومون ، أي : لا يقومون من المسّ الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ، ويجوز أن يتعلّق بيقوم ، أي : كما يقوم المصروع من جنونه ، والمعنى : أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين ، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف »(٢) .

---

(١) أنوار التنزيل : (١/١٤٢) .

(٢) الكشاف : (١/٣٩٨ - ٣٩٩) .

قال العلاّمة ابن المنَيّر[1] معقّباً على قول الزمخشري : « قوله : «وتخبط الشيطان من زعمات العرب» ، أي : كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها ... وهذا القول على الحقيقة من تخبُّط الشيطان بالقدرية في زَعَماتهم المردودة بقواطع الشرع »[2] .

ونقل القاسمي[3] قول ابن المنير في تفسيره ، فقال : « واعتقاد السّلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها ، واقعة كما أخبر الشرع عنها ، وإنما القدرية خُصماء العلانية ، فلا جَرَمَ يُنْكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم ، من ذلك السحر ، وخبطة الشيطان ، ومعظم أحوال الجنّ . وإن اعترفوا بشيء من ذلك ، فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهلُ السنة ، ويُنْبىء عنه ظاهر الشرع ... في خبط طويل لهم »[4] .

آية المسّ عند المفسرين :

قال الله تعالى : ﴿ الّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لاَ يَقُوْمُوْنَ إِلاَّ كَمَا يَقُوْمُ الّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾[5] ، تُعَدّ هذه الآية الكريمة الأصل الأصيل الذي أثبت به العلماء والأئمة من السلف الصالح مسألة المسّ الشيطاني ودخول

---

(١) هو أحمد بن محمد بن منصور بن المنَيّر السِّكَنْدَري ، من علماء الإسكندرية ، ولي قضاءها وخطابتها . مات سنة ٦٨٣ هـ . انظر فوات الوفيات : (٧٢/١) ، والأعلام : (٢٢٠/١) .

(٢) الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال - المطبوع مع الكشاف - : (٣٩٨/١ - ٣٩٩) .

(٣) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، إمام الشام في عصره ، مولده ووفاته في دمشق . مات سنة ١٣٣٢ هـ . انظر الأعلام : (١٣٥/٢) .

(٤) محاسن التأويل : (٧٠١/٣) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٢٧٥) .

الجنّي في الإنسي .

قال الإمام ابن جرير الطبري : « لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ، يعني بذلك : يتخبّله الشيطان في الدنيا ، وهو الذي يخنقه فيصرعه . من المسّ ، يعني : من الجنون »[1] .

وقال الإمام ابن كثير في تفسير الآية المذكورة : « أي : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبّط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً »[2] .

وروى الإمام عبد الرحمن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المذكورة ، « قال : آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق . ورُوي عن عوف بن مالك و[سعيد][3] بن جبير والسّدّي والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك »[4] .

وقال الإمام القرطبي في تفسير الآية المذكورة أيضاً : « في هذه الآية دليل على فساد إنكار مَن أنكر الصَّرْعَ مِن جهة الجنّ ، وزعم أنّه مِن فِعل الطّبائع ، وأنّ الشيطان لا يسلك في الإنسان ، ولا يكون منه مسّ »[5] .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن : (١٠٢/٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٣٣٩/١) .

(٣) في النص : «سعد» ، والصواب ما أثبته .

(٤) تفسير القرآن العظيم مُسنَداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم : (٥٤٤/٢ رقم ٢٨٨٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : (٣٥٥/٣) .

وأما تأويل أبي السعود للحديث الشريف الصحيح في مسّ الشيطان للمولود حين يولد ، فقد نقل ذلك التأويل بتمامه من تفسير البيضاوي ، وتابعه فيه ووافقه عليه أيضاً ، حيث قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّيْ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيْ أُعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ ﴾ [١] :

« عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِيْنَ يُوْلَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ [صَارِخاً][٢] مِنْ مَسِّهِ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا »[٣] ، ومعناه : أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولودٍ بحيث يتأثّر منه إلا مريم وابنها ؛ فإنّ الله تعالى عَصَمَهُما ببركة هذه الاستعاذة »[٤] .

وهما في هذا الإنكار والتأويل قد تأثّرا بما قاله الزمخشري المعتزلي في تفسيره ، حيث قال في تفسير الآية المذكورة ما نصّه بعد أن ساق الحديث الشريف الصحيح المتفق على صحته :

« فالله أعلم بصحته ، فإن صحّ فمعناه : أنّ كلّ مولودٍ يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كلّ من كان في صفتهما كقوله تعالى : ﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِيْنَ ﴾ [٥]، واستهلاله صارخاً من مَسِّه تخييل وتصوير لطمعه فيه ، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ، ويقول هذا ممن أغويه ... وأما حقيقة المسّ

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٣٦) .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النص .
(٣) الحديث سبق تخريجه في ص : (٤٩٨) .
(٤) أنوار التنزيل : (١٥٧/١) .
(٥) سورة ص ، الآيتان : (٨٢ - ٨٣) .

والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه »[1] .

وقال العلاّمة ابن المُنَيِّر راداً على الزمخشري : « أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته ، فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله مالا يحتمله ، جنوحاً إلى اعتزالٍ منتزعٍ في فلسفةٍ منتزعةٍ في إلحادٍ ، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ... فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الوبيّ ، وارتكاب الهوى الوبيل »[2] .

وهذا الحديث الشريف يجب إجراؤه على ظاهره ، وعدم تأويله أو تحريفه مما يخالف ظاهره ؛ لأن الجن والشياطين لا يعلم تفاصيل خِلْقتهم ، وكيفية تسلّطهم ومسّهم إلا الله سبحانه وتعالى .

وقد استدلّ بهذا الحديث على ثبوت المسّ الذي يترتب عليه أذىً زائدُعلى مجرّد الوسوسة عددٌ من أهل العلم ، منهم العلاّمة ابن المنير[3] ، والعلامة ابن مفلح[4] المقدسي[5] .

---

(١) الكشاف : (٤٢٦/١) .

(٢) الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال : (٤٢٦/١) .

(٣) انظر الإنصاف : (٣٩٩/١) .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، تقي الدّين أبو إسحاق ، شيخ الحنابلة ورئيسهم . له شرح المقنع ، ومختصر ابن الحاجب ، وطبقات أصحاب الإمام أحمد . مات سنة ٨٠٣ هـ . انظر المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : (٢٣٦/١) ، وشذرات الذهب : (٢٢/٧) .

(٥) انظر مصائب الإنسان من مكايد الشيطان لابن مفلح ص : (١١٥) ، وبرهان الشرع في إثبات المسّ والصّرع ص : (١٤٤) .

وهناك أحاديث أخرى صحيحة وثابتة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تدلّ على جواز دخول الجنّي في الإنسي وصرعه إيّاه .

فقد روى الإمام البخاري بسنده عن صفيّة بنت حُيَيّ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ »[1] .

وهذا الحديث الشريف يدلّ على إمكانية دخول الجنّي في بدن الإنسي ، وقد استدل به جماعة من أهل العلم ، منهم الإمام القرطبي[2] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية[3] ، والقاسمي[4] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيْهِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ »[5] .

قال الإمام النووي : « قال العلماء : أمر بكظم التثاؤب وردّه ووضع اليد على الفم ؛ لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ،

(١) الصحيح ، كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده : (٣٨٨/٦ ح ٣٢٨١) . وانظر صحيح مسلم في كتاب السلام - باب بيان أنه يُستحَبّ لمن رُؤي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول : هذه فلانة ؛ ليدفع ظنّ السوء به : (١٧١٢/٤ ح ٢١٧٤) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : (٥٠/٢) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى : (٢٧٧/٢٤) .

(٤) انظر محاسن التأويل : (٧٠١/٣) .

(٥) الصحيح ، كتاب الزهد والرقائق - باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب : (٢٢٩٣/٤ ح ٢٩٩٥) .

ودخـــوله فمـــه ، وضحكه منه ، والله أعلم »[1] .

وقال الحـافظ ابن حجـــر العسقـلاني : « وأمـا قوله في رواية مسلم : « فإن الشيطان يدخل » ، فيحتمل أن يُراد به الدخول حقيقـة ، وهو وإن كان يجري مـن الإنسـان مجـرى الـدّم ، لكنـه لا يتمكّن منـه مـادام ذاكراً لله تعـالى ، والمتثـائب في تلك الحـالة غير ذاكر ، فيتمكّن الشيطان مـن الدخول فيـه حقيقـة . ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكّن منه ؛ لأن مِن شأن مَن دخل في شيء أن يكون متمكّناً منه »[2] .

وروى الإمام ابن ماجه بسنده عن عثمان بن أبي العاص[3] رضي الله عنه قال : لما استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، جعل يَعْرِض لي شيءُ في صـلاتي ، حتى مـا أدري مـا أُصلّي ، فلمـا رأيتُ ذلك ، رَحَلْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقـال : « ابْنُ أَبِي العَاصِ ؟ » . قلتُ : نعم يا رسول الله . قال : « مَا جَـاءَ بِكَ ؟ » . قلتُ : يا رسول الله عَرَضَ لي شيء في صلواتي ، حتى مـا أدري مـا أصلّي . قال : « ذَاكَ الشَّيْطَانُ . ادْنُهْ » ، فدنوتُ منه ، فجلستُ على صدور قدمي . قال ، فضربـ صدري بيده ، وتَفَلَ في فمي ، وقال : « اخْـرُجْ عَـدُوَّ اللَّهِ » ، ففعل ذلك ثلاث مرات ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : (١٨/١٢٣) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٠/٦٢٨) شرح حديث رقم : (٦٢٢٦) .

(٣) هو عثمان بن أبي العاص ، أبو عبد الله الثقفي الطائفي ، الأمير الفـاضل المؤتمن ، قَدِم في وفد ثقيف على النبي ﷺ في سنة تسعٍ فأسلموا ، وأمَّرَ عليهم لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدِّين ، وكان أصغر الوفد سِنّاً . مات سنة ٥١ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٥/٥٠٨) ، وتهذيب الكمال : (١٩/٤٠٨) ، وسير أعلام النبلاء : (٢/٣٧٤) ، والإصابة : (٤/٢٢١) .

ثم قال : « اِلْحَقْ بِعَمَلِكَ » . قال ، فقال عثمان : فَلَعَمْرِي ما أحسِبُه خالطني بعدُ [1] .

قال الشيخ الألباني : « وفي هذا الحديث دلالة صريحة على أن الشيطان قد يتلبّس الإنسان ، ويدخل فيه ، ولو كان مؤمناً صالحاً »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وجود الجنّ ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وكذلك دخول الجنّي في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ... وليس في أئمة المسلمين مَن ينكر دخول الجنّي في بدن المصروع وغيره ، ومَن أنكر ذلك وادّعى أنّ الشرع يكذب ذلك ، فقد كذب على الشرع ، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك »[3] .

وقال شيخ الإسلام أيضاً بعد كلام سبق : « ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة ... دخول الجنّ في بدن المصروع ، ولم ينكروا وجود الجنّ ، إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا ، وإن كانوا مخطئين في ذلك »[4] .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية : « الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني : هو الذي يتكلّم فيه الأطباء في سببه وعلاجه . وأما صرع الأرواح ، فأئمتهم وعقلاؤهم

---

(١) السنن في كتاب الطب - باب الفزع والأرق وما يُتَعوّذ منه : (١١٧٤/٢ ح ٣٥٤٨) . الحديث صحح إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : (٢٧٣/٢ ح ٢٨٥٨) .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١٠٠٢/٢/٦) في شرح حديث رقم : (٢٩١٨) .

(٣) مجموع الفتاوى : (٢٧٦/٢٤ - ٢٧٧) .

(٤) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية ، وهي ضمن مجموع الفتاوى : (١٢/١٩) .

يعترفون به ، ولا يدفعونه ، ويعترفون بأنّ علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيّرة العُلويّة لتلك الأرواح الشّرّيرة الخبيثة ، فتدافع آثارها ، وتعارض أفعالها وتُبطلها ، وقد نصّ على ذلك بقراط[1] في بعض كتبه ، فذكر بعض علاج الصرع ، وقال : هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة ، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح ، فلا ينفع فيه هذا العلاج . وأما جهلة الأطباء وسَقَطُهم وسفلتهم ، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة ، فأولئك يُنكرون صرع الأرواح ، ولا يُقرّون بأنها تُؤثّر في بدن المصروع ، وليس معهم إلا الجهل ، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك ، والحسّ والوجود شاهد به ، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط ، وهو صادق في بعض أقسامه لا في كلّها ... وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده . ومَن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك مِن جهل هؤلاء وضعف عقولهم .

وعلاج هذا النوع يكون بأمرين : أمر من جهة المصروع ، وأمر من جهة المعالج ، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوّذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن هذا نوع محاربة ، والمحارب لا يتمّ له الانتصاف من عدوّه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً ، وأن يكون الساعد قوياً ، فمتى تخلّف أحدهما لم يُغنِ السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عُدِم الأمران جميعاً : يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكّل والتقوى

(١) ويقال له أيضاً : « أبقراط » بالألف ، ويُطلق عليه : بقراط الحكيم أو الكبير ، وهو أول من دوّن علم الطب ، وكان طبيباً يونانياً فيلسوفاً ناسكاً ، يعالج المرضى احتساباً ، عاش ٩٥ سنة . مات سنة ٣٥٧ ق.م.على الراجح . انظر طبقات الأطباء والحكماء لابن جُلْجُل ص : (١٦) ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أُصَيْبعة ص : (٤٣)، ومفتاح السعادة: (٣٢٦/١) .

والتوجّه ولا سلاح له .

والثاني : من جهة المعالج ، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً ، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله : اخرج منه ، أو بقول : بسم الله ، أو بقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ...

وشاهدت شيخنا[1] يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ، ويقول : قال لك الشيخ : اخرجي ، فإن هذا لا يحلّ لك ، فيفيق المصروع ، وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردِة فيخرجها بالضرب ، فيفيق المصروع ولا يُحِسّ بألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً ...

وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظّ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثر تسلّط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم ، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية ، فَتَلْقَى الروحُ الخبيثة الرجلَ أعزلَ لا سلاح معه ، وربما كان عرياناً فيُؤثّر فيه هذا »[2] .

والواقع المشاهَد يدل على ذلك دلالة واضحة ، وهو أمر مشهور ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : « فإنه يُصرع الرجل ، فيتكلّم بلسان لا يعرف معناه ، ويُضرَب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضُرِب به جمل لأثّر به أثراً عظيماً ، والمصروع مع هذا لا يحسّ بالضَّرب ، ولا بالكلام الذي يقوله ،

---

(١) يقصد شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد : (٤/٦٦ - ٦٩) .

وقد يَجُرُّ المصروع ... البساط الذي يجلس عليه ، ويحوّل آلات ، وينقل من مكان إلى مكان ، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً ، بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان »[1] .

يقول الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي : « إن هذه المسألة من المسائل الاعتقادية المُعْتَبَرة عند أهل السنة والجماعة ، فلا يجوز عَدُّها من المسائل الاجتهادية ، أو القول بأنها تتفاوت من شخصٍ إلى آخر باختلاف الأصول الفكرية التي بينهما ، فالأصول الفكرية عند أهل السنة والجماعة مُؤتلِفة غيرُ مُختلِفة ، ومُتَّفِقة غيرُ مُتفرِّقة »[2] .

والحاصل فإن مسألة المسّ ، وجواز دخول الجن في الإنس ، قد دلّ عليها كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة ، والواقع المشاهَد ، والقصص المشهورة الثابتة ، ولا يجوز لمن ينتسب إلى العلم أن ينكر ذلك بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ، ولا يجوز إنكار ذلك تقليداً لأهل البدع ، ومتابعةً للمخالفين للسلف الصالح كالمعتزلة[3] .

وعلى ذلك فما نقله أبو السعود من تأويلات للآية والحديث تدل على مدى تأثره بالبيضاوي والزمخشري في إنكاره لها ، ومخالفته لمنهج السلف .

---

(١) مجموع الفتاوى : (٢٤/٢٧٧) .

(٢) برهان الشرع في إثبات المسّ والصَّرَع ص : (٢٢٧) .

(٣) انظر الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري ص : (٢٨) ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر للعلاّمة صدّيق حسن خان ص : (١٤٣) ، وإيضاح الحق في دخول الجنّي في الإنسي والرد على من أنكر ذلك ، ضمن مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز ابن باز : (٣/٣٠٢)، وبرهان الشرع في إثبات المسّ والصرع لعلي بن حسن الحلبي : (٢٢٧) .

المبحث الثاني

المـــوت

العـــرض :

يحكي أبو السعود عن الموت وهل هوعدم أم صفة وجوديّة مضادّة للحياة فقال ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴾ (١) :

« الموت : زوال الحياة ، وقيل : عَرَض يضادها ... » (٢) .

ويذكر أبو السعود أنّ تشبيه المــوت يوم القيامـة وتمثيله في صورة كبش أملح ، وتشبيـه الحياة في صورة فرس بلقـاء ، فذلك مـن بـاب التمثيـل والتصوير والخيال ، وليس على حقيقته .

فقال في تفسير قول الله تعالى :

﴿ الَّذِيْ خَلَقَ المَــوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْغَفُوْرُ ﴾(٣) :

« المـــوت عنـد أصحـابنا صفـة وجـودية مضـادّة للحيـاة ، وأمـا مـا رُوي عن ابن عبـاس رضـي الله عنهمـا من أنـه تعـالى خَلَق المـوت في صـورة كبـش أملـح لا يمـرّ بشيءٍ ولا يجـد رائحتـه شيءٌ إلا مـات ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١/٥٤) .

(٣) سورة الملك ، الآية : (٢) .

وخلق الحياة في صورة فَرَسٍ بلقاء لاتمـــرّ بشيءٍ ولايجـــد رائحتها شيءُ إلا حيّ[1]، فكلام وارد على منهـــاج التمثيـــل والتصـــوير .

وقيـل : هو عـــدم الحيـــاة ، فمعنى خلقـــه حينئـذٍ تقـديره أو إزالة الحيـــاة ، وأيّاً مـا كان فالأقرب أنّ المـــراد به المـــوت الطـــارىء ، وبالحيـــاة مـا قبله ومـا بعده لظهور مداريتهما »[2] .

---

(١) ذكره مقاتل والكلبي في تفسيريهما عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَـوْتَ وَالْحَيَـاةَ ﴾ . انظر فتح البـاري : (٤٢٧/١١) . وأصـل هذا الحديث في الصحيحين ، فقـد روى الإمـام البخاري بسنده في كتاب التفسير - باب وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ : (٢٨٢/٨ ح ٤٧٣٠) عن أبي سعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُنَادِيْ مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ ، فَيَقُوْلُ : هَلْ تَعْرِفُوْنَ هَذَا ؟ فَيَقُوْلُوْنَ : نَعَمْ ، هَـذَا الْمَـوْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ . ثُمَّ يُنَـادِيْ : يَا أَهْـلَ النَّـارِ ، فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُـرُوْنَ ، فَيَقُوْلُ : هَـلْ تَعْرِفُوْنَ هَـذَا ؟ فَيَقُوْلُوْنَ : نَعَمْ ، هَـذَا الْمَـوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ، ثُمَّ يَقُوْلُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّـةِ : خُلُوْدٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُوْدٌ فَلَا مَـوْتَ » . وانظر صحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها : (٢١٨٨/٤ ح ٢٨٤٩) ، وسنن الترمذي في كتاب صفة الجنة - باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار : (٥٩٧/٤ ح ٢٥٥٨) ، وفي كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة مريم : (٢٩٥/٥ ح ٣١٥٦)، ومسند الإمام أحمد : (٩/٣) . والحـديث ثبت معنـاه أيضاً مـن حديث ابن عمـر وأبي هـريرة رضي الله عنهم . فحديث ابن عمر رواه البخاري في كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار: (٤٢٣/١١ ح ٦٥٤٨)، والإمام أحمد في المسند : (١١٨/٢ ، ١٢١) . وحديث أبي هريرة رواه الترمذي : (٥٩٦/٤ ح ٢٥٥٧) وعنده بلفظ : « **فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحاً عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ** » ، وابن ماجه في كتاب الزهد - باب صفة النار: (١٤٤٧/٢ ح ٤٣٢٧)، والإمام أحمد في المسند : (٢٦١/٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٤٢٣) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) : (٢٧١/٩ ح ٧٤٠٧) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٩/ ٢) .

النقـــد :

اضطرب منهج أبي السعود في بيان المراد بالموت وحقيقة الموت ، وهل هو عدم محض ؟ أم صفة وجودية ؟ وانتهى به الأمر حسب ماذكر آنفاً إلى الاضطراب حيث لم يحدّد هل هو أمر وجودي أو عدمي ؟

فالموت حقيقة هائلة كبرى في هذا الوجود ، وهو مصير كلِّ حيّ من المخلوقات ، قال تعـالى : ﴿ كُلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾[1] ، إنه الموت الذي سيذوقه كلّ واحدٍ منّا ، فقيراً كان أو غنياً ، صحيحاً كان أو سقيماً ، كبيراً كان أو صغيراً ، رئيساً كان أو مرؤوساً ، أميراً كان أو سوقة ، كلّ إنسان على الإطلاق سيدركه ويلاقيه ، ولن ينجو من المــوت أحدٌ من المخلوقات ، ولو فرّ إلى مكان بعيـد ، أو برجٍ عالٍ ، أو وادٍ سحيق . قال تعـالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُوْنُوْا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوْجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾[2] .

إنّ الموت هو زوال الحياة الدنيا وليس بعدمٍ مَحْضٍ ، بل هو انتقال من دار الدُّنيـا الفـانية إلى دار البرزخ ، ومنها إلى الدار الآخرة البـاقية ، وهو خَلْقٌ من مخلوقات الله عزّ وجلّ[3] .

إنّ تمثيل المـوت في صورة كبشٍ أملح وذبحه ، هو ظاهر دلالة الأحاديث الصحيحة عن نبيّنـا محمد ﷺ، وليس كمـا قال أبو السعود بأنه على منهاج التمثيل والتصوير ، إِذْ في ذلك صَرْفٌ لظاهرها ، وتأويل لمعناها .

وقد ردّ الإمـام ابن قيّم الجوزيّة على مـن أوّل هـذا الذبح عن حقيقتـه ، وصرفه عن ظاهر دلالة الأحاديث الشريفة الثابتة عن نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٨٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (٧٨) .

(٣) انظر ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية : (٤٩٢/٢) .

« وهـذا الكبش والإضجاع والذَّبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقـــــة لا خيـال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيـه بعض الناس خطأ قبيحاً ، وقال : الموت عَرَض ، والعَـرَض لا يتجسّم فضـلاً عن أن يُذبح ، وهـذا لا يصح ؛ فإنّ اللّٰه سبحانه يُنشيء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشيء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مـادة لهـا ، وينشيء مـن الأجسام أعراضاً ، كمـا ينشيء سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً .

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرّبّ تعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ، ولا شيئاً من المحال ، ولا حاجة إلى تكلّف مـن قال : إنّ الذبح لِمَلَك الموت ، فهـذا كلّه مـن الاستـدراك الفـاسد على الله ورسوله ، والتـأويل البـاطل الذي لا يوجبه عقلٌ ولا نقلٌ ، وسببه قلّة الفهم لمراد الرسول صلى الله عليـه وسلم من كلامه ، فظنّ هذا القـائل أنّ لفظ الحـديث يدلّ على أنّ نفس العَرَض يذبح . وظنّ غالط آخر أنّ العَـرَض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه ، وأن الله سبحانه ينشيء من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها »[1] .

ثم ذكر ابن قيّم الجوزية أدلةً على تمثّل الأعمال يوم القيامة ورؤيتها من الأحاديث النبوية الشريفة ومن أقوال السلف الصالح رضي الله عنهم .

ومنها ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهلي[2] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « اقْرَؤُوْا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ شَفِيْعـاً لأَصْحَابِهِ ، اقْـرَؤُوْا الزَّهْـرَاوَيْن : الْبَقَـرَةَ وَسُـوْرَةَ

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص : (٣٧٦) .

(٢) تقدّمت ترجمته في ص : (٤٠٣) .

آلِ عِمْرَان ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا »[١] .

وروى الإمام أحمد بسنده عن البَرَاء بن عَازِب رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت[٢] في الأرض ، فرفع رأسه ، فقال : « اسْتَعِيْذُوْا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » - مرتين أو ثلاثاً - ، ثم قال : « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ » - إلى قوله - : « وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قال : وَيَأْتِيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبَ الرِّيْحِ ، فَيَقُوْلُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِيْ كُنْتَ تُوْعَد ، فَيَقُوْلُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيْءُ بِالْخَيْرِ . فَيَقُوْلُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُوْلُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِيْ وَمَالِيْ . قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ ...» - إلى قوله:- « وَيَأْتِيْهِ رَجُلٌ قَبِيْحُ الْوَجْهِ قَبِيْحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيْحِ ، فَيَقُوْلُ : أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُوْؤُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِيْ كُنْتَ تُوْعَد ، فَيَقُوْلُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيْءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُوْلُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيْثُ ، فَيَقُوْلُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ »[٣].

---

(١) الصحيح ، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة : (٥٥٣/١ ح ٨٠٤) . وانظر مسند الإمام أحمد : (١٨٣/٤ ، ٢٤٩/٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٥) .

(٢) ينكت في الأرض ، أي : يضرب الأرض بطرف العود . وأصله من النَّكْت ، وهو أن يُؤثِّر في الأرض بطرف العود أو القضيب ، فِعْل المفكِّر المهموم . انظر النهاية في غريب الحديث : (١١٣/٥) مادة (نكت) .

(٣) المسند : (٢٨٧/٤ - ٢٨٨ ، ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وصحح الألباني إسناده في أحكام الجنائز وبدعها ص : (١٥٩) .

وهذا حقيقة لا خيال ، فإنّ الله تعالى أنشأ للعبد الصالح من عمله صورة حسنة ، وأنشأ للعبد الكافر من عمله صورة قبيحة .

وقال ابن حجر : « قال القاضي أبو بكر بن العربي[1] : استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل ؛ لأنّ الموت عَرَض ، والعَرَض لا ينقلب جسماً ، فكيف يذبح ؟ فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته ، وتأوّلته طائفة ، فقالوا : هذا تمثيل ، ولا ذبح هناك حقيقة ... »[2] .

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر[3] عن ذلك الإنكار وتلك التأويلات :

« وكلّ هذا تكلّف وتهجّم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، وليس لنا إلا أنْ نؤمن بما ورد كما ورد ، لاننكر ولا نتأوّل ، والحديث صحيح ... وعالم الغيب الذي وراء المادة لا تدركه العقول المقيّدة بالأجسام في هذه الأرض ، بل إن العقول عجزت عن إدراك حقائق المادة التي في متناول إدراكها ، فما بالها تسمو إلى الحاكم على ما خرج من نطاق قدرتها ومن سلطانها ؟!

وها نحن أُوْلَاءِ في عصرنا ندرك تحويل المادة إلى قوة ، وقد ندرك تحويل القوة إلى مادة بالصناعة والعمل ، من غير معرفة بحقيقة هذه ولا تلك ، وما ندري ماذا يكون من بعد ؟ إلا أن العقل الإنساني عاجز وقاصر ، وما المادة والقوة والعرض والجوهر إلا اصطلاحات لتقريب الحقائق ، فخير

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ، الإمام العلّامة الحافظ القاضي ، صاحب التصانيف ، ومنها عارضة الأحوذي ، والأصناف في الفقه ، والعواصم من القواصم . مات سنة ٥٤٣ هـ . انظر سير أعلام النبلاء : (١٩٧/٢٠) .

(٢) فتح الباري : (٤٢٨/١١) .

(٣) هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبي علياء ، عالم بالحديث والتفسير مصري ، من أعظم أعماله شرح مسند الإمام أحمد ، وعمدة التفسير ، ونظام الطلاق في الإسلام . مولده ووفاته في القاهرة . مات سنة ١٣٧٧ هـ . انظر : الأعلام (٢٥٣/١) .

للإنسان أن يؤمن ، وأن يعمل صالحاً ، ثم يدع ما في الغيب لعالم الغيب ، لعلّه ينجو يوم القيامة »[1] .

فالعقل البشري له دوره ومكانته وحدوده ومقدرته في العقيدة الإسلامية ، ومعرفة ذلك توجب على الإنسان أن يتجنَّب الخوض في كُنْهِ الأمور الغيبية ؛ لأنّ الدخول في معرفتها والإحاطة بها أمر متعذِّر ، ولن يصل الإنسان فيها إلى شيء له اعتبار .

يقول الشيخ محمد قطب : « وليس معنى هذا أنّ الدِّين كلّه أمر خارج عن نطاق العقل ، أو أن الاعتقاد في وجود الله ومعرفة صفاته أمر لا نصيب فيه للعقل .

كلا .. إنما يدخل العقل إلى هذا الميدان من بابه الذي هو مؤهّل بطبيعته أن يدخل منه ، لا من الباب الذي لا يقدر على فتحه ، والذي يَضِلّ فيه لو اقتحمه بغير أداته . يدخل من باب إدراك آثار القدرة الإلهية والاستدلال من هذه الآثار على وجود الله ومعرفة صفاته التي يتفرّد بها دون الخلق ، ولكن لا يدخل من باب الكُنْه الذي لايقدر عليه ولا يصل إلى نتيجة فيه »[2] .

ثم بيّن مستدلاً بالنصوص الشرعية على أن الإسلام يحظر على العقل البشري أموراً ثلاثة : التفكير في ذات الله ، والتفكير في القدر ، والتشريع من دون الله تعالى[3] .

وذكر أن هناك خمسة مجالات رئيسة يدعى العقل للعمل فيها في ظلّ الإسلام :

---

(١) مسند الإمام أحمد بشرح أحمد محمد شاكر : (٨/١٩٠ - ١٩١) في شرح حديث رقم : (٥٩٩٣) .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص : (٥٠٢) .

(٣) انظر المرجع السابق ص : (٥٣٣) .

أولاً : تدبّر آيات الله في الكون للتعرف على قدرة الله المعجزة ، وتفرّده بالخلق والتدبير والهيمنة والسلطان ، بما يؤدّي إلى إخلاص العبادة له وحده سبحانه ، وطاعته فيما أمر به وما نهى عنه .

ثانياً : تدبّر آيات الله في الكون للتعرف على السنن الكونية التي يجري بها قدر الله في الكون ؛ لتحقيق التسخير الرباني لما في السموات وما في الأرض للإنسان ، من أجل تعمير الأرض والقيام بالخلافة بها .

ثالثاً : تدبّر حكمة التشريع الرباني لإحسان تطبيقه على الوجه الأكمل ، والاجتهاد فيما أذن الله فيه بالاجتهاد .

رابعاً : تدبّر السنن الربانية التي تجري الأمور بمقتضاها في حياة البشر ، لإقامة المجتمع الإيماني الراشد الذي يريده الله .

خامساً : تدبّر التاريخ[1] .

إذاً فدور العقل في العقيدة الإسلامية هو دور الرضا والاطمئنان والتقدير لعظمة الله تعالى ، والتفكير في مخلوقاته العظيمة المبثوثة في هذا الكون ، والتأمّل بما أودع الله تعالى فيه من الآيات ونَصَبَ فيه من العِبر ، والانطلاق في مجالات الكون وطرق الحضارة والتقدم العلمي مما يعود على البشرية بالخير العميم ، فهذا هو الاتجاه الصحيح للعقل البشري ، وذلك هو طريقه الطبيعي ، ومساره الاعتيادي ، حتى يتحقّق الوصف الذي رضيه الله تعالى لعباده ، حيث وَصَفَ عباده المؤمنين بقوله : ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

وأما تدخّل العقل في مجالات الغيب من أمور العقيدة ، فهذا خطأ

---

(١) انظر المرجع السابق ص : (٥٤٠) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (٦٥) .

فادح ، ومصيبة كبرى ، وإهانة صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق في مسارب لا دخل له بها ، بل هي بعيدة جداً عن مطلبه ، ومحال أمام تصوره .

فالعقل البشري مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، شأنه كشأنها ، له قدراته المحدودة ، وخصائصه الثابتة ، وهو قاصرٌ كلَّ القصور في عالَم الغيب ، ونتائجه وتوقعاته كلّها تخرّصات وظنون لا تَمُتُّ إلى الحقيقة بِصِلَةٍ ، فإذا تطاول هذا المخلوق بغرور ليتدخّل في مهام الخالق العظيم ، وفي تأويلات نصوص الكتاب الحكيم ، وأقوال الرسول الكريم ، وينصب نفسه الحَكَم العَدْل ، فتلك بليّة البلايا ، ورزيّة الرزايا .

وعلى ضوء ما تقدم فالموت حقيقة كبرى ، ومن الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل البشري أن يتكلّف عناء البحث فيها ، والخوض في غمارها ، سواء كان ذلك نفياً لحقيقتها ، أو تأويلاً للنصوص الواردة فيها ، وما نقله أبو السعود من تأويلاتٍ لِتَمْثِيْلِ الموت في صورة كبشٍ أملحٍ ، هو تدخّل للعقل البشري في باب الغيبيّات ، وتأويل صريح بدون دليل ، والله أعلم .

المبحث الثالث

اليوم الآخر وأحداثه

المطلب الأول

الإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

العـــرض :

قال أبو السعـــود في تحديد اليوم الآخر : « المراد باليـــوم الآخـــــر : مـن وقت الحشــر إلى مـا لا يتنـاهى ، أو إلى أن يدخل أهـل الجنـــــة الجنة وأهل النـــــار النار ، إذْ لا حَدّ وراءه »(١) .

وقال أيضاً : « الآخرة تأنيث الآخر ، كما أن الدنيا تأنيث الأدنى ، غلبتا على الدارين ، فجرتا مجرى الأسماء »(٢) .

واليوم الآخر له أسماء عديدة ، وأوصـاف كثيرة ، والسِّـر في كثرة أسماء اليــوم الآخــر لعظم أمـره وكثرة أهواله ، كمــا قال أبو السعود : « إن فيه من الدواهي والأهوال ما لا غاية له ؛ لأنه أدهاها وأهولها »(٣) .

وقال أبو السعود في تفسير قوله تعـالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِيْ المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيْهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ ﴾(٤) :

« كلام مستأنف جيء به إثر تحقيق حَقِّيَّة البعث ، وإقامة البرهان عليه

(١) إرشاد العقل السليم : (٤٠/١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٣٣/١) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٦٢/٩) .

(٤) سورة الحج ، الآيتان : (٦ ، ٧) .

من العالمين الإنساني والنباتي ، لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شؤونه الذاتيّة والوصفيّة والفعليّة ، وأنّ ما ينكرون وجوده بل إمكانه من إتيان السّاعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى ... وأنه يحيي الموتى ، أي : شأنه وعادته إحياؤها ، وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادةً ، وإلا لما أحيا النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار ... »[1] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ ﴾[2] :

« الإيقان إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ، ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقيناً ، أي : يعلمون علماً قطعياً مزيحاً لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أنّ الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى ، وأنّ النّار لن تمسّهم إلا أياماً معدودات ، واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا ؟ وهل هو دائم أو لا ؟ وفي تقديم الصلة وبناء (يوقنون) على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب ، فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين »[3] .

وذكر أن الإيمان باليوم الآخر من الأمور الغيبية التي لا يوقف عليها إلا من جهة العليم الخبير ، فكان الإيمان بها مصداقاً لما ذكر في صدر سورة البقرة

(١) إرشاد العقل السليم : (٦/٩٥ ، ٩٦) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٤) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١/٣٣) ، وانظر منه كذلك : (١/١٩٣) .

من الإيمان بالغيب[1] .

النقـــد :

لم يذكر أبو السعـــــود - فيما تقدم من النقول - أسماء وأوصاف اليوم الآخر ، حيث إنه قد سُمِّي بأسماء عديدة ، ووُصِف بأوصـــاف كثيرة ، وقد اعتنى بعض أهـل العلم بذكر هـذه الأسماء ، فجمعهـا الغـــزالي[2] ثم القرطبي[3] ، وذكر ابن حجر أنها بلغت نحو الثمانين اسماً [4] .

ومـــن أشهــر تلك الأسماء لذلك اليوم العظيم : اليوم الآخـــر ، ويوم القيـامة ، ويوم المعـاد ، ويوم الدِّين ، ويوم البعث ، ويوم الحســاب ، ويوم الخـروج ، ويوم الفَصـل ، ويوم الوعيـد ، ويوم الآزفة ، ويوم الجَمْع ، ويوم التـلاق ، ويوم التَّنـاد ، ويوم التغـابن ، والسـاعة ، والقـارعة ، والطامـة ، والصاخة ، والحاقة ، والواقعة ... الخ .

قال القرطبي : « وكل مـا عظم شأنه تعدّدت صفاته ، وكثرت أسماؤه ، وهذا مَهْيَع[5] كلام العـرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عنـدهم موضعـه ، وتأكّد نفعـه لديهم وموقعه ، جمعوا له خمسمائة اسم ، وله نظـائر ، فالقيـامة لما عظم أمـرها ، وكثرت أهوالها ، سمّاها الله تعالى في كتـابه بأسماء عديدة ،

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم : (١/٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) انظر إحياء علوم الدين : (٤/٤٩٩ - ٥٠٠) .

(٣) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : (٢١١ - ٢٢٣) .

(٤) انظر فتح الباري : (١١/٤٠٣) .

(٥) المَهْيَع : هو الطريق الواسع المنبسط . انظر لسان العرب : (٨/٤٧٣٨) مادة (هيع) .

ووصفها بأوصاف كثيرة »[1] .

وما ذكره أبو السعود عن الإيمان باليوم الآخر والإيقان به ، حق وصدق ، وأضيف إلى أقواله : أنّ الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان السِّتة ، وعقيدة من عقائد الإسلام الأساسية ، وأصل عظيم من أصول الإيمان .

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر به عزّ وجلّ في كتابه ، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ، وما يكون من النفخ في الصور ، وخروج الخَلْق من القبور ، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والأفزاع ، والحشر ونشر الصحف ، ووضع الموازين ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة لمن أذن الله تعالى له ، والجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ، وغير ذلك من الأمور التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الصحيحة .

وقد دلّ على وجوب الإيمان به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، **فمن الآيات :**

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص : (٢١٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (١٧٧) .

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْن ﴾[1] .

وَقَوْله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوْا الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[3] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، وقد قَرَن الله تعالى الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عزّ وجلّ ، وهذا يدلّ على أهمية الإيمان باليوم الآخر ، وأنه من الأسس المهمة التي يقوم عليها بناء العقيدة الإسلامية .

ومن الأحاديث الدّالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر :

ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فقال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »[4] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٦٢) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية : (٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٢٩) .

(٤) الصحيح في كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : (٣٦/١ ح ٨) ، وانظر سنن أبي داود في كتاب السنة - باب في القدر : (٦٩/٥ ح ٤٦٩٥) ، وسنن الترمذي في كتاب الإيمان - باب ما جاء في وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام : (٨/٥ ح ٢٦١٠) ، وسنن النسائي في كتاب الإيمان - باب صفة الإيمان والإسلام : (١٠١/٨ ح ٤٩٩١) ، وسنن ابن ماجه في المقدمة - باب في الإيمان : (٢٤/١ ح ٦٣) ، ومسند الإمام أحمد : (٢٧/١) .

وما رواه الترمذي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللَّهِ بَعَثَنِيْ بِالْحَقِّ ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ »[1] .

(١) السنن في كتاب القدر - باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره : (٣٩٣/٤ ح ٢١٤٥) ، وانظر سنن ابن ماجه في المقدمة - باب في القدر : (٣٢/١ ح ٨١) ، والمستدرك للحاكم : (٣٢/١) ، وقال الحاكم عقبه : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين » ، ووافقه الذهبي . وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي : (٢٢٧/٢ ح ١٧٤٤) .

المطلب الثاني

النَّفْخُ فِيْ الصُّوْرِ

العرض :

يُؤمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور النفخة الأولى ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ ﴾[١] .

قال أبو السعود : « والصُّور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام »[٢] .

وقال أبو السعود أيضاً : « إن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية ؛ لتهويل اليوم ببيان كونه موقعاً لداهيتين عظيمتين ، لا يبقى عند وقوع الأولى حي إلا مات ، ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بُعث وقام »[٣] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُوْرِ ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيْرٌ ۞ عَلَى الْكَافِرِيْنَ غَيْرُ يَسِيْر ﴾[٤] :

---

(١) سورة الزمر ، الآية : (٦٨) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٣٠٣/٦) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (٩٦/٩ ، ٩٧) .

(٤) سورة المدثر ، الآيات : (٨ - ١٠) .

« واختلف في أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية ؟

والحق أنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين، وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الإصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصّة بمن كان حياً عند وقوعها »[1] .

فقد تضمن كلام أبي السعود المذكور آنفاً أن النفخة نفختان :

الأولى : يحصل بها الصعق ، وفيها هلاك كل شيء إلا مَن شاء الله .

والثانية : يحصل بها البعث والنشور .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٩/٥٦) .

النقـــد :

الصور في لغة العرب القَرْن ، كما فسّره أبو السعود ، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور ، ففسّره بما تعرفه العرب من كلامها ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال أعرابي يا رسول الله : ما الصور ؟ قال : « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيْهِ »[1] .

وأما في عدد النفخات في الصور، فقد اختلف أهل العلم في ذلك ، فمنهم من قال : إن إسـرافيل عليه السلام ينفخ في الصـور مـرتين . الأولى يحصل بها الصعق ، والثانية يحصل بها البعث . وممن رجّح هذا القول : القرطبي[2]، وابن حجر العسقلاني[3]، وهو قول أبي السعود[4] .

ومنهم من قال : إنها ثلاث نفخات ؛ نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام . وممن ذهب إلى هذا القول : شيخ الإسلام ابن تيميَّـة[5]،

---

(١) المسند : (١٦٢/٢ ، ١٩٢) ، وانظر سنن أبي داود في كتاب السنة - باب في ذكر البعث والصور : (١٠٧/٥ ح ٤٧٤٢) ، وسنن الترمذي في كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة الزمر : (٣٤٨/٥ ح ٣٢٤٤) ، والسنن الكبرى للنسائي في كتاب التفسير - باب قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ : (٤٤٨/٦ ح ١١٤٥٦) ، وسنن الدارمي في كتاب الرقاق - باب في نفخ الصور : (٤١٨/٢ ح ٢٧٩٨) ، وصحيح ابن حبان (الإحسان) : (٢٠٩/٩ ح ٧٢٦٨) ، والمستدرك للحاكم : (٤٣٦/٢ ، ٥٠٦ ، ٥٦٠/٤) ، وقال الحاكم عقبه : «حديث صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وصحح إسناده أيضاً أحمد محمد شاكر في شرحه على المسند : (٩/١٠ ح ٦٥٠٧) ، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٦٨/٣ - ٦٩ ح ١٠٨٠) .

(٢) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص : (١٨٤) .

(٣) انظر فتح الباري : (٣٧٧/١١) .

(٤) انظر إرشاد العقل السليم : (٥٦/٩ ، ٩٦) .

(٥) انظر مجموع الفتاوى : (٢٦٠/٤ ، ٢٦١) .

وابن كثير[1]، والسفاريني [2] .

وقد استدل القائلون بالنفختين بأدلة من كتاب الله تعالى ، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ ﴾[3] .

وقد سمّى الله تعالى النفخة الأولى بالرّاجفة ، والنفخة الثانية بالرّادفة ، فقال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾[4] .

وفي موضع آخر سمّى الأولى بالصَّيحة ، وصرّح بالنفخ بالصور في الثانية ، فقال تعالى :

﴿ مَا يَنْظُرُوْنَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُوْنَ * فَلاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُوْنَ * وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ ﴾[5] .

---

(١) انظر النهاية في الفتن والملاحم : (٢٧٩/١) ، وتفسير القرآن العظيم : (٣٩٤/٣) .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية : (١٦١/٢ - ١٦٤) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٦٨) .

(٤) سورة النازعات ، الآيتان : (٦ ، ٧) .

(٥) سورة يس ، الآيات : (٤٩ - ٥١) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُوْنَ » . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ؟ قال : أَبَيْتُ[1] . قال : أربعون سنة ؟ قال : أَبَيْتُ . قال : أربعون شهراً ؟ قال : أَبَيْتُ[2] .

وما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال : - وهو حديث طويل وفيه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيْتاً [3]، وَرَفَعَ لِيتاً ، قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ [4] حَوْضَ إِبِلِهِ . قَالَ : فَيَصْعَقُ ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلّ أَوْ الظِّلّ [5] (نعمان[6] الشَّاك) ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيْهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

---

(١) قوله : « أبيت » ، أي : امتنعت عن القول بتعيين ذلك ؛ لأنه ليس عندي في ذلك توقيف . انظر فتح الباري : (٨/٤١٤) .

(٢) الصحيح في كتاب التفسير - باب ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ ﴾ : (٨/٤١٤ ح ٤٨١٤) . وانظر صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ما بين النفختين : (٤/٢٢٧٠ ح ٢٩٥٥) .

(٣) الليت : بكسر اللام صفحة العنق وهي جانبه ، وقوله : أصغى لِيتاً أي : أمال صفحة عنقه . انظر النهاية في غريب الحديث : (٤/٢٨٤) ، ولسان العرب : (٧/٤١١١) مادة (ليت) .

(٤) يلوط ، أي : يطيّنه ويصلحه . انظر النهاية في غريب الحديث : (٤/٢٧٧) ، ولسان العرب : (٧/٤٠٩٨) مادة (لوط) .

(٥) قال العلماء : الأصح الطّلّ بالمهملة ، وهو الموافق للحديث الآخر وفيه أنه كمنيّ الرجال . والطّل هو الذي ينزل من السماء في الصحو ، والطّل أيضاً أضعف المطر . انظر شرح النووي على صحيح مسلم : (١٨/٧٧)، والنهاية في غريب الحديث (٣/١٣٦) مادة (طلل) .

(٦) هو النُّعْمَان بن سالم الطائفي ، أحد رواة الحديث ، ثقة . انظر تهذيب الكمال (٢٩/٤٤٨).

يَنْظُرُوْنَ ... »[1] .

واستدلّ القائلون إنها ثلاث نفخات : نفخة الفَزَع ، ونفخة الصَّعْق ، ونفخة القيام بالكتاب والسنة .

فأما نفخة الفَزَع ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾[2] .

وأما نفخة الصعق ونفخة القيام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ ﴾[3] .

واحتجُّوا ببعض الأحاديث التي نصّت على أنّ النفخات ثلاث ، كحديث الصُّور ، وهو حديث طويل ، رواه الطبري بسنده ، وفيه : « ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ ثَلَاثُ نَفخَاتٍ : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، وَنَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَنَفْخَةُ القِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ »[4] .

ويُعترض على استدلالهم بأن الآية التي ذكرت نفخة الفزع ليست صريحة على أنّ هذه نفخة ثالثة ، إذْ لا يلزم من ذِكْر الحقِّ تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب من في السموات والأرض عند النفخ في الصور أنْ تجعل هذه نفخة

---

(١) الصحيح في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب في خروج الدجال ... والنفخ في الصور : (٢٢٥٨/٤ ح ٢٩٤٠) .

(٢) سورة النمل ، الآية : (٨٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٦٨) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن : (٢٨/١١ رقم ٣٠٢٣٦) .

مستقلة ، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم ، والنفخة الثانية تفزع الناس عند بعثهم[١] .

وأما حديث الصُّور الذي ورد فيه أنّ النفخ في الصور ثلاث نفخات ، فقد قال عنه ابن حجر : « إنّ سنده ضعيفٌ مضطربٌ »[٢] .

وقال ابن حجر : « والصحيح أنهما نفختان فقط ، لثبوت الاستثناء بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ في كل من الآيتين[٣] ، ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع ألاّ يحصلا معاً من النفخة الأولى »[٤] .

وقال القرطبي : « هما نفختان ، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق ؛ لأنّ الأمرين لازمين لها ، أي فزعوا فزعاً ماتوا منه . والسُّنّة الثّابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة ، وحديث عبد الله بن عَمرو وغيرهما [تدلّ][٥] على أنهما نفختان لا ثلاث ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى »[٦] .

وهذا هو القول الراجح - والله تعالى أعلم - وهو الذي ذهب إليه أبو السعود وقال به كما تقدم ذكره آنفاً .

---

(١) انظر اليوم الآخر : القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر ص : (٤١) .

(٢) فتح الباري : (١١/٣٧٧) .

(٣) أي الآية : (٨٧) من سورة النمل ، والآية : (٦٨) من سورة الزمر كما تقدم .

(٤) فتح الباري : (١١/٣٧٧) .

(٥) في النص : « يدل » ، والصواب ما أثبته .

(٦) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص : (١٨٤) .

المطلب الثالث

الشَّفَـاعَـــــةُ

العـــرض :

ذكر أبو السعود بأن الشفاعة لغة مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، فكأن المشفوع له كان فرداً ، فجعله الشفيع شفعاً بضم نفسه إليه[1] .

ويأتي الشفيع على أنه الناصر مجازاً [2] كما في قوله تعالى :﴿ مَالَكُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيْعٍ ﴾[3] .

وقد ردّ أبو السعود على المعتزلة ومنهم الزمخشري في إنكارهم الشفاعة للعصاة من أهل الكبائر ، حيث قال الزمخشري المعتزلي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوْا يَوْماً لاَ تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة ﴾[4]:

« فإن قلت : هل فيه دليل على أنّ الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ قلت : نعم ؛ لأنه نفى أَنْ تقضي نفس عن نفس حقاً أخلّت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أنْ تقبل منها شفاعة شفيع ، فعلم أنها لا تقبل للعصاة .

فإن قلت : الضمير في ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا ﴾ إلى أيِّ النَّفْسَين يرجع ؟ قلت : إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها ، وهي التي لا يؤخذ منها

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم : (٩٩/١) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم : (٨٠/٧) .

(٣) سورة السجدة ، الآية : (٤) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٤٨) .

عدل ، ومعنى ﴿ لَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة ﴾ : إن جاءت بشفاعة شفيع لم تُقبل منها ، ويجوز أن يرجع إلى النَّفْسِ الأُولى على أنها لو شفعت لها لم تُقبل شفاعتها ، كما لا تجزىء عنها شيئاً ، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها »[1] .

فقال أبو السعود في ردّه على الزمخشري :

« وَقَد تَمَسَّكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، والجواب أنها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة ، والأحاديث المروية فيها ، ويؤيّده أنّ الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم »[2] .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[3] :

« إعلام بأنّ مَن يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها »[4] .

فأجاب أبو السعود على ذلك في تفسيره قائلاً :

« أَيْ مَا لظالمٍ من الظالمين نصير من الأنصار ، والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر ، فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة ، على أن المراد

(١) الكشاف : (٢٧٩/١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٩٩/١) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٩٢) .

(٤) الكشاف : (٤٨٩/١) .

بالظالمين هم الكفار »[1] .

وقال أيضاً : « والضمائر وإن عادت إلى الكفار وهو الظاهر ، فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به »[2] .

وقال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُوْنَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[3] :

« إن أهل السمٰوات والأرض إذا لم يقدروا يومئذٍ على أن يتكلّموا بشيء من جنس الكلام إلاّ مَن أَذِن الله تعالى له منهم في التكلّم ، وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً ، أي : حقّاً ، فكيف يملكون خطاب ربّ العزّة مع كونه أخصّ من مطلق الكلام ، وأعزّ منه مراماً لا على معنى أنّ الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلّموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم ، كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال ، فمن سلكه مع تجويزه أن يكون ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفاً لـ ﴿ لَا يَمْلِكُوْنَ ﴾ فقد اشتبه عليه الشؤون ، واختلط به الظنون .

وقيل : ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ ﴾ ... منصوب على أصل الاستثناء ، والمعنى لا يتكلّمون إلا في حقِّ شخصٍ أَذِنَ له الرحمٰن وقال ذلك الشخص صواباً ، أي : حقاً هو التوحيد .

وإظهار الرحمٰن في موضع الإضمار للإيذان بأنّ مناط الإذن هو الرحمة

(١) إرشاد العقل السليم : (١٣١/٢) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٢٧٢/٧) .

(٣) سورة النبأ ، الآية : (٣٨) .

البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى »[1] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[2] :

« أي ورضي لأجله قول الشافع في شأنه ، أو رضي قوله لأجله وفي شأنه ، وأما مَن عَدَاه فلا تكاد تنفعه ، وإن فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [3] ، فالاستثناء كما ترى من أعمّ المفاعيل .

وأما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمـٰن أن يشفع لغيره ، كما جوّزوه فلا سبيل إليه ، لما أن حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له أن يملكها ولا تصدر هي عنه أصلاً كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [5] ، فالإخبار عنها بمجرّد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم إمكان صدورها عمن لم يؤذن له مع إخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة ﴾ [6] ، فمعناه عدم الإذن في

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٩/٩٤) .

(٢) سورة طه ، الآية : (١٠٩) .

(٣) سورة المدثر ، الآية : (٤٨) .

(٤) سورة مريم ، الآية : (٨٧) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٨) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (٤٨) .

الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها »[1] .

وقال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيْعاً ﴾[2] :

« أي هو مالكها لا يستطيع أحدٌ شفاعةً ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى ، والشفيع مأذوناً له »[3] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُوْنَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾[4] :

« على الأول استثناء متصل من لا يملكون ، ومحلّ المستثنى إما الرفع على البدل أو النّصب على أصل الاستثناء ، والمعنى : لا يملك العباد أنْ يشفعوا لغيرهم إلا من استعدّ له بالتحلّي بالإيمان والتقوى ، أو من أمر بذلك من قولهم : عهد الأمير إلى فلانٍ بكذا إذا أمره به فيكون ترغيباً للناس في تحصيل الإيمان والتقوى المؤدّي إلى نَيل هذه الرتبة .

وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل أو على أصل الاستثناء ، أي لا يملك المتقون الشفاعة إلا شفاعة من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيباً في الإسلام .

وعلى الثالث : استثناء من لا يملكون أيضاً ، والمستثنى مرفوع على البدل

(١) إرشاد العقل السليم : (٤٣/٦) .
(٢) سورة الزمر ، الآية : (٤٤) .
(٣) إرشاد العقل السليم : (٢٥٧/٧) .
(٤) سورة مريم ، الآية : (٨٧) .

أو منصوب على الأصل ، والمعنى : لا يملك المجرمون أنْ يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً »[1] .

وقال أبو السعود في تفسير قوله تعالى :﴿ مَا مِنْ شَفِيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ ﴾[2] :

« بيان ... ونفي للشفاعة على أبلغ الوجوه ، فإن نفي جميع أفراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على أتمّ الوجوه ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[3] ، وهذا بعد قوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾[4] ، جارٍ مجرى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُجِيْرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[5] ، عقيب قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[7] ، استثناء مفرّغ من أعمّ الأوقات ، أي : ما من شفيع يشفع لأحد في وقت من الأوقات إلا بعد إذنه المبني على الحكمة الباهرة ، وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الأخيار ، والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُوْنَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾[8] ،

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٢٨٢/٥) .

(٢) سورة يونس ، الآية : (٣) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٤٣) .

(٤) سورة يونس ، الآية : (٣) .

(٥) سورة (المؤمنون) ، الآية : (٨٨) .

(٦) سورة (المؤمنون) ، الآية : (٨٨) .

(٧) سورة يونس ، الآية : (٣) .

(٨) سورة النبأ ، الآية : (٣٨) .

وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى »[1] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [2] :

« لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقتٍ من الأوقات إلا مِن بعد أنْ يأذن الله لهم في الشَّفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له ويرضى ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان ، وأما مَن عداهم من أهل الكفر والطغيان ، فهم من إذن الله تعالى بمَعْزِل ، ومن الشفاعة ألف مَنْزِل »[3] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوْداً ﴾[4] :

« محموداً عندك وعند جميع الناس ، وفيه تهوينٌ لمشقة قيام الليل ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المَقَامُ المَحْمُوْدُ هُوَ المَقَامُ الَّذِيْ أَشْفَعُ فِيْهِ لأُمَّتِيْ »[5] ...

وعن حذيفة رضي الله عنه : يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه

---

(١) إرشاد العقل السليم : (١١٩/٤) .

(٢) سورة النجم ، الآية : (٢٦) .

(٣) إرشاد العقل السليم : (١٦٠/٨) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : (٧٩) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند : (٤٤١/٢ ، ٥٢٨) ، وانظر سنن الترمذي في كتاب التفسير - باب سورة الإسراء : (٢٨٣/٥ ح ٣١٣٧) ، وقال الترمذي عقبه : « حديث حسن » . وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي : (٦٩/٣ ح ٢٥٠٨) ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة أيضاً : (ح ٢٣٦٩ ، ٢٣٧٠) .

نفـــس ، فأوّل مـدعو محمد صلى الله عليـه وسلم ، فيقول : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالمَهْـدِيُّ مَنْ هَـدَيْتَ ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ»[1] »[2] .

---

(١) حديث حذيفة رضي الله عنه رواه النَّسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير : (٣٨١/٦ ح ١١٢٩٤) ، والحاكم في المستدرك : (٣٦٣/٢) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده : ص (٥٥ ح ٤١٤) ، والطبري في تفسيره : (١٣١/٨) . وقال الحاكم عقبه : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وصحّح الحافظ ابن حجر إسناد النَّسائي في فتح البـاري : (٢٥١/٨) في شرح حديث رقم : (٤٧١٩) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٩٠/٥) .

النقـــد :

تأتي الشفـــاعة بمعنى التَّجاوز والعفو عن الذنوب والخطايا ، قال ابن الأثير : « هي الســؤال في التجاوز عن الذنوب والجـرائم بينهم ، يقــال : شفع يشفع شفـاعة فهو شـافع وشفيع ، والمُشَفِّع : الذي يقبـل الشفـاعة ، والمُشَفَّع : الذي تقبل شفاعته »[1] .

إن ردّ أبي السعود على الزمخشري وعلى فكرِه الاعتزالي كما تقدم من النقول السـابقة هو دليـلٌ صـريحٌ على أن أبا السعود بالرغم مـن مـدحه وثنـائه على الزمخشري في أول تفسيرِه وفي أثنائه[2] ، إلا أنّنا نجده يَرُدّ على المعتزلة في أكثر من موضعٍ واحدٍ[3] ، ومنها إنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر ، وقصرهم إياها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة الحسنات[4] .

وهؤلاء المنكرون لبعض مقـامات الشفاعـة ، وهي الشفـاعة لأهـل الكبـائر ، والشفــاعة في خروج الموحدين مــن النـار قد أخبر عنهم أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه وهو المُحَدِّث المُلْهَم ، فقـد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « خطب عمـر بن الخطاب رضي الله عنه ... فحمد الله وأثنى عليه - إلى قوله - أَلَا وَإِنَّهُ سَيَكُوْنُ مِنْ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر : (٢٣/٢) مادة (شفع) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم : (٤/١ ، ٨١) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم : (٩٩/١ ، ٦٩/٤ ، ٩٤/٩) .

(٤) حول رأي المعتزلة في الشفاعـــة انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص : (٦٨٨ - ٦٩١) ، والمعتزلـــة وأصولهم الخمسة للدكتور عواد بن عبد الله المعتق ص : (٢٣٥ - ٢٤٧) .

بَعْدِكُمْ قَوْمٌ يُكَذِّبُوْنَ بِالرَّجْمِ ، وَبِالدَّجَّالِ ، وَبِالشَّفَاعَةِ ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَبِقَوْمٍ يُخْرَجُوْنَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا امْتَحَشُوْا [١] »[٢] .

قال السفاريني : إنّ « شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات ، وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وانعقد عليها إجماع أهل الحقّ من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة »[٣] .

وإنّ من أعظم شُبَه نُفاة الشفاعة أنّ أحاديث الشفاعة أخبار آحاد ، وأنه لا يؤخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ؛ لأنها لا تفيد إلا الظّن ، وأن الظن لا يغني من الحقّ شيئاً ، ويجب أن تكون أدلةُ العقيدة قطعية الدّلالة قطعية الثبوت [٤] .

وقد جمع بعض أهل العلم أحاديث الشفاعة ، وذكروا أنها بلغت مبلغ التواتر ، فهي أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] .

---

(١) امتحشوا بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول : من المحش ، وهو احتراق الجلد وظهور العظم . انظر النهاية في غريب الحديث : (٣٠٢/٤) مادة (محش) .

(٢) المسند : (٢٣/١) ، وصحّح إسناده الشيخ أحمد محمد شاكر في شرحه على المسند : (٢٢٣/١ ح ١٥٦) .

(٣) لوامع الأنوار البهية : (٢٠٨/٢) .

(٤) إن شبهة كون أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة دسيسة من قبل أعداء السنة حتى يبطلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللرد عليهم انظر الرسالة للإمام الشافعي ، وصحيح الإمام البخاري : كتاب أخبار الآحاد ، والأحكام لابن حزم ، والصواعق المرسلة لابن القيم .

(٥) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم ص : (٣٨٥) ، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير : (٣١٤/٢) ، وشرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص : (١٣٨) ، وشرح العقائد للتفتازاني ص: (١٤٩) ، وشرح صحيح مسلم للنووي : (٣٥/٣) ، والشفاعة لمقبل بن هادي الوادعي ص : (١٧ -٢٦٣) ، وغيرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « أجمع المسلمون على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخَلْق يوم القيامة ، بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة .

ثم إن أهل السنة والجماعة مُتَّفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ، ويشفع أيضاً لعموم الخَلْق ، فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختصُّ بها لا يشركه فيها أحدٌ ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين ، لكن ماله فيها أفضل مما لغيره ، فإنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخَلْق وأكرمهم على ربِّه عزّ وجلّ ، وله من الفضائل التي ميّزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه[1] .

ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين أحاديث متعددة ، وفي السنن والمساند منها ما يكثر عدده .

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أنّ الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة في بعض الدرجات ، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقاً »[2] .

وعقد الإمام الآجرّي باباً بعنوان : « وجوب الإيمان بالشفاعة » ، قال فيه : « اعلموا رحمكم الله أنّ المنكر للشفاعة يزعم أنّ من دخل النار فليس

---

(١) انظر صحيح البخاري: (٦٣٤/١ح٤٣٨)، وصحيح مسلم: (٣٧٠/١ ح ٥٢١)، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ، ودلائل النبوة للبيهقي : (٤٧٠/٥)، والخصائص الكبرى للسيوطي .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص : (١٢٥ ، ١٢٦) .

بخارجٍ منها ، وهذا مذهب المعتزلة يكذِّبون بها ، وبأشياء سنذكرها إن شاء الله ، مما لها أصل في كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان ، وقول فقهاء المسلمين .

والمعتزلة يخالفون هذا كلّه ، لا يلتفتون إلى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا إلى سنن الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما يعارضون بمتشابه القرآن ، وبما أراهم العقل عندهم ، وليس هذا طريق المسلمين ، وإنما هذا طريق مَن قد زاغ عن طريق الحقِّ ، وقد لعب به الشيطان »[1] .

وقد وردت آيات تنفي الشفاعة والشفيع ، وآيات تثبتهما ، وهي كما يأتي :

أولاً : الآيات الواردة في نفي الشفاعة والشفيع

١- قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوْا يَوْماً لَا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ ﴾[2] .

٢- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُوْنَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ ﴾[3] .

٣- قال تعالى حاكياً عن بعض الصالحين : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً إِنْ

---

(١) الشريعة ص : (٣٣١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٤٨) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٤) .

يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنْقِذُوْنَ ﴾[1] .

٤- قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ أَنْ يُحْشَرُوْا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ﴾[2] .

٥- قال تعالى : ﴿ وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيْعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيْمٍ وَعَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ﴾[3] .

٦- قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُوْنَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾[4] .

٧- قال تعالى حاكياً عن أهل النار : ﴿ فَمَالَنَا مِنْ شَافِعِيْنَ ۞ وَلاَ صَدِيْقٍ حَمِيْمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾[5] .

٨- قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَلِيٍّ

---

(١) سورة يس ، الآية : (٢٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٥١) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : (٧٠) .

(٤) سورة يونس ، الآية : (١٨) .

(٥) سورة الشعراء ، الآيات : (١٠٠ - ١٠٢) .

وَلاَ شَفِيْعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُوْنَ ﴾[1] .

٩- قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوْا لاَ يَمْلِكُوْنَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُوْنَ ۞ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيْعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴾[2] .

١٠- قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوْبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِيْنَ مَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ حَمِيْمٍ وَلاَ شَفِيْعٍ يُطَاعُ ﴾[3] .

ثانياً : الآيات في إثبات الشفاعة والشفيع

١- قال الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[4] .

٢- قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ شَفِيْعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[5] .

٣- قال تعالى : ﴿ وَقَالُوْا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُوْنَ لاَ يَسْبِقُوْنَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُوْنَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُوْنَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُوْنَ ﴾[6] .

٤- قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

---

(١) سورة السجدة ، الآية : (٤) .

(٢) سورة الزمر ، الآيتان : (٤٣ - ٤٤) .

(٣) سورة غافر ، الآية : (١٨) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

(٥) سورة يونس ، الآية : (٣) .

(٦) سورة الأنبياء ، الآيات : (٢٦ - ٢٨) .

وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[1] .

٥- قال تعالى : ﴿ وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴾[2] .

٦- قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[3] .

الجمع بين الآيات المثبتة والآيات النافية[4] :

إن النفي المقصود به في الآيات النافية هي الشفاعة التي تطلب من غير الله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيْعاً ﴾[5] .

والشفاعة المثبَتة لا تُقبل إلا بشروط :

الأول : قدرة الشافع على الشفاعة ، كما قال الله تعالى في حق الشافع الذي يطلب منه وهو غير قادر على الشفاعة : ﴿ وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُنَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ

---

(١) سورة طه ، الآية : (١٠٩) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : (٨٦) .

(٣) سورة النجم ، الآية : (٢٦) .

(٤) انظر الشفاعة للوادعي ص : (١٢) .

(٥) سورة الزمر ، الآية : (٤٤) .

(٦) سورة يونس ، الآية : (١٨) .

وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴾[1] ، فعُلم من هذا أن طلب الشفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ قِطْمِيْرٍ ۞ إِنْ تَدْعُوْهُمْ لَا يَسْمَعُوْا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوْا مَا اسْتَجَابُوْا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُوْنَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيْرٍ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوْا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيْهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيْرٍ ۞ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[3] .

الثاني : إسلام المشفوع له ، قال الله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ حَمِيْمٍ وَلَا شَفِيْعٍ يُطَاعُ ﴾[4] ، والمراد بالظالمين هنا الكافرون .

قال الإمام البيهقي : « فالظالمون هٰهنا هم الكافرون ، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين »[5] .

وقال أبو السعود : « إن المراد بالظالمين هم الكفار »[6] . وقال أيضاً : « والضمائر وإن عادت إلى الكفار وهو الظاهر ، فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به »[7] .

ويستثنى من المشركين أبو طالب ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : (٨٦) .

(٢) سورة فاطر ، الآيتان : (١٣ ، ١٤) .

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : (٢٢ ، ٢٣) .

(٤) سورة غافر ، الآية : (١٨) .

(٥) شعب الإيمان : (٢٨٠/١) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (١٣١/٢) .

(٧) إرشاد العقل السليم : (٢٧٢/٧) .

له حتى يصير في ضَحْضَاحٍ من نار[1] .

الثالث : الإذن للشافع ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[2] . قال أبو السعود : « لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمٰن أن يشفع لغيره »[3] .

الرابع : الرضا عن المشفوع له ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَٰوَاتِ لَا تُغْنِيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُوْنَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[5] .

قال أبو السعود : « لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى ، والشفيع مأذوناً له »[6] .

(١) انظر نَصّ الحديث وتخريجه في ص : (٥٥٤) .
(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .
(٣) إرشاد العقل السليم : (٦/٤٣) .
(٤) سورة النجم ، الآية : (٢٦) .
(٥) سورة الأنبياء ، الآيات : (٢٦ - ٢٨) .
(٦) إرشاد العقل السليم : (٧/٢٥٧) .

وأما أحاديث الشفاعة فمنها :

١- روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :« أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيهِ الذِّرَاعُ - وكانت تعجبه - فنَهَسَ[1] منها نَهْسَةً ، ثم قال : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُوْنَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يُجْمَعُ النَّاسُ - الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ - فِي صَعِيْدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيْ ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُوْ الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَيطِيْقُوْنَ وَلاَ يَحْتَمِلُوْنَ ، فَيَقُوْلُ النَّاسُ : أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلاَ تَنْظُرُوْنَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُوْلُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُوْنَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَيَقُوْلُوْنَ لَهُ : أَنْتَ أَبُوْ الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيْكَ مِنْ رُوْحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوْا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنا ؟ فَيَقُوْلُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِيْ عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى نُوْحٍ ، فَيَأْتُوْنَ نُوْحاً فَيَقُوْلُوْنَ : يَا نُوْحُ ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوْراً ، اِشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَيَقُوْلُ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِيْ دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ اِذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى إِبْرَاهِيْمَ ، فَيَأْتُوْنَ إِبْرَاهِيْمَ ، فَيَقُوْلُوْنَ : يَا إِبْرَاهِيْمُ ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيْلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، اِشْفَعْ لَنَا إِلَى

---

(١) النَّهْسُ : أَخْذُ اللحم بأطراف الأسنان ، والنَّهْشُ : الأخذ بجميعها . انظر النهاية في غريب الحديث : (١٣٦/٥) مادة (نهس) .

رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَيَقُوْلُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُوْ حَيَّانَ[1] فِي الحَدِيْثِ - نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِي ، اِذْهَبُوْا إِلَى مُوْسَى ، فَيَأْتُوْنَ مُوْسَى ، فَيَقُوْلُوْنَ : يَا مُوْسَى ، أَنْتَ رَسُوْلُ اللَّهِ ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اِشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَيَقُوْلُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى عِيْسَى ، فَيَأْتُوْنَ عِيْسَى ، فَيَقُوْلُوْنَ : يَا عِيْسَى ، أَنْتَ رَسُوْلُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً ، اِشْفَعْ لَنَا ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَيَقُوْلُ عِيْسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً - نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، اِذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِي ، اِذْهَبُوْا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَأْتُوْنَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُوْلُوْنَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُوْلُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اِشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ اِرْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِيْ ، فَأَقُوْلُ : أُمَّتِيْ يَا رَبِّ ، أُمَّتِيْ يَا رَبِّ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ

---

(١) أبو حيّان ، أحد رواة الحديث ، وهو يحيى بن سعيد بن حيّان ، أبو حيّان التيمي الكوفي ، ثقة عابد . مات سنة ١٤٥ هـ . انظر تهذيب الكمال : (٣٢٣/٣١) ، والكاشف في معرفة مَن له رواية في الكتب الستة للذهبي : (٢٥٦/٣) ، وتقريب التهذيب ص : (٥٩٠) .

الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ(١) مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَر ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى »(٢) .

٢- وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً »(٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ »(٤) .

وعنه رضي الله عنه أيضاً قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيّاً مَا يُصَدِّقُهُ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ »(٥) .

وعنه رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) المراد بالمصراعين ، أي : جانبي الباب . انظر لسان العرب : (٤٢١٥/٧) مادة (مصر) .

(٢) الصحيح في كتاب التفسير - باب ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً : (٢٤٧/٨ ح ٤٧١٢) . وانظر صحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : (١٨٤/١ ح ١٩٤) ، وسنن الترمذي في كتاب صفة القيامة - باب ما جاء في الشفاعة : (٥٣٧/٤ - ٥٣٨ ح ٢٤٣٤) ، ومسند الإمام أحمد : (٤٣٥/٢) . وكتاب التوحيد لابن خزيمة : (٥٩٣/٢ ح٣٤٧) ، ومسند أبي عوانة : (١٧١/١) .

(٣) الصحيح في كتاب الإيمان - باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ » : (١٨٨/١ ح ١٩٦ رقم : ٣٣٠) .

(٤) المصدر نفسه ، رقم : (٣٣١) .

(٥) المصدر نفسه ، رقم : (٣٣٢) .

« آتِيْ بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُوْلُ الخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُوْلُ : مُحَمد ، فَيَقُوْلُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »[1] .

٣- وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، وذُكر عنده عمّه [أبو طالب] ، فقال : « لَعَلّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ[2] مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِيْ مِنْهُ دِمَاغُهُ »[3] .

---

(١) المصدر نفسه ، رقم : (٣٣٣) .

(٢) الضَّحْضَاحُ في الأصل ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار . انظر النهاية في غريب الحديث : (٧٥/٣) مادة (ضحضح) .

(٣) الصحيح في كتاب مناقب الأنصار - باب قصة أبي طالب : (٢٣٣/٧ ح ٣٨٨٥) . وانظر صحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان - باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : (١٩٥/١ ح ٢١٠) .

أنواع الشفـــاعة :

ذكر العلماء أنواع الشفـــاعة واستقصوها في ثمانيــة أنواع ، منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهـا مـا هو مشترك بينـه وبين غيره ، وهي كما يأتي :

١- الشفـــاعة العظمى ، وهي شفـــاعته صلى الله عليـــه وسلم في أهـــل الموقفـــ حتى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم ، وبعد مراجعتهم الأنبيـاء للقيـام بها ، فيقوم بهـا نبيّنا محمد صلى الله عليـه وسلم بعد إذن ربّه ، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود المذكور في الآية الكريمة .

٢- شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب .

٣- شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمّه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه ، وهي خاصة به ، وخاصة لأبي طالب .

وهـذه الأنواع الثلاثـــة مـن الشفاعـــة خاصـة بنبينـا محمد صلى الله عليه وسلم .

٤- شفـاعته صلى الله عليـه وسلم فيمـن استحقـ النـار مـن عصـاة الموحّدين ألّا يدخلها .

٥- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من عصاة الموحّدين أن يخرج منها .

٦- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

٧- شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ، وهم أهل الأعراف على قول جَمْعٍ من العلماء .

٨- شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كشفاعته صلى الله عليه وسلم في عُكَّاشَة بن مِحْصَن[1] رضي الله عنه حيث دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[2] .

وهذه الأنواع الخمسة الأخيرة من أنواع الشفاعة يشارك النبي صلى الله عليه وسلم فيها غيره من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين [3] .

---

(١) هو عُكّاشة بن مِحْصَن الشهيد ، أبو محصن الأسدي ، حليف قريش ، ومن السابقين الأولين البدريين أهل الجنة . استشهد سنة ١١ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٩٢/٣) ، وأسد الغابة : (٦٧/٤) ، وسير أعلام النبلاء : (٣٠٧/١) ، والإصابة : (٢٥٦/٤) .

(٢) انظر صحيح الإمام البخاري في كتاب الطب - باب مَن اكْتَوَى أو كَوَى غيره : (١٦٣/١٠ ح ٥٧٠٥) ، وصحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حسابٍ ولاعذابٍ : (١٩٧/١ ح ٢١٦) .

(٣) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة : (٥٨٨/٢) ، والشريعة للآجري ص : (٣٣٨-٣٥١) ، وشرح صحيح مسلم للنووي : (٣٥/٣) ، والنهاية في الفتن والملاحم : (٢٠٢/٢ - ٢٤٨) ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز : (٣٠٧/١ - ٣٢٠) ، وفتح الباري : (٤٣٥/١١ - ٤٣٦) ، ولوامع الأنوار البهية : (٢١١/٢) .

المطلب الرابع

الْمِيزَانُ

العرض :

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾(١) :

« أي وزن الأعمال ، والتَّمييز بين راجحها وخفيفها وجيِّدها ورديئها ...

واختلف في كيفيَّة الوزن ، والجمهور على أنَّ صحائف الأعمال هي التي تُوزن بميزانٍ له لسان وكفَّتان ينظر إليه الخلائق إظهاراً [للمَعْدِلَة](٢) ، وقطعاً للمعذرة ، كما يسألهم عن أعمالهم ، فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم ، ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد ، وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب .

ويؤيده ما روي أنّ الرجل يُؤتى به إلى الميزان فيُنشر له تسعة وتسعون سجلاً

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (٨) .

(٢) في النص : « للمعادلة » ، والتصحيح من طبعة دار الفكر : (٢٣٥/٢) . والمعدَلة أو المعدِلة - بفتح الدّال وكسرها - أي العدل . انظر مختار الصحاح ص : (٤١٧) ، والقاموس المحيط : (١٣/٤) .

مدّ البصر ، فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة ، فتوضع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفَّة ، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة[1] .

وقيل : يوزن الأشخاص لما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة[2] .

وقيل : الوزن عبارة عن القضاء السَّوي والحكم العدل ، وبه قال مجاهد[3] والأعمش[4] والضحاك[5] ، واختاره كثير من المتأخرين بناءً على أن

---

(١) حديث البطاقة رواه الإمام أحمد بسنده في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (٢١٣/٢) . وانظر سنن الترمذي في كتاب الإيمان - باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله : (٢٥/٥ ح ٢٦٣٩) ، وسنن ابن ماجه في كتاب الزهد - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة : (١٤٣٧/٢ ح ٤٣٠٠) ، ومستدرك الحاكم : (٦/١ ، ٥٢٩) . وقال الترمذي عقيبه : « هذا حديث حسن غريب » ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ، وصحح إسناده أيضاً أحمد محمد شاكر في شرحه على المسند : (١٧٥/١١ ح ٦٩٩٤) ، والألباني في صحيح سنن الترمذي : (٣٣٣/٢ ح ٢١٢٧) .

(٢) صدّر أبو السعود هذا الحديث بصيغة التمريض بقوله : « رُوي » ، وهو حديث صحيح متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه لفظ الرجل : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيْمُ السَّمِيْنُ ...» ، فقد رواه الإمام البخاري بسنده في صحيحه في كتاب التفسير - باب ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ : (٢٧٩/٨ ح ٤٧٢٩) . وانظر صحيح الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين : (٢١٤٧/٤ ح ٢٧٨٥) .

(٣) تقدمت ترجمته في ص : (٢٥٥) .

(٤) الأعمش هو : سليمان بن مِهْران ، أبو محمد الأسَدي الكاهلي مولاهم الكوفي ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، وشيخ المقرئين والمحدِّثين . مات سنة ١٤٧ هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : (٣٤٢/٦) ، وتهذيب الكمال : (٧٦/١٢) ، وسير أعلام النبلاء : (٢٢٦/٦) .

(٥) هو الضّحّاك بن مَخْلَد بن الضحاك ، أبو عاصم الشيباني مولاهم ، الإمام الحافظ ، شيخ المحدِّثين الأثبات ، مُتّفقٌ عليه زُهداً وعِلماً وديانةً وإتقاناً . مات سنة ٢١٢ هـ . انظر الطبقات الكبرى : (٢٩٥/٧) ، وتهذيب الكمال : (٢٨١/١٣) ، وسير أعلام النبلاء : (٤٨٠/٩) .

استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية ، قالوا : إنّ الميزان إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادير الشيء ، ومقادير أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك ؛ لأنها أعراض قد فنيت ، وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن .

وقيل : إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح ، حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسّم هناك وتتصور بصورة النار ، وعلى ذلك حمل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَ فِي بُطُوْنِهِمْ نَاراً ﴾[2] ، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حقِّ مَن يشرب من إناء الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم[3] ، ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على سورة[4] اللبن .

إن قيل : إنّ المكلّف يوم القيامة إما مؤمن بأنه تعالى حكيم منزّه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الأعمال وكمياتها ، وإما منكر له ، فلا يسلم حينئذٍ أن رجحان بعض الأعمال على بعض لخصوصيات راجعة إلى

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (٤٩) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (١٠) ، وأول الآية وآخرها : ﴿ إِنَّ الذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَ فِي بُطُوْنِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْراً ﴾ .

(٣) رواه الإمام البخاري بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في كتاب الأشربة - باب آنية الفضة : (١٠/٩٨ ح ٥٦٣٤) ، وانظر صحيح الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة - باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة : (٣/١٦٣٤ ح ٢٠٦٥) .

(٤) في طبعة دار الفكر : « صورة » .

ذوات تلك الأعمال ، بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه ، فما الفائدة في الوزن ؟

أجيب : بأنه ينكشف الحال يومئذٍ ، وتظهر جميع الأشياء بحقائقها على ما هي عليه ، وبأوصافها وأحوالها في أنفسها من الحسن والقبح ، وغير ذلك ، وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لأحدٍ ممن يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها ، وإن كل واحدٍ منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ، ولا يخطر بباله خلاف ذلك ، والله تعالى أعلم »[1] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٢١٢/٣ ، ٢١٣) .

النقــد :

الميزان في اللغة : اسم للآلة التي توزن بها الأشياء ، والوزن معرفة قدر الشيء[1] .

وفي الاصطلاح : هو الذي توزن به الحسنات والسيئات يوم القيامة[2].

وقد ذكر أبو السعود في معرض حديثه عن كيفية الوزن والميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات عدة أقوال ولم يرجّح شيئاً منها .

فأما القول الأول الذي نقله عن الجمهور بأن صحائف الأعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق ، فقد نقله بتمامه من تفسير الزمخشري[3] والبيضاوي [4].

وهذا القول في وصف الميزان بأن له لساناً إنما يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً ولا يصح ؛ لأنه من طريق الكلبي[5] عن أبي صالح [6]

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن ص : (٥٢٢) .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية : (١٨٤/٢) .

(٣) انظر الكشاف : (٢/ ٦٧ ، ٦٨) .

(٤) انظر أنوار التنزيل : (٣٣٢/١) .

(٥) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي النسابة المفسر ، كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث مُتَّهَم بالكذب ورُمي بالرفض ، مات سنة (١٤٦ هـ) . انظر : التاريخ الكبير : (١٠١/١) ، والكاشف : (٣/ ٤٦) ، وتقريب التهذيب ص : (٤٧٩) .

(٦) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب الهاشمي ، واسمه باذام ويقال : باذان الكوفي . ضعيف يرسل لا يحتج به . انظر التاريخ الكبير : (١٤٤/٢) ، والكاشف : (١٤٩/١) ، وتقريب التهذيب ص : (١٢٠) .

عن ابن عباس [١] ، وورد أيضاً عن الحسن[٢] .

وأما القول الثاني الذي ذكره أبو السعود فهو يدل على كيفية وزن العامل ، ويؤيده الحديث الصحيح الذي ذكره ، وأيضاً ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سِوَاكاً من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تَكْفَؤُه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِمَّ تَضْحَكُوْنَ » ؟ قالوا : يا نبي اللّهِ من دِقّة ساقَيْه ، فقال : « وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيْزَانِ مِنْ أُحُدٍ »[٣] .

وأما القول الثالث : الذي يفسر الميزان بأنه عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل ، والذي اختاره كثير من المتأخرين ، بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية ، فهذا القول يدل على إنكار الميزان وتأويله ، وقد قال به بعض المعتزلة وأهل البدع ، والسبب الذي حملهم على هذا التأويل هو ظنهم أن الأعراض يستحيل وزنها ؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة ، وعليه فيستحيل وزن الأعمال حقيقة لأنها أعراض[٤] .

وذكر الزمخشري القولين بدون ترجيح وقد نقلهما عنه أبو السعود كما تقدم ، فقال : « واختلف في كيفية الوزن ، فقيل : توزن صحف الأعمال

---

(١) رواه أبو الشيخ ابن حيان في تفسيره . انظر لوامع الأنوار البهية : (١٨٥/٢) .

(٢) انظر فتح الباري : (٥٤٨/١٣) .

(٣) المسند : (٤٢٠/١ - ٤٢١) . وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند : (٣٩/٦ ح ٣٩٩١) .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين ص : (٤٧٢) .

بميزان له لسان وكفتان تنظر إليه الخلائق تأكيداً للحجة ، وإظهاراً للنصفة ، وقطعاً للمعذرة ... وقيل : هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل »[1] .

إلا أن القاضي عبد الجبار ردّ على من أنكر تأويل الميزان بالعدل فقال :

« ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه ، المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس ... يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدلّ على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا »[2] .

والحق أن تأويل الميزان بالعدل باطل ؛ لأنه قد جاءت فيه نصوص كثيرة تدل على أن له كفتين حسيتين مشاهدتين ، فمنها مارواه الآجرّي بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « يُوْضَعُ المِيْزَانُ ، وَلَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّتَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيْهِنَّ لَوَسِعَتْهُنَّ ، فَتَقُوْلُ المَلَائِكَةُ : رَبَّنَا لِمَنْ تَزِنُ بِهَذَا ؟ فَيَقُوْلُ : لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي ، فَيَقُوْلُوْنَ : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ »[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « الميزان هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة ...

---

(١) الكشاف : (٦٧/٢ - ٦٨) .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص : (٧٣٥) .

(٣) الشريعة ص : (٣٨٢) ، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : (١١٧٣/٦). والمستدرك : (٥٨٦/٤). وقال الحاكم عقبه : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني على إسناد الآجري : « وإسناده صحيح ، وله حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي » . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٦١٩/٢ ح ٩٤١) .

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب »[1] .

وقال ابن حزم : « وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأةً وإقداماً ، وتنطع آخرون ، فقالوا : هو ميزان بكفتين من ذهب ، وهذا إقدام آخر لا يحلّ »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « إنَّ الله سبحانه يزن حسنات العبد وسيئاته ، فقد ترجح الحسنات وإن كان في السيئات كبيرة ، وقد لا ترجح الحسنات لكثرة السيئات وإن لم يكن فيها كبيرة ، وعلى هذا القول دلّ الكتاب والسنة ، وهذا معنى وزن الأعمال »[3] .

وقال ابن أبي العزّ الحنفي : « فلا يُلتفت إلى مُلحدٍ معاندٍ يقول : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام ، فإنّ الله يقلب الأعراض أجساماً ... كما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَبْشاً أَغَرّ ، فَيُوْقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ ، وَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ وَيَرَوْنَ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ ، فَيُذْبَحُ ، وَيُقَالُ : خُلُوْدٌ لَا مَوْتَ ... »[4] ، فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال ، وثبت أن الميزان له كفتان ، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات .

---

(١) مجموع الفتاوى : (٣٠٢/٤) .

(٢) الفِصَل : (١١٤/٤) .

(٣) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ... لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : عبد العزيز ابن محمد الخليفة : (٣٨٧/١) .

(٤) الحديث سبق تخريجه في ص : (٥١٢) من هذه الرسالة .

فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان ، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ...»[1] .

ووزن الأعمال ورد فيه عدة أحاديث ، منها :

ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري[2] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيْزَانَ ... »[3] .

ومنها ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَلِمَتَانِ خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللسَانِ ، ثَقِيْلَتَانِ فِي المِيْزَانِ ، حَبِيْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيْمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»[4] .

وما رواه الإمام الترمذي بسنده عن أبي الدرداء[5] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيْزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ

(١) شرح الطحاوية : (١٦٠/٢) .

(٢) أبو مالك هو الحارث بن الحارث الأشعري ، له صحبة ، مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ انظر أسد الغابة : (٣٨٢/١) ، والإصابة : (٢٨٨/١) .

(٣) الصحيح ، كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء : (٢٠٣/١ ح ٢٢٣) .

(٤) الصحيح في كتاب الدعوات - باب فضل التسبيح : (٢١٠/١١ ح ٦٤٠٦) . وانظر صحيح الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء : (٢٠٧٢/٤ ح ٢٦٩٤) .

(٥) أبو الدرداء هو عُويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، صاحب رسول الله ﷺ الإمام القدوة ، قاضي دمشق وسيّد القرّاء فيها ، حكيم هذه الأمة . مات سنة ٣٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء : (٣٣٥/٢) ، والإصابة : (٥٨/٧) .

خُلُقٍ حَسَنٍ »[1] .

فهذه الأحاديث الشريفة تدلّ على أنّ الأعمال توزن وإن كانت أعراضاً ، والحاصل أنّ الإيمان بالميزان ثابت بالكتاب والسنة ، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، وانعقد إجماع أهل الحقّ من المسلمين عليه[2] .

ويظهر لنا مما تقدّم ذكره آنفاً عن الوزن والميزان أنَّ أبا السعود لم يرجّح شيئاً في نقوله السابقة ، ولم يحدّد موقفه بالنسبة إلى هذه المسألة ، وإنما اكتفى بعرض تلك الأقوال عرضاً .

واستكمالاً لهذا المبحث فقد بيّنت الاعتقاد الصحيح فيها ، وأن السلف الصالح رضي الله عنهم يعتقدون أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ، وهو ميزان للحسنات والسيئات ، توزن به صحائف أعمال العباد يوم القيامة ، وكيفية الوزن من الأمور الغيبية التي لا يجوز الخوض فيها إلا بدليل ، ومن قال إنه مجرّد العدل ، فقد وقع في التأويل الباطل الذي اختاره كثير من المتأخرين ، مخالفين بذلك صحيح المنقول ، وصريح المعقول ، والله تعالى أعلم .

(١) السنن في كتاب البر والصلة - باب ما جاء في حسن الخلق : (٣١٨/٤ ح ٢٠٠٢) . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي : (١٩٣/٢ ح ١٦٢٨) ، وفي الصحيحة : (٥٣٥/٢ ح ٨٧٦) .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية : (١٨٤/٢ ، ١٨٥) .

المبحث الرابع

الجنـــة والنـــار

العـــرض :

قال أبو السعود :

« الجنـة هي المرة من مصدر جنـه إذا ستره تطلق على النخل والشجـر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه ، قال زُهَير[1] :

كَأَنّ عَيْنِيّ في غَـرْبَيَ مُقَتَّلَةٍ   مِنَ النَّوَاضِحِ تسقي جَنَّةً سُحُقاً [2]

أي نخلاً طوالاً كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة ، وعلى الأرض ذات الشجـر ، قال الفَـرّاء[3] : الجنة ما فيه النخيـل ، والفـردوس ما فيه الكرم ، فحق المصدر حينئذٍ أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني للمفعول ، وإنما سمّيت دار الثواب بها مع أن فيها مالا يوصفـــ من الغـرفات والقصور ، لما أنهـا منـاط نعيمهـا ومعظم مـلاذها وجمعهـا مع التنكير ؛ لأنهـا سبـع على مـا ذكره ابن عبـاس رضي الله عنهمـا : جنـة الفـردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنـة المأوى ، ودار

(١) هو زُهَيْر بن أبي سُلْمَى ربيعة بن رياح المزني من مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبُجير شاعرين . مات سنة ١٣ قبل الهجرة . انظر الشعر والشعراء ص : (٥١) ، والأعلام : (٣/٥٢) .

(٢) انظر ديوان زُهير بن أبي سُلْمَى ص : (٦٦) .

(٣) سبقت ترجمته في ص : (٢٦٢) .

السلام ، وعليون[1] ، وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال وأصحابها »[2] .

ولقد نصَّ أبو السعود على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ، ويظهر ذلك من خلال النصوص الآتية :

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوْا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾[3] :

« أي : هُيِّئت لهم ، وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن ، وأنها خارجة عن هذا العالم »[4] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوْا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ ﴾[5] :

« أُعدَّت للكافرين : أي هُيِّئت للذين كفروا بما نزلناه ، وجعلت عدة لعذابهم ... وقرىء : اعتدت من العتاد بمعنى العدة ، وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن »[6] .

وقال عن بقاء الجنة والنار في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ

---

(١) انظر التفسير الكبير : (١١٩/١) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٦٨/١ - ٦٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٣) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٨٥/٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٢٤) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (٦٨/١) .

ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوْا هَذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوْا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيْهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ ﴾[١] :

« الخلود في الأصل : الثبات المديد ... لكن المراد هٰهنا الدوام قطعاً ؛ لما يفضي به من الآيات والسنن ... »[٢] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ وَمَاهُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ ﴾[٣] :

« أبد الآباد ؛ لأنَّ تمام النعمة بالخلود »[٤] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝ خَالِدِيْنَ فِيْهَا لاَ يَبْغُوْنَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[٥] :

« أي : لا يطلبون تحولاً عنها ؛ إذْ لا يُتصور أن يكون شيء أعزّ عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ، وتطمح نحوه أبصارهم ، ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود »[٦] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ خَالِدِيْنَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[٧] :

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١/٧٠ - ٧١) .

(٣) سورة الحجر ، الآية : (٤٨) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٥/٨٠) .

(٥) سورة الكهف ، الآيتان : (١٠٧ ، ١٠٨) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (٥/٢٥١) .

(٧) سورة هود ، الآية : (١٠٧) .

« أي مــدة دوامهمــا ، وهــذا التوقيت عبــارة عن التــأبيد ، ونفي الانقطاع ، بناءً على منهــاج قول العرب : مادام تعار ، وما أقام ثبير ، وما لاح كوكب ، وما اختلف الليل والنهار ، وما طما البحر ، وغير ذلك من كلمات التأبيد ، لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السمٰوات والأرض ، فإن النصوصَ القاطعةَ دالةٌ على تأبيد قرارهم فيها ، وانقطاع دوامهما .

وإن أريــد التعليق ، فالمــراد سمٰوات الآخـرة وأرضهـا ، كما [تدل][1] على ذلك النصوص ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَـٰوَاتُ ﴾ [2] ، وقوله تعــالى : ﴿ وَأَوْرَثَنَــا الأَرْضَ نَتَبَــوَّأُ مِنَ الجَنَّــــةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [3] ، وجــزم كلّ أحدٍ بأن أهل الآخرة لا بُدّ لهم من مظلّة ومقلة دائمتــين يكفي في تعليق دوام قــرارهم فيها بدوامهما ، ولا حاجة إلى الوقوف على تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما .

﴿ إِلَّا مَا شَــاءَ رَبُّكَ ﴾ : استثناء من الخلـود على طريقة قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى ﴾ [4]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ [6] ، غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومــة بحكم العقل ، واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل ، يعني أنهم

---

(١) في النص : « يدل » ، والصواب ما أثبته .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : (٤٨) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٧٤) .

(٤) سورة الدخان ، الآية : (٥٦) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٢٢) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية : (٤٠) .

مستقرون في النار في جميع الأزمنة ، إلا في زمان مشيئة الله تعالى ، لعدم قرارهم فيها ، وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود ، فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ، ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى ...

وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار ، فإنهم لا يخلدون فيها ، بل يعذّبون بالزمهرير ، وبأنواع أخر من العذاب ، وبما هو أغلظ منها كلها ، وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم ، وأنت تدري أَنَّا وإنْ سَلَّمْنَا أن المراد بالنار ليس مطلق العذاب المشتملة على أنواع العذاب ، بل نفس النار ، فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار ، فلا مصداق في ذلك للاستثناء ، ولك أن تقول : إنهم ليسوا بمخلّدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار ، بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور إدراكهم على ما أَلِفُوا من الأحوال الجسمانية ، وليس لهم استعداد لِتَلَقِّي ما وراء ذلك من الأحوال الروحانية إذا أُلقي إليهم ، ولذلك لم يتعرَّض لبيانه ، واكتفى بهذه المرتبة الإجمالية المنبئة عن التهويل ، وهذه العقوبات وإن كانت تعتريهم وهم في النار لكونهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به ، وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء .

هذا وقد قيل : إلا ، بمعنى سوى ، وهو أوفق بما ذكر .

وقيل : ما ، بمعنى من على إرادة معنى الوصفية ، فالمعنى : إن الذين

شقوا في النار مقدرين الخلود فيها إلا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها ، وهم عصاة المؤمنين »[١] .

والكلام في أهل الجنة كالكلام فيما سبق ، خلا أن أهلها في بهجة وسرور ؛ لأن المقام في الجنة يقتضي إعطاءً وإنعاماً بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعاً يَامَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيْ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِيْنَ فِيْهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ ﴾[٢] :

« قال ابن عباس رضي الله عنهما : استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه أنهم يُسْلِمون ويُصَدِّقون النبي صلى الله عليه وسلم[٣] .

وهذا مبنيٌّ على أن الاستثناء ليس من المحكي ، وما : بمعنى من .

وقيل : المعنى إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير ، فقد رُوي أنهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميّز بعض أوصالهم من بعض ، فيَتَعَاوَوْنَ[٤] ويطلبون الرَّد إلى الجحيم[٥] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : (٢٤١/٤ - ٢٤٢) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١٢٨) .

(٣) انظر جامع البيان في تأويل القرآن : (٣٤٣/٥) ، والتفسير الكبير للرازي : (١٥٨/٧) .

(٤) يتعاوون ، أي : يصيحون ، من عَوَى يَعْوِي عُواء ، فهو عاوٍ ، والعُوَاء : صوت السباع ، وكأنه بالذئب والكلب أخصّ . انظر النهاية في غريب الحديث : (٣٢٤/٣) مادة (عوا) .

(٥) انظر التفسير الكبير : (١٥٧/٧) .

وقيل : يفتح لهم وهم في النار باب إلى الجنة ، فيسرعون نحوه ، حتى إذا صاروا إليه سُدّ عليهم الباب[1] .

وعلى التقديرين فالاستثناء تهكُّم بهم .

وقيل : إلا ما شاء الله قبل الدخول ، كأنه قيل : النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم ، ولا يخفى بعده »[2] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيْهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَاهُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنَ النَّارِ ﴾[3] :

« كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار ، والأصل : وما يخرجون ، والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج »[4] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيْماً ﴾[5] :

« إنّ الشرع قد نصّ على إشراك أهل الكتاب قاطبةً ، وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار »[6] .

---

(١) سبق تخريجه في ص : (٢٧٨) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (١٨٥/٣) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٦٧) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (١٨٧/١) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٤٨) .

(٦) إرشاد العقل السليم : (١٨٧/٢) .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلطَّاغِيْنَ مَآباً * لَابِثِيْنَ فِيْهَا أَحْقَاباً ﴾[1] :

« أحقاباً ظرف لِلَبْثِهِمْ ، أي : دهوراً متتابعة ، كلّما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية ؛ فإنّ الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها ، فليس فيه ما يدلّ على تناهي الأحقاب ، ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة »[2] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوْداً غَيْرَهَا لِيَذُوْقُوْا الْعَذَابَ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَزِيْزاً حَكِيْماً ﴾[3] :

« ليذوقوا العذاب : ليدوم ذوقه ولا ينقطع »[4] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ ﴾[5] :

« دائماً أبداً ، فأنى لهم التفصي[6] عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا ، فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة ، لما عرفت من اختصاصها بالكافر ، ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل »[7] .

---

(١) سورة النبأ ، الآيات : (٢١ - ٢٣) .

(٢) إرشاد العقل السليم : (٩/٩١) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (٥٦) .

(٤) إرشاد العقل السليم : (٢/١٩١) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٨١) .

(٦) التفصّي ، أي : الخروج . انظر النهاية في غريب الحديث : (٣/٤٥٢) مادة (فصا) .

(٧) إرشاد العقل السليم : (١/١٢٢) ، وانظر منه كذلك : (٤/١٣٩) .

وبعد أن سقنا النصوص الطويلة في الجنة والنار ، ووجودهما الآن ، وأبديتهما مع أهليهما ، نَعْرِض رأي أبي السعود على عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم ؛ حتى يتبيّن لنا مدى بعده أو قربه منها .

النقــد :

إنّ مِن مذهب أهل الحقّ ، ومما اتفق عليه أهل التوحيد والصِّدق ، أنَّ الجنـة والنـار مخلوقتـان الآن ، باقيتـان ، لا يفنى أهلهمـا ، والجنـة دار أوليائه ، والنار عقابه لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلّدون ، والمجرمون في عذاب جهنم لا يُفَتَّر عنهم وهم فيه مُبْلِسون ، وقد خُلِقت الجنة وما فيها ، وخُلِقَت النـار ومـا فيهـا ، خَلَقهمـا الله عزَّ وجلَّ قبـل يوم القيـامة ، وخَلَق لهما خلقاً ، وهما لا يفنيان أبداً [1] .

قال الإمام أبو عثمان الصابوني : « ويشهد أهل السنة أنّ الجنة والنار مخلوقتـان ، وأنهمـا باقيتـان لا يفنيان أبداً ، وأنّ أهل الجنـة لا يخرجون منهـا أبداً ، وكذلك أهل النـار - الذين هم أهلهـا خُلِقوا لهـا - لا يخرجون منها أبداً »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتهـا وسائر أهل السنة والجماعة على أنّ من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكُلِّيَّـة ، كالجنـة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقـل بفنـاء جميع المخلوقات إلا طائفـة مـن أهـل الكلام المبتـدعين ، كالجهم بن صفوان ، ومـن وافقـه مـن المعتزلة ونحوهم ، وهـذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها »[3] .

---

(١) انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص : (١٣٨) .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص : (٢٦٤) .

(٣) مجموع الفتاوى : (٣٠٧/١٨) .

ونقـل الإمـام ابن قيّم الجوزيّة عن الإمـام أحمـد قوله : « وقد خُلِقت الجنــة ومـا فيها ، وخُلِقت النار وما فيها ، خَلَقهمـا الله عَزَّ وجلَّ ، وخَلَق الخَلْق لهما ، ولا يفنيان ، ولا يفنى ما فيها أبداً .

فإن احتجّ مبتـدع أو زنديق بقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَـالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[1] ، وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقــاء لا للفنــاء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ... فمن قال خلافـــ هذا فهو مبتدع ، وقد ضلّ عن سواء السبيل »[2] .

وقال ابن قيّم الجوزية أيضاً : « ولما كان النـــاس على ثــلاث طبقات : طيب لا يشينــه خبث ، وخبيث لا طيب فيــه ، وآخـرون فيهم خبث وطيب ، كانت دورهم ثلاثـــة : دار الطّيب المحضــ ، ودار الخبث المحـض - وهـاتان الداران لا تفنيـان - ودار لمن معـه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفنى ، وهي دار العصــاة ، فإنه لا يبقى في جهنم مــن عصــاة الموحّدِين أحدٌ ، فإنهم إذا عذبوا بقـدر جزائهم أخرجوا مـن النـار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض »[3] .

وقال ابن كثير : « والجنة والنار موجودتان الآن ، معدتان لأصحابهما كمـا نطقــ بذلك القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة المستمسكين بالعـروة الوثقى ،

---

(١) سورة القصص ، الآية : (٨٨) .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص : (٤٦) .

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص : (٢٥) .

وهي السنة المثلى إلى قيام الساعة ، خلافاً لمن زعم أن الجنة والنار لم يُخلقا بعد ، وإنما يُخلقان يوم القيامة ، وهذا القول صدر ممن لم يطّلع على الأحاديث المتّفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة مما لا يمكن دفعه ولا ردّه ؛ لتواتره واشتهاره »[1] .

وقال السفاريني : « فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً ، كلّ بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع ، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة »[2].

وقد استدل الأئمة على ذلك بالكتاب والسنة ، وقد ذكرنا آنفاً نصوصاً عديدة من القرآن الكريم ، وأما الأدلة من الأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة جداً ، فمنها :

١- روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُنَادِيْ مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوْا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوْتُوْا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوْا فَلاَ تَهْرَمُوْا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوْا فَلاَ تَبْأَسُوْا أَبَداً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) النهاية في الفتن والملاحم : (٣٩٣/٢ - ٣٩٤) .

(٢) لوامع الأنوار البهية : (٢٣٤/٢) .

﴿ وَنُوْدُوْا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُوْرِثْتُمُوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴾[1] »[2] .

٢- روى الإمام البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُنَادِيْ مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ ، فَيَقُوْلُ : هَلْ تَعْرِفُوْنَ هَذَا ؟ فَيَقُوْلُوْنَ : نَعَمْ ، هَذَا المَوْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ . ثُمَّ يُنَادِيْ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ ، فَيَقُوْلُ : هَلْ تَعْرِفُوْنَ هَذَا ؟ فَيَقُوْلُوْنَ : نَعَمْ ، هَذَا المَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ، ثُمَّ يَقُوْلُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ : خُلُوْدٌ فَلاَ مَوْتٌ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُوْدٌ فَلاَ مَوْتٌ »[3] .

٣- روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث طويل ، وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَأَيْتُ فِي مَقَامِيْ هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِيْ أُرِيْدُ أَنْ آخُذَ قِطْفاً مِنَ الجَنَّةِ حِيْنَ رَأَيْتُمُوْنِيْ جَعَلْتُ أُقَدِّمُ ... وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، حِيْنَ رَأَيْتُمُوْنِيْ تَأَخَّرْتُ »[4] .

٤- روى الإمام مسلم أيضاً بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيْلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْراً » ، قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (٤٣) .

(٢) الصحيح في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب في صفات الجنة وأهلها ، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا : (٢١٨٢/٤ ح ٢٨٣٧) .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص : (٥١٢) من هذه الرسالة .

(٤) الصحيح في كتاب الكسوف - باب صلاة الكسوف : (٦١٩/٢ ح ٩٠١ رقم ٣) .

قال : « رَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ »[1] .

٥- عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً قال فيه : باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدلّ على أن الجنة مخلوقة ، ومنها : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ »[2] .

٦- روى الإمام البخاري بسنده أيضاً عن عمران بن حصين[3] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاء ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاء »[4] .

٧- روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَة تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْر ؟ فَقَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً » ، فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ :

---

(١) الصحيح في كتاب الصلاة - باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما : (٣٢٠/١ ح ٤٢٦ رقم ١١٢) .

(٢) الصحيح في كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : (٣٦٦/٦ ح ٣٢٤٠) .

(٣) هو عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، أبو نُجَيد ، كان من علماء الصحابة وفقهائهم ، وكانت الملائكة تسلّم عليه . مات سنة ٥٢ هـ . انظرالطبقات الكبرى لابن سعد : (٢٨٧/٤) ، وسير أعلام النبلاء : (٥٠٨/٢) ، والإصابة : (٢٦/٥) .

(٤) الصحيح في كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : (٣٦٦/٦ ح ٣٢٤١) .

« أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ؟ »[1] .

٨- روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِيْنَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَؤُوْا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] »[3] .

٩- وأصرح مما ذُكر سابقاً ما رواه الإمام أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيْلَ : اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ، ثُمَّ حَفَّهَا بِالمَكَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيْلُ اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيْتُ أَلاّ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . قَالَ : فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ : يَا جِبْرِيْلُ اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنظَر إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا ، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيْل اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ،

(١) الصحيح في كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : (٣٦٦/٦ ح ٣٢٤٢) .

(٢) سورة السجدة ، الآية : (١٧) .

(٣) الصحيح في كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : (٣٦٦/٦ ح ٣٢٤٤) .

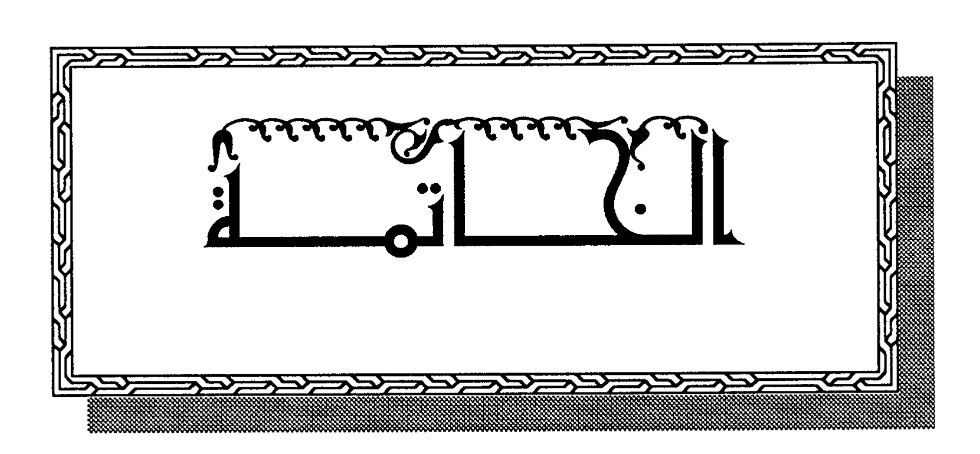
ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيْتُ أَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا »[1] .

١٠- وعقد الإمام البخاري في صحيحه باباً قال فيه : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، وساق في هذا الباب عدة أحاديث منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اِشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَت : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُوْنَ مِنَ الحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُوْنَ مِنْ الزَّمْهَرِيْرِ »[2] .

فيظهر بعد هذا العرض لأقوال أبي السعود في مباحث الجنة والنار ، ومقارنتها بأقوال علماء السلف الصالح وأئمتهم رضي الله عنهم ، أنه موافق لمذهبهم ، ولا يخالف شيئاً من أقوالهم في أن الجنة والنار مخلوقتان ، موجودتان الآن ، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان أبداً ، والله تعالى أعلم .

(١) السنن في كتاب السنة - باب في خلق الجنة والنار : (١٠٨/٥ ح ٤٧٤٤) . وانظر مسند الإمام أحمد : (٣٣٢/٢ - ٣٣٣ ، ٣٥٤) ، وسنن الترمذي في كتاب صفة الجنة - باب ما جاء حُفّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات : (٥٩٨/٤ ح ٢٥٦٠) ، وقال الترمذي عقبه : « هذا حديث حسن صحيح » ، وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٦٩/٦) : « أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي » ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٩٨/٣ ح ٣٩٧٠) : « حسن صحيح » .

(٢) الصحيح في كتاب بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة : (٣٨٠/٦ ح ٣٢٦٠) .


الخاتمة

الخاتمة

أَحْمَد الله تعالى حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه ، مباركاً عليه كما يحبّ ربُّنا ويرضى على ما مَنَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث ، وبيان مسائله عَرْضاً ونقداً .

وقد كان مِن توفيق الله عزّ وجلّ أَنْ توصَّلتُ من خلال دراستي لشخصية أبي السعود العمادي من الناحية العَقَدية وغيرها إلى بعض النتائج ، أُوجزها فيما يأتي :

١- عاش أبو السعود في القرن العاشر الهجري في عهد الدولة العثمانية ، وفي بيتٍ عُرِف أهله بالعِلم والفَضْل ، ودَرَس على يَدِ والده مُحيي الدِّين الذي كان ينتمي إلى إحدى الطرق الصوفية ، وعلى غيره من علماء عصره الذين أَفَاد منهم عِلماً جَمّاً ، إلا أنه لم يَسْلُك طريقَ والده ، ولم يَنْشَغِل بالتَّصوفِ ألبتّه ، بل كان ضدّهم ، وفتاويه فيهم مشهورة .

٢- عُرِفَ أبو السعود بين أَقْرانه ومعاصريه بأنه أبوحنيفة الثاني ، والمُعَلِّم الثاني ، وخطيب المفسرين . وعُيّن لأول مرة مُدرِّساً في مدرسة إسحاق باشا ، ثم انتقل إلى عِدَّة مدارس أخرى ، ثم قُلّد القضاء في بروسَه ، ثم صار قاضياً للعسكر في الرُّوم إيْلِي ، ثم ارتقى إلى منصب المفتي الأكبر وشيخ الإسلام في الدَّولة العثمانيَّة ، وظلَّ في هذا المنصب ثلاثين سنة ، ومنصب شيخ الإسلام من أكبر الشَّخصيات الدِّينيّة والسِّياسيَّة ويأتي ترتيبه بعد الصَّدر الأعظم (رئيس الوزراء) مباشرة، ثم صار مساوياً له في الرُّتْبَة .

٣- خَلَّفَ أبو السّعود عِدَّة مُصَنَّفات في العقيدة والتفسير والفقه والشِّعر ، وكان يكتب بثلاث لغات : العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة ، وتَتَميَّز كتاباته بالأسلوب العالي

الرفيع ، وكان يُكثر من العبارات المسجوعة ، وقد تفوّق على علماء عصره وجنسه في الأدب وعظمة الأسلوب وتناسب البيان والأشعار العربية ، وقد جمعتُ أسماءَ مُصَنَّفَاته من جميع المصادر والمراجع ورتّبْتُها على الحروف الهجائية ، فبلغت ستين مُصَنَّفاً .

٤- كان أبو السعود من العلماء الذين حاربوا الصوفية والشيعة محاربة شديدة ببيانه وسنانه ، وقد أصدر الفتاوى ضدّهم ، وجعل سيف السلطان مسلولاً عليهم . فأفتى بقتل ثلاثة من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود وبرفع التكليف ، فقُتِلُوا . وأفتى بأن فِرَق الشيعة كلّها في النار ، وأن الرافضة أخذوا من كل الفِرَق مقداراً من الشر والفساد بحسب أهوائهم ، فاخترعوا مذهباً كلّه كفر وضلالة ، فهم كفار وقتلهم مباح ، ومن يشكّ في كفرهم يكفر .

٥- وَضَّحتُ في هذه الرسالة أَنَّ العَصْر الذي عاش فيه أبو السعود كان عَصْر جهادٍ وفتوحاتٍ وغزواتٍ ، وقد وَصَلَت الدولة العثمانية في ذلك القرن إلى ذِرْوَة مَجْدِها ، وَأَوْجِ عَظَمتها في ثلاث قارات : آسيا وأوربا وأفريقيا ، وكان سلاطين آل عثمان في أول أمرهم يَعْتَنُون كلَّ الاعتناء بالعلم والعلماء ويحترمونهم ، ويهتمّون بالمصالح المتعلِّقة بأمور الدِّين والدَّولة ، ولم يَفْصِلوا بين الدِّين والسياسة . وقد تحقّقت في العثمانيين السنن الربانية ، ذلك بأنهم نصروا الدِّين وأهله فنصرهم الله ، وأعزُّوا الدِّين وأهله فأعزّهم الله ، ومكّن لهم ولدولتهم في الأرض ، وقَدَّرَ اللّهُ تعالى لها أن تعيش طويلاً ، وتتولّى قِيادة العالم الإسلامي ما يقرب من سِتَّة قرون .

٦- بَيّنَتْ هذه الرسالةُ أَنَّ مَذهب أبي السّعود في أسماءِ اللّهِ تعالى هو إثبات جميع ما وَرَد في النّصوص ، وأن أسماء الله توقيفية فلا يجوز تسمية الله تعالى إلا بما ورد في الشرع ، وهذا أمر وافق فيه أبو السّعود السَّلَف الصَّالح ، إلاّ في إثبات بعض الأسماء التي نَقَل فيها أقوالَ المتكلمين والمتأوِّلين ، فالبصير فسّره بمعنى محتمل ولم يقل : إن لله

تعالى بصراً يليق بجلاله وعظمته ، وكذلك اسم العلي ذكر معانيه وحصر العلو في علو الشـأن والمكانة ولم يثبت العلو الذاتي لله عزّ وجلّ ، واسم الواسع فسّـره على طـريقة المتكلّمين بالإحاطة والرحمـة ، وأمـا اسم الجبـار فقـد نقـل فيـه أقوال المؤوّلين والمثبتين بدون ترجيحٍ في شيءٍ منها .

٧- في باب الصِّفات أَثْبَتَ أبو السّعود ثماني صفات ، هي : الحيـاة والقدرة والعلم والإرادة والسَّمع والبصـــر والكلام والتّكْوين ، وهو بذلك يوافق الماتُريدِيَّة الذين يعتبرون صفة التكوين صفة حقيقية أزلية قائمة بذاتـ الله تعالى ، وهي الصفة التي تتعلّق بإيجاد الممكنات وتؤثر في إخراجها من العدم إلى الوجود . وقد أثبتَ أيضاً صفة المعيَّة على منهـاج أهـل السُّنَّـة والجماعة بالمفهوم السَّلفي ، وخالف فيهـا الماتُريديَّة والمتكلِّمين ، ففسّر آيات المعية العامة بالعلم والإحاطة والاطلاع لا معية الذات ، وفسّر آيات المعية الخـاصة بالولاية الدائمة والنصرة وإجابة الدعوة والمعونة وكمـال الحفظ . وأثبت صفـة الكلام أيضاً وذكر أن الكلام لايحتمل المجاز ؛ لأنه مؤكّد بالمصدر ، وتكليم الله تعالى بغير واسطة منتهى مـراتب الوحي ، وأن سماع كلامـه عزّ وجلّ ليس مـن جنس كلام المحْدَثين . أما بقيَّة الصِّفات فقد تابع فيها الماتُريدِيَّة والمؤوِّلين ، وكان في صفة الاستواء مضطرباً بين الإثبات المقيّد بالاحترازات البدعية وبين التأويل والتفويض . فقد عرض ثمانية من أقوال المفسرين في صفة الاستواء نقلاً عن تفسير البيضاوي، ولم يرجّح شيئاً منها ، ولم يثبت في كلامه الاستواء حقيقة ولم يقل : إن الله مستوٍ على عرشه بذاته حقيقةً استواءً يليق بجلاله وعظمته .

٨- ذكر أبو السعود أَنَّ رؤية اللّهِ تعـالى في الدُّنيـا جائزة في الجملة ، وأنَّهـا ليست مُمْتنعة ولا مُستحِيلَة ، وأَثْبتَ رؤيته تعالى في الآخرة . وبذلك يكون قد وافق السَّلف في إثباتـ الرؤية ، إلا أنَّه خالفهم ووافق المتكلّمين في نفي الجِهَـة فقـال في معنى كون

الوجوه ناظرة إلى ربها : أي تشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة . فالسلف الصالح حينما أثبتوا الرؤية لم ينفوا الجهة .

٩- في باب الإيمان رجّح أبو السعود قول الحنفيَّة ومُرجئة الفقهاء والماتُريدِيَّة بأَنَّ الإيمان هو التَّصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، إلاّ أنه خالفهم في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ، فلم يَقُل بقولهم إنه لايتبعّض ولايتفاضل ولا يوصف بالزيادة أو النقصان ، بل وافق السّلف الصالح في أنّ الإيمان يزيد وينقص . وبذلك يكون منهجه مضطرباً في هذا الباب ، فلم يكن ماتريدياً تماماً في فيما ذهب إليه في مسمى الإيمان ، ولم يكن سلفياً تماماً حين قال بزيادة الإيمان .

١٠- أَثْبَتَ أبو السعود القَضاء والقَدَر على ما يوافق السَّلف الصَّالح ، وهو الذي ذهبت إليه الماتريدية أيضاً ، وفي خَلْقِ الأفعال ومسألة الكَسْبِ رَدَّ على المعتزلة في زعمهم استقلال العبد في أفعاله . وأَسْنَد أبو السعود جميع الحوادث من حيث الخَلْق إلى الله تعالى ، وبيّن أن أفعال العباد الاختيارية هي خَلْقُ الله وكَسْبُ من العباد ، وأن للعبد اختياراً وقُدرة مؤثّرة ، لكن تأثير قدرته في كون الفعل طاعة أو معصية ، فقُدْرَته مؤثّرة في وصف الفعل ، وأما قُدرة الله تعالى فهي قدرة مؤثّرة في أصل الفعل ، وهو خَلْقُه وإيجَادُه ، وهو بهذا يوافق السَّلف الصَّالح في هذه المسألة .

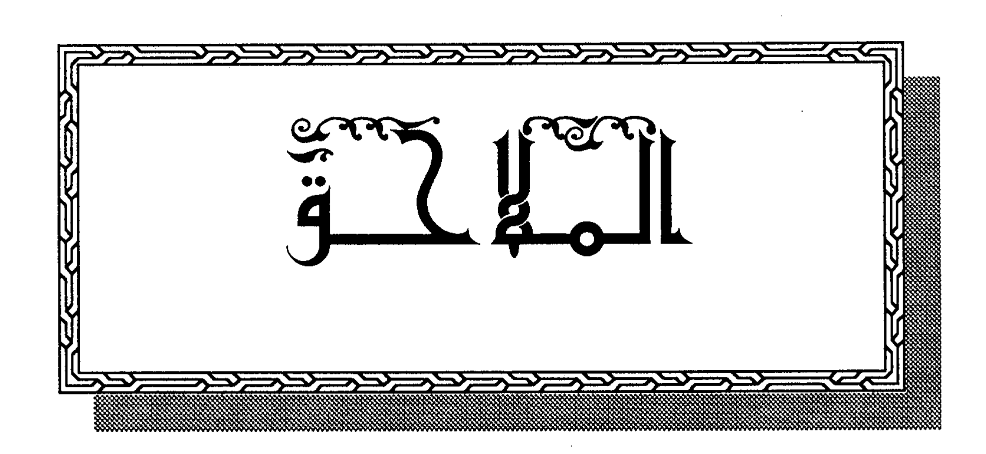
١١- في باب النبوات ، يرى أبو السعود أَنَّ إرسال الرسل نعمة عظمى من نعم الله عزَّ وجلَّ لا يكافئها نعمة قط ، وأَنَّ الإيمان ببعض الرسل والكُفْر ببعضهم الآخر كُفْرٌ بجميعهم ، وبيَّن أَنَّ طاعةَ الرسول طاعةٌ لله ، وفي هذا بيان لتلازم الحقَّين ، وبيَّن الشروط اللازمة للأنبياء والرسل ، وعرَّف بهم ، وبيَّنتُ الرّاجح من تلك التعريفات ، وأن التعريف الجامع المانع للنبي فقط : هو إنسان حرّ ذكر أوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه . والنبي الرسول : هو إنسان حرٌّ ذكر أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه .

١٢- يوافق أبو السعود السَّلَف الصَّالح في كثير من أبواب السمعيات ، إذْ يُثبت أغلب المسائل المتعلقة باليوم الآخر، كالنفخ في الصور، والشفاعة ، والجنة والنار ، وإن كان في بعضها يَعْرِض أقوال المؤولين عَرْضاً فقط بدون ترجيح كما في حقيقة الموت ، وفي بيان الوزن والميزان ، وقد أوّل الروايات التي فيها تمثيل الموت في صورة كبش أملح وذبحه ، وقال : إن الذبح على منهاج التمثيل والتصوير . وقوله هذا صرف لظاهر دلالة الأحاديث الصحيحة وتأويل لمعناها وتدخل للعقل البشري في باب الغيبيات .

١٣- ذكرتُ في أثناء هذه الرسالة أن أبا السعود على الرّغم من أنه اعتمد في تفسيره « إرشاد العقل السليم » على مافي كتاب « الكشّاف » للزمخشري المعتزلي ، و « أنوار التنزيل » للبيضاوي الأشعري ، إلا أنّه لم يتأثّر بما في « الكشاف » من اعتزلات إلا في مسألة مسّ الجنّ ، فقد تأثّر به ومِن قبله البيضاوي في إنكار دخول الجن في أبدان الإنس ، وفي إنكار خبط الشيطان للإنسان وصرعه . وهذه المسألة المهمة العقدية قد دلّ عليها الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع الأمة والواقع المشاهَد والقصص المشهورة الثابتة ، ولا يجوز إنكارها أو تأويلها تقليداً لأهل البدع ومتابعة لهم .

فرحم الله أبا السعود على آثاره وجهاده ، وغفر الله لنا وله على ماظهر من خطأ في نقوله واعتقاده . فلكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة . وكل واحد في كلامه ماهو مقبول ومردود ، إلا صاحب الحوض المورود ﷺ .

هذا وأسأل الله العظيم أن يجمع لنا ولجميع المسلمين بين الصَّواب والثَّواب ، ويرزقنا الحِكْمة وفَصْل الخِطاب ، وأن يُعِيذنا من الخطأ والزّلل ، في القول والاعتقاد والعمل ، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أعمارنا آخرها ، وأن يهدينا لما اختُلِفَ فيه مِن الحقّ بإذنه ، إنه سبحانه يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .


الملاحق

ملاحق الرسالة

- الملحق (١) : الورقة الأولى من مخطوطة الرسالة الإيمانيـة .
- الملحق (٢) : الورقة الأولى من رسالة في القضـاء والقـدر .
- الملحق (٣) : الورقة الأولى من رســالة في حق الفاسـق .
- الملحق (٤) : ورقة من مخطوطة كتاب دعــا نامــــه .
- الملحق (٥) : ورقة من كتاب دعـــا نامــه نسخة أخرى .
- الملحق (٦) : مجموعة القصائد العربية لأبي السعـــود .
- الملحق (٧) : الورقة الأولى من مخطوطة القصيدة الميمية .
- الملحق (٨) : الورقة الأولى من معروضات أبي السعـــود .
- الملحق (٩) : ورقتان من مخطوطة مجمـــوع الفتاوى .
- الملحق (١٠) : ورقتان من منتخبات فتاوى أبي السعـــود .
- الملحق (١١) : مخطوطة فيها فتوى من فتاوى أبي السعــود .
- الملحق (١٢) : مقدمة معروضات أبي السعــود نسخة أخرى .
- الملحق (١٣) - (١٥) : خرائط جغرافية للدولة العثمانية.

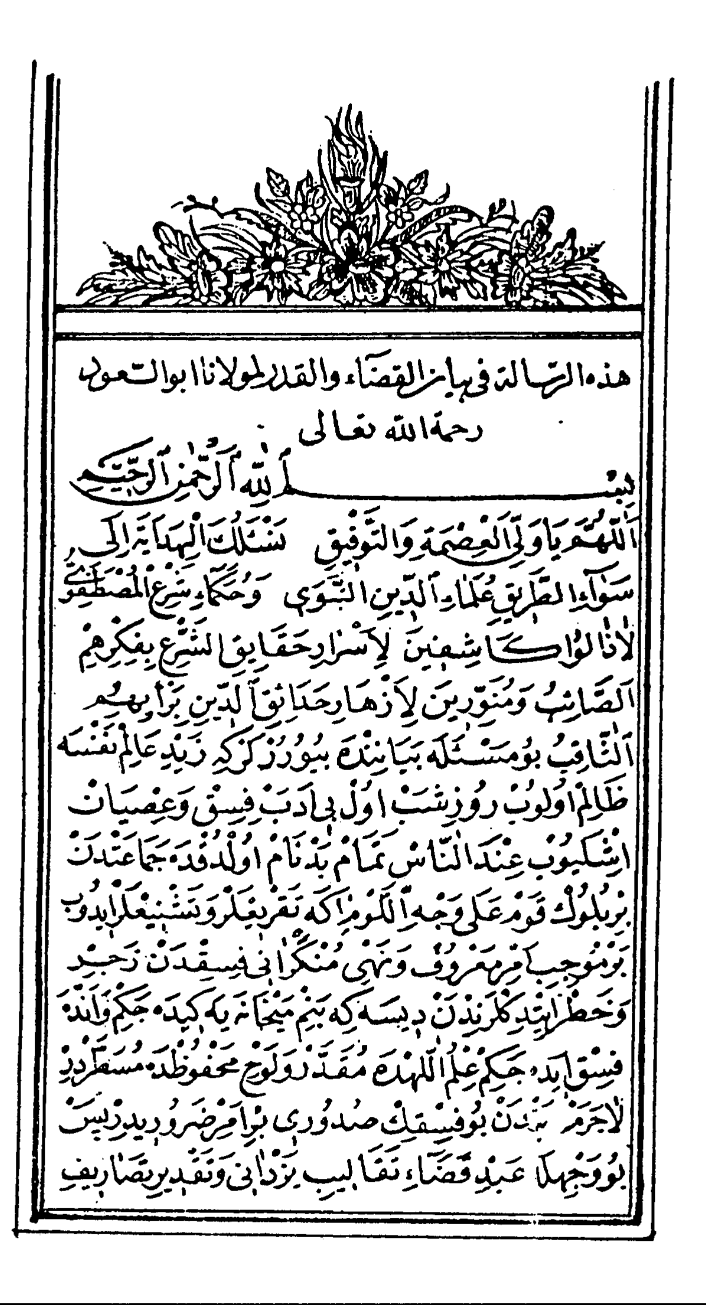
رسالهٔ إيمانية مرحوم ومغفور إلى رحمة الرب الغفور مفتي زمان أبو السعود أفندي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمد سيد المرسلين
وآله وصحبه أجمعين أما بعد بلكل كه بو كتابك اسمى رسالهٔ إيمانيه در بلكل كه رسول الله
صلى الله عليه وسلم دديكه طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال النبي صلى الله عليه وسلم
اطلبوا العلم ولو كان بالصين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل
ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه قال النبي عليه السلام
لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة ايدى اولسه بلكل كه كتب اكرچه اكثر
فرض اولان اول علم ايمان علميدر زيرا فخر السلام علي بن دوي رضي الله عنه اصول
فقهنده دركه بر كمسه الله تعالى صفتلريني بن صورسلر بلميه اول كمسه
مؤمن دكلدر ودخي ذكر محمد رحمه الله جامع الكبيرده شويله صغيره كه انا بابسي اناسي
اهل اسلامدن اولسلر دخي اول صغيره اسلام وصفتين بيان ايمسه حتى بلوغه
يتشسه كنه بيان ايدمسه ارندن بوش اولور ايدى اولسه بلكل كه ايمان دلله اقرار
وكوكل ايله اينانمقدر الله بردر وصفتلر ايله موصوفدر ومحمد عليه السلام
اللهك رسولدر يعني پيغمبريدر الله تعالى دن كلديكي وديني كتوردي شويله
وكتبي اللهك بركلكنه وصفتلرينه ومحمد رسول الله اولوغنه شويله وقتده

(١) الرسالة الإيمانية لأبي السعود

مخطوطة مكتبة خيري عبد الله رقم : (١٨٧) .



هذه الرسالة في بيان القضاء والقدر لمولانا ابو السعود
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا ولي العصمة والتوفيق نسئلك الهداية إلى
سواء الطريق علماء الدين النبوي وحكماء شرع المصطفوي
لا زالوا كاشفين لاسرار حقائق الشرع بفكرهم
الصائب ومنورين لازهار حدائق الدين برأيهم
الثاقب بو مسئله بيانندە بیورەلر کە زید عالم نفسه
ظالم اولوب روزشب اول بی ادب فسق وعصیان
اشلیوب عند الناس تمام بدنام اولمغله جماعتدن
بربلوک قوم علی وجه اللوم اکا تعریفلر وتشنیعلر ایدوب
بو موجب امر معروف ونهی منکر ایدی فسقدن زجر
وخطر اتمکلرندن دیسه که بنم میخانه یه کیدوب جکم ولذة
فسقه ایدوب جکم علم اللهده مقدر ولوح محفوظده مسطردر
لاجرم بندن بو فسقک صدوری بر امر ضروریدر دیسه
بو وجهله عبد قضاء تقابلیب یزدانی وتقدیر تصاریف

(٢) رسالة في القضاء والقدر لأبي السعود

مخطوطة مكتبة إزمرلي رقم : (٩٦٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا الى اتباع الملة الحنفية ، وارشدنا الى سلوك طريقة العلماء الحنفية ، وجعلنى ممن عرف مراتب ادلة الشرع وكيفية دلالتها ، وجبلنى الى العصب لمجتهد كان من قرون شهد النبى عم بخيريتها وعدالتها ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد نبى الامى المبعوث الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا وعلى اله واصحابه وعترته الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اما بعد فان الزمان لما انتهى الى وقت تضعضع فيه اركان رباع العلوم وتقعقع بنيان بقاع المعلوم وخلقت غايتها عن اسامة الى الشبلين حتى جنح فيها ثعالة ابو الحصين وشاع الحدث فى الطعن على مذهب الاقدمين وذاع ادعاء ان ابا حنيفة رح الذى هو اقدم المجتهدين لم يعلم احاديث البخارى وخالف حديث سيد المرسلين وكان ذلك موهنا لوهن مذهبه عند ضعفاء اليقين اشار الى بعض الاخوان الذين هم بمنزلة الانسان للعين والعين للانسان

(٣) رسالة في السؤال والجواب في حق الفاسق لأبي السعود
مخطوطة مكتبة لاله لي رقم : (٣٧٢٠) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد وسپاس وستایش بی قیاس اول سامع الاصوات
ومجیب الدعوات حضرتنه اولسونکم آنک رحمت عمیمه‌سی
عباده عاصی ونعمت جسیمه‌سی مطیع واهل عناده
واصل اولدی نظم ایتدی اومرزجمیتی ... وکدا هرکیم اولوبه فوقق
ایدر لرکا ... سلام بی دینه ایر رنعمتی مؤمن کافر ایدر اندن ...
انسان حمد معروف قدرن تقصیر ایله وصوقدر سبحانک ما
عبدناک حق عبادتک ولسان حمد تعریفندن مقصور ایله معرفة
سبحانک ما عرفناک حق معرفتک ... بو نه کلو وارایسه
حمد وثنا اولمز الاکرم ولا اندن کما لا احصی ثناء علیک انت
کما اثنیت علی نفسک ... صلوات متوالیات اول صدر صفة
انبیا وفخر زمره اصفیا المعروف بالخلق الوسیم الموصوف
بالخلق العظیم افضل خلق الله محمد رسول الله اوزرینه اولسونکم
ودخی آل واصحاب ... واحبابی اوزرینه اولسون ...
بوردی ... هم کالنجوم بایهم اقتدیتم اهتدیتم ...
... محامد الله وقضایا مفوق تحیات رسالت پناه ...
... واصحاب فکر ورشاده روشن ومبرهن در که هر
... سعادت ... وموجب سبب صلاح عالم

(٤) كتاب دعا نامه لأبي السعود

مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم : (٥٥٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد سپاس و ستایش بی قیاس اول سامع الاصوات و مجیب
الدعوات اولسونکم رحمت عمیمه سی جمیع عباده حاصل و نعمت جسیمه سی
مطیع و اهل عناده واصلدر انسان حمد و معرفتده تقصیر موصوفدر
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك یا معبود و لسان تعریفنده
مقصوردر سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لا احصي ثناءً
عليك انت كما اثنيت على نفسك و صلوات متواصلات
و تسلیمات متوالیات اول صدر صفهٔ انبیا و فخر زمرهٔ اصفیا
افضل الخلق محمد رسول الله صلى الله علیه و سلم اوزرینه اولسونکم
و دخی آل و اصحابی و اتباعی و احبابی اوزرینه اولسونکم بقای انتظام
احوال انام وزیر علی پاشا التماسیله و رجاسیله احادیث صحیحه دن
و روایت صریحه دن و اخبار منقوله دن مشایخ متقدمیندن رضوان
الله علیهم اجمعین حضرت رسول علیه السلامدن روایت

(٥) كتاب دعا نامه لأبي السعود

مخطوطة مكتبة إزمرلي رقم : (٧/٧٨٧) .

للمفتي أبي السعود سلمه الله تعالى

مقالة الحق عز قائلها ... مركوزة في النهى دلائلها

قويمة لا ترى لها عوجا ... لا قدس الله من يجادلها

آياتها سطرت على صحف ... العالم ممتازة فواصلها

كأنما ذاك عند معتبر ... رسالة حررت مسائلها

لائحة للحجى دقائقها ... واضحة عنده جلائلها

ليس ذرة وإن صغرت ... إلا وفي ضمنها مخائلها

كأنها علم على جدة ... أوقد في رأسها مشاعلها

لامعة في غياهب الظلم ... بها يؤم السبيل جاهلها

تخبر عن كل نكتة ثبتت ... بغير خلف فأين سائلها

إن رمت تحقيق ما سمعت فسر ... فالأرض بارزة مراحلها

طف بالبلاد التي تبوأها ... صيد الملوك وقف تسائلها

أين الذي خطها ومصرها ... وأين معمارها وعاملها

من شق أنهارها وعمرها ... ومن له حفرت جداولها

أم أين سلطانها وسوقتها ... وأين أسراؤها وخاملها

وأينما حشرت كتائبها ... وحيثما اعتركت مقاولها

قل للمصانع أين صانعها ... وللأفاعيل أين فاعلها

سل المساكن أين ساكنها ... أو المنازل أين نازلها

(٦) مجموعة القصائد العربية لأبي السعود

مخطوطة مكتبة أسعد أفندي رقم : (٣٧١٤) .

(٧) القصيدة الميمية لأبي السعود

مخطوطة مكتبة أسعد أفندي رقم : (١١/٣٧١٣) .

معروضات ابو السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شيء قدير جناب خاقان روي زمين
وخليفه رسول رب العالمين مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم مهد قواعد
الشرع المبين مؤيد قواعد الدين المتين مظهر كلمات الله العليا رافع الاعلام الاسلام
الى الغاية القصوى فاتح بلاد المشارق والمغارب بسيف الله المسلول وجنده الغالب
صاحب المغازي المشهورة فيما بين الانام والوقائع المشهورة على صحائف الايام الذي جهد
في سبيل الله بعزم واهتمام بلحق معظم ممالك الحرب الى دار السلام حامي الامامة
العظمى والسلطنة الباهرة وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر ناشر القوانين
السلطانية عاشر الخواقين العثمانية كاسر الاكاسرة وقاهر القروم سلطان العرب
والعجم والروم حامي الحرمين المحترمين والمقامين المفخمين السلطان ابن السلطان
سلطان سليمان خان بن سليم خان لازالت سلسلة سلطنته الى يوم يبعثون
حضرتلرينك احكام معدلت جارية اقطار ربع مسكونده حضرت الله توفيق رباني ايله ولايت
بودينك فتح وتسخيرندن صكره كافه رعايا وزيردستانه احكام معدلت ظاهيرلري اجرا
اولنمغه تصدي اولندقده امر جليل المقدار بو جمله اولمشدر كه مذكور ولايت مرقومنك
اهالي يرلو يرنده مقرر اولوب اللرنده اولان منقولاتلري وقصبات وقرالري اولان
اولري وباغلري وبغچه لرينك عادتلري كندولرينك ملكلري اولوب هر نيجه ديلرلرسه تصرف
ايده لر بيع وهبه وسائر وجوه تمليكاته قادر اولالر باغلرينك حقوقين
ادا ايده لر فوت اولدقلرنده ورثه لرينه تمليك طريقيله انتقال ايليه اصلا كيمسه دخل
ايليه وزراعت وحراثت ايده كلدكلري ترلالري دخي اللرنده مقرر اولوب لكن ذكر اولنان
اصناف كبي ماللري ملك اولدوغي كبي ترلالري ملك اولميوب بلكه سائر ممالكده اراضي
ميري ديمكله معروف اولان اراضي مملكت قبيلندندر اولوب رقبه ارض بيت المال عائد
اولوب عاريت طريقيله رعايا يه تصرف ايتدرلر اولوب انواع حبوب وسائر مزروعات

(٨) معروضات أبي السعود وقانون الأراضي . الناسخ : أحمد يالواج

مخطوطة مكتبة دينزلي بإستانبول رقم : (١/٤٢٩) .

(٩) مجموع فتاوى أبي السعود - الورقتان الأولى والأخيرة

مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم : (٨٠٠٩) .

(١٠) منتخبات من فتاوى أبي السعود - الورقتان الأولى والأخيرة

مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم : (١٣٠) .

ما جوابكم رضي الله تعالى عنكم ونفعنا الله ببركة علومكم في حق الفعلة التي
تفعل نساء أهل المدينة في المسجد بحين ليلة الجمعة مواجهة رسول الله
صلى الله عليه وسلم متزينات ومتبخرات ورفعن أصواتهن على عادة النسوة
اللاتي يفعلن في العرس متمسكات بشباك القبر الشريف هل تحرم هذه الفعلة وهل يجب
على أهل الحكم منعهن عن هذه الصنيعة وهل يجوز تعيين ليلة الجمعة لهن ومنع
الرجال لأجلهن نطلب الجواب جزاكم الله عنا وعن المسلمين خيراً

الجواب — الله أعلم

حرام وأي حرام يجب حجرهن عن ذلك أشد الحجر وأمرهن بالمبالغة في
مراعاة الأدب ولا يقعن على وجه يوجب حجاب الجليل صلى الله عليه وسلم فإن يشتغلن بما
أمرن به من غير أن يتوهم منهن شيء غير خليق بتوقير جناب العزيز وتعظيم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

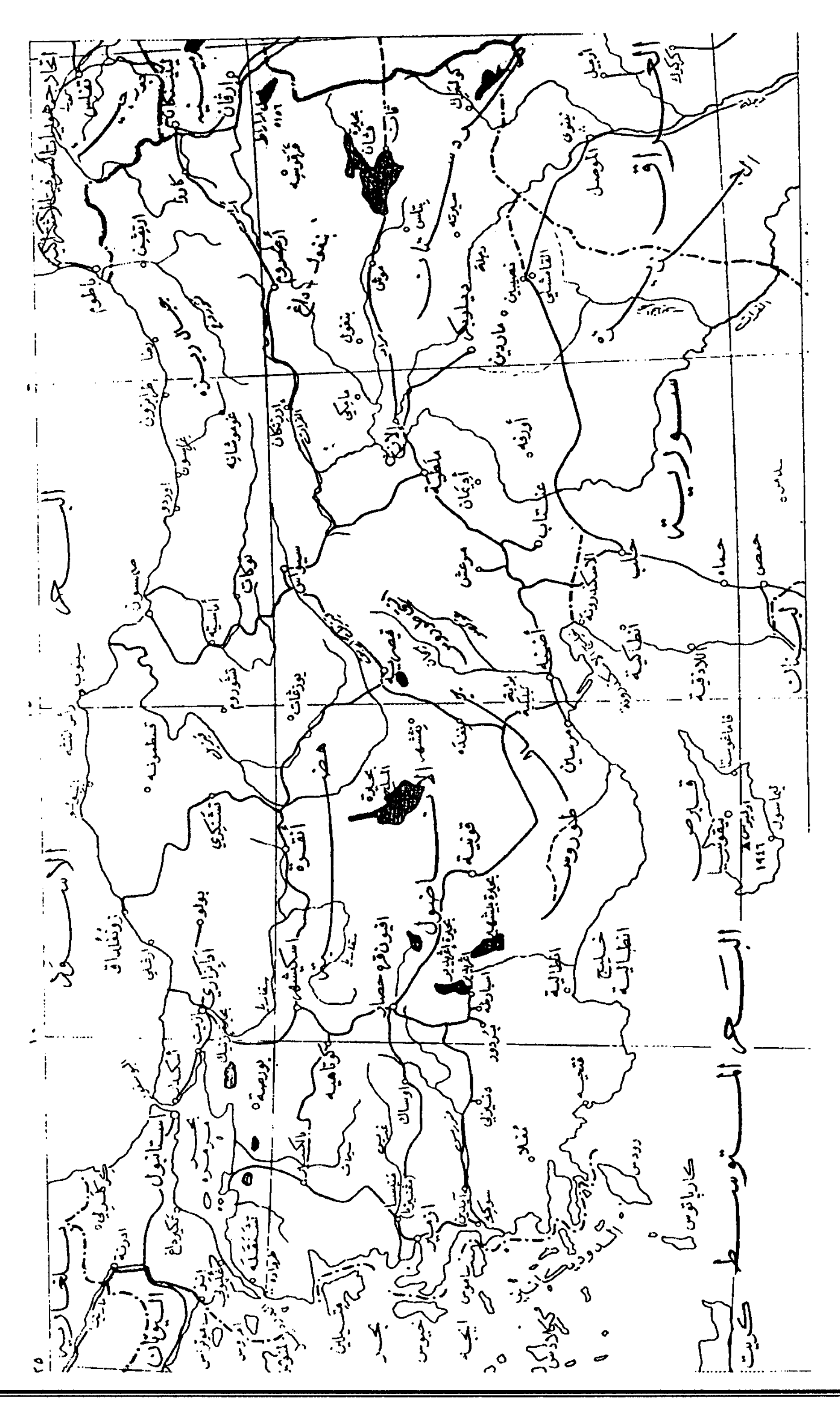
كتبه الفقير أبو السعود

(١١) فتوى من فتاوى أبي السعـــــود . المصدر : سالنامه العلمية ص : (٢٨٢) . نقلاً عن الموسوعة الإسلامية التركية : (٣٦٧/١٠) .

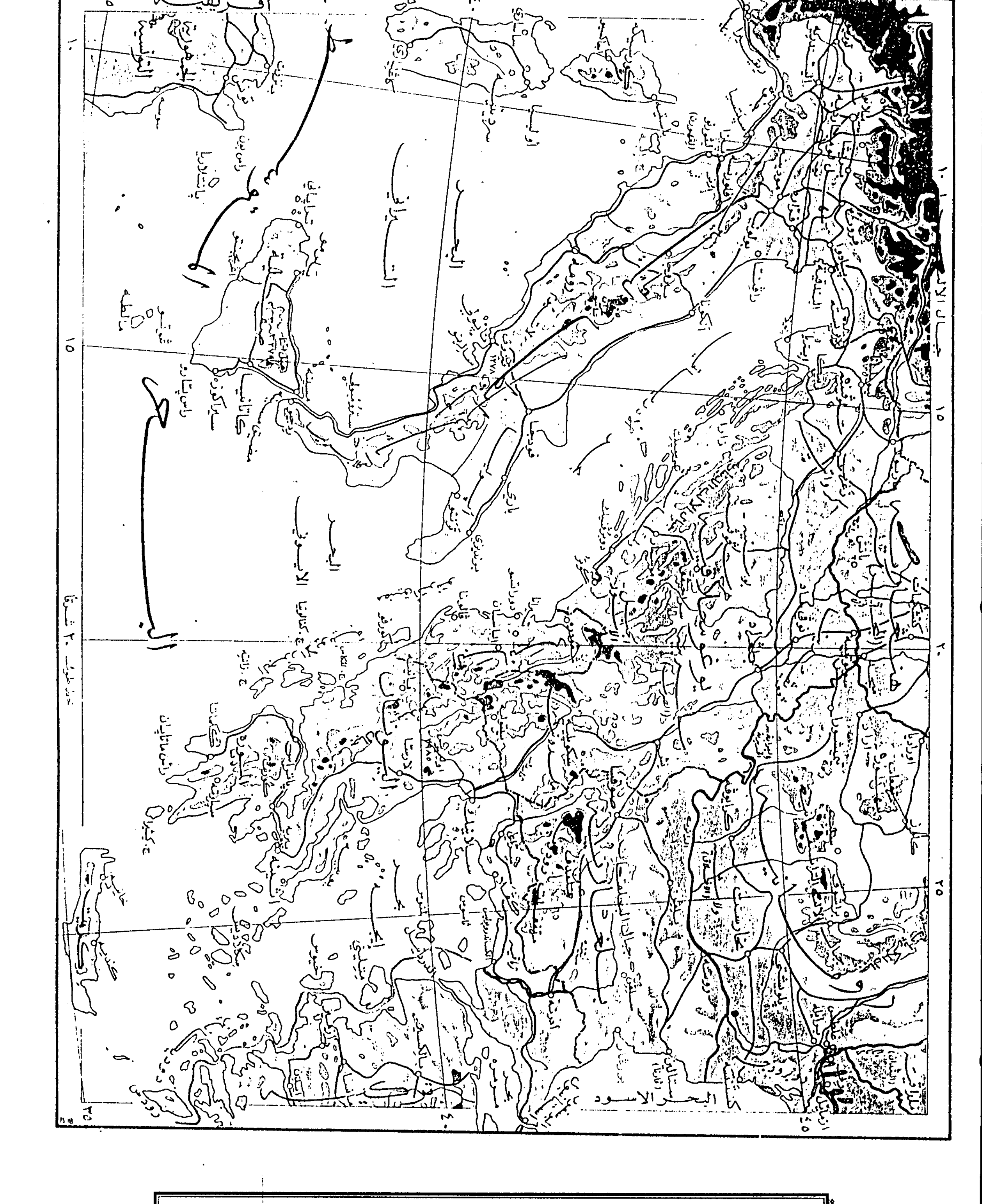
(١٢) مقدمة أبي السعود أفندي التي كتبها في قانون نامه

وبجانبها طُغْرة السلطان سليمان القانوني .

المصدر : بُدين رقم : (٤٤٩) ص : (٢) . نقلاً عن الموسوعة الإسلامية التركية : (١٠/٣٦٩) .

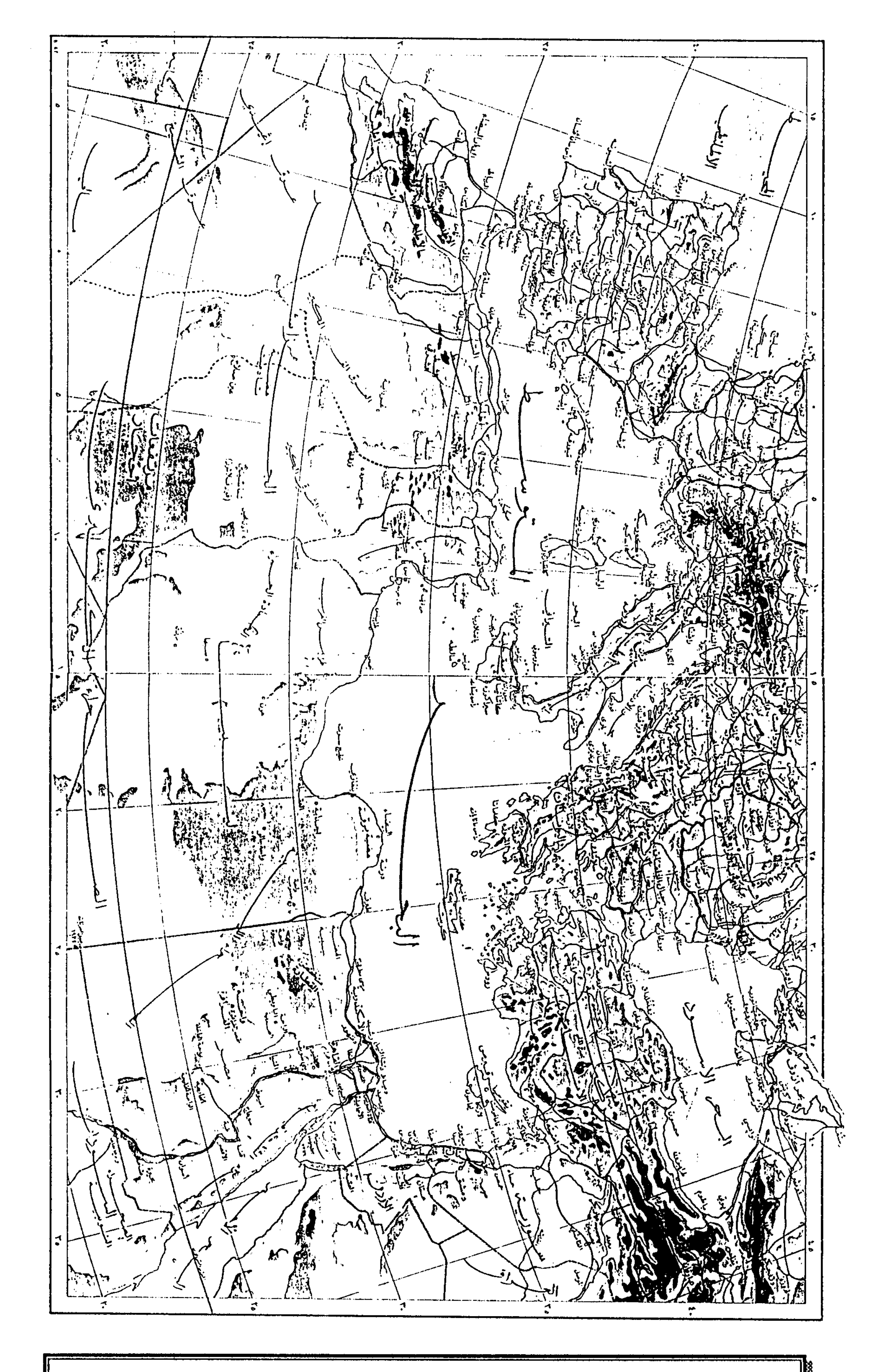


(١٣) خريطة جغرافية لبعض مناطق الدولة العثمانية في تركيا (أ)
نقلاً عن أطلس العالم ص : (٥٢) .

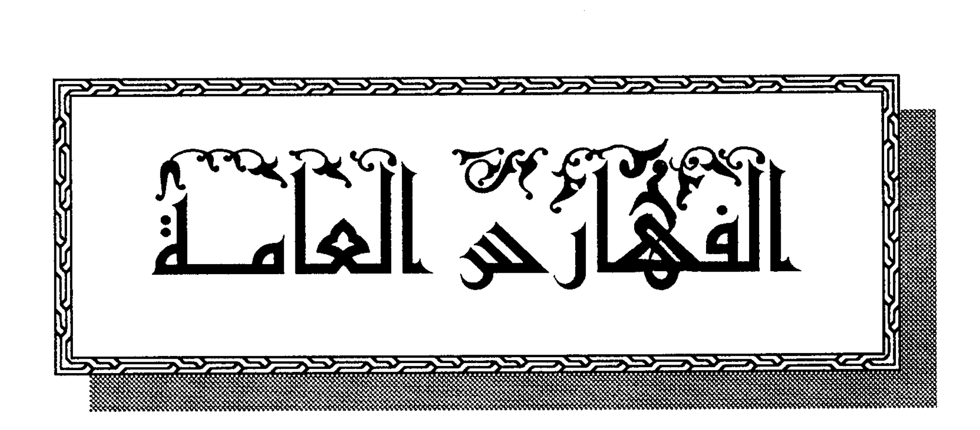


(١٤) خريطة جغرافية لبعض مناطق الدولة العثمانية في أوربا (ب)

نقلاً عن أطلس العالم ص : (٦٣) .



(١٥) خريطة تبين حدود الدولة العثمانية في القارات الثلاث (ج) .
نقلاً عن أطلس العالم ص : (٤٠ ، ٤١) .


الفهارس العامة

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ	الفاتحة	١ - ٢	١٨٨ ، ٢٠٤، ٣٢٦
مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ	الفاتحة	٤	٢١١
غَيْرِ المَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ	الفاتحة	٧	٣٤٠
الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ	البقرة	٣	٣٨٦
وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ	البقرة	٤	٥٢٢
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ آمَنَّا	البقرة	٨	٣٨٧
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ	البقرة	١٣	٢٨٠
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُوْنَ	البقرة	١٤	٢٨٠
اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ	البقرة	١٥	٢٧٨ ، ٢٨٠
يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ	البقرة	١٩	٥١١
وَاللَّهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَ	البقرة	١٩	٢١٠
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ	البقرة	٢٠	١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا	البقرة	٢٤	٥٦٨
وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	البقرة	٢٥	٥٦٩
إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً	البقرة	٢٦	٢٧١ ، ٢٧٣
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ	البقرة	٢٩	٢٤٥ ، ٢٥٨
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا	البقرة	٣٢	١٨٤
إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ	البقرة	٣٧	١٨١ ، ١٨٩
وَاتَّقُوْا يَوْماً لَا تَجْزِيْ نَفْسٌ	البقرة	٤٨	٥٣٤، ٥٣٧، ٥٤٥
فَتُوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ	البقرة	٥٤	١٧٨
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ	البقرة	٦١	٣٤٠

الآيــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ	البقرة	٦٢	٥٢٥
فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ	البقرة	٨١	٥٧٤
وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ	البقرة	٥٦	١٨٠
وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ	البقرة	١٠٥	٣٢٤
وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ	البقرة	١١٥	٣١٣ ، ٣١٦
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ	البقرة	١١٥	٣١٥
إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ	البقرة	١١٥	٣١٤
بَدِيْعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ	البقرة	١١٧	٢٧٥
قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ	البقرة	١٢٤	٤٧٠
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الحَكِيْمُ	البقرة	١٢٩	١٩٤
قُوْلُوْا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَاأُنْزِلَ إِلَيْنَا	البقرة	١٣٦	٣٩٦ ، ٤٥٠
وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيْهَا	البقرة	١٤٨	٣١٦
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ	البقرة	١٥٣	٢٣٣
وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيْمٌ	البقرة	١٥٨	١٩١
وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً	البقرة	١٦٧	٥٧٣
وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	البقرة	١٧٤	٢٦٣
لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوْهَكُمْ	البقرة	١٧٧	٥٢٤
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّي	البقرة	١٨٦	٢٠١ ، ٢٣١
فَإِنِّي قَرِيْبٌ	البقرة	١٨٦	٢٣٨
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ	البقرة	١٩٧	٤٢٢
هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ	البقرة	٢١٠	٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢ ، ٣٦٦
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً	البقرة	٢١٣	٤٤٨

الآيـــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	آل عمران	١٣٣	٥٦٨
وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا	آل عمران	١٣٩	٤٣٢
وَاللَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ	آل عمران	١٥٣	١٨٦
فَزَادَهُمْ إِيْمَاناً	آل عمران	١٧٤	٣٨٨
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوا	آل عمران	١٨١	٢٩٧
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت	آل عمران	١٨٥	٥١٣
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ	آل عمران	١٨٩	١٩٩
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ	آل عمران	١٩٢	٥٣٥
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً	النساء	١	١٩٠
وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيْباً	النساء	٦	١٨٢
إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى	النساء	١٠	٥٥٩
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ	النساء	١٤	٤٥٦
وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ	النساء	٢٢	٥٧٠
الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَاءِ	النساء	٣٤	٤٦٤ ، ٤٨٥
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيْراً	النساء	٣٤	١٩٥
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ	النساء	٣٦	٢٨٤
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوْراً	النساء	٤٣	١٩٥
إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	النساء	٤٨	٥٧٣
إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا	النساء	٥٦	٥٧٤
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ	النساء	٦٤	٤٤٩
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْماً	النساء	٦٥	٥١٨
أَيْنَمَا تَكُوْنُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ	النساء	٧٨	٥١٣
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيْثاً	النساء	٨٧	٢٦٥
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً	النساء	٩٣	٣٤١ ، ٣٥٠

الآيــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا	الأنعام	٥١	٥٤٦
وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ	الأنعام	٥٩	٤١١
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ	الأنعام	٦١	١٩٩
ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُم	الأنعام	٦٢	٢١٢
وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا دِيْنَهُمْ	الأنعام	٧٠	٥٤٦
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِيْنَ	الأنعام	٧٦	٣٦٣ ، ٣٥٧
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ	الأنعام	٨٣ - ٨٦	٤٥٧
أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُم الكِتَابَ	الأنعام	٨٩	٤٨٨
بَدِيْعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ	الأنعام	١٠١	٢٧٦
ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ	الأنعام	١٠٢	٢١٦
لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ	الأنعام	١٠٣	٣٧٦ ، ٣٧٢
وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	الأنعام	١١٣	١٩٦
أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِيْ حَكَماً	الأنعام	١١٤	١٨٣
أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ	الأنعام	١٢٢	٤٥٩
اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	الأنعام	١٢٤	٤٧٦
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعاً	الأنعام	١٢٨	٥٧٢
وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ	الأنعام	١٣٣	١٩٧
وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا	الأنعام	١٥٠	٤٥٣
هَلْ يَنْظُرُوْنَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلاَئِكَةُ	الأنعام	١٥٨	٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ	الأعراف	٨	٥٥٧
إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ	الأعراف	٢٧	٤٧٩
حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ	الأعراف	٤٠	٥٧٠
وَنُوْدُوْا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ	الأعراف	٤٣	٥٧٩
إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ	الأعراف	٥٤	٢٤٣ ، ٢٤٩
إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيْبٌ	الأعراف	٥٦	٣٢٥
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ	الأعراف	٦٢	٤٨٩
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ	الأعراف	٦٨	٤٨٩

الآيـــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ	الأعراف	٧١	٣٤١
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّوْنَ النَّاصِحِيْنَ	الأعراف	٧٩	٤٨٩
أَخْرِجُوْهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ	الأعراف	٨٢	٤٥٤
وَلاَتَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم	الأعراف	٨٥	١١
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِيْنَ	الأعراف	٩٣	٤٨٩
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا	الأعراف	٩٦	١٩
اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً	الأعراف	١٣٨	٣٧١
وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيْلَ الْمُفْسِدِيْنَ	الأعراف	١٤٢	٣٧١
وَلَمَّا جَاءَ مُوْسَى لِمِيْقَاتِنَا	الأعراف	١٤٣	٢٦٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤
قَالَ يَا مُوْسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ	الأعراف	١٤٤	٤٧٧
الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ	الأعراف	١٥٧	٤٣٧
وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	الأعراف	١٨٠	١٧٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٣
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِيْنٌ	الأعراف	١٨٣	٢٠٩
يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الأَنْفَالِ	الأنفال	١	٤٥٥
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ	الأنفال	٢	٣٩٤
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ	الأنفال	٢	٣٨٧
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ	الأنفال	١٣	٤٥٦
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ	الأنفال	٤٠	٢١٣
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ	التوبة	٦	٢٦٤

الآيـــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ	التوبـة	٢٤	٤٥٥
قَاتِلُوا الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ	التوبـة	٢٩	٥٢٥
وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ	التوبـة	٣٦	٢٣٣
لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا	التوبـة	٤٠	٢٣٣
عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ	التوبـة	٤٣	٤٧٢
وَلَـكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ	التوبـة	٤٦	٤٧٣
وَلَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوْكُمْ	التوبـة	٤٧	٤٧٣
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ	التوبـة	٤٩	٥٥٩
وَاللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ	التوبـة	٦٢	٤٥٥
أَلَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللّٰهَ	التوبـة	٦٣	٤٥٦
يَحْذَرُ الْمُنَافِقُوْنَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ	التوبـة	٦٤	٢٧٩
وَمَالَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيْرٍ	التـوبة	٧٤	٢١٣
الَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ الْمُطَّوِّعِيْنَ	التوبـة	٧٩	٢٨١
فَيَسْخَرُوْنَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّٰهُ مِنْهُمْ	التوبـة	٧٩	٢٨٠
وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ	التوبـة	١٠٠	٣٤٢
التَّائِبُوْنَ العَابِدُوْنَ الحَامِدُوْنَ	التوبـة	١١٢	٣٩٨
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ	التوبـة	١٢٤	٣٨٨
أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُوْنَ	التوبـة	١٢٦	٢٧٩

الآيـــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ	يـونس	٣	٢٤٤ ، ٢٤٩
مَا مِنْ شَفِيْعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ	يـونس	٣	٥٣٩ ، ٥٤٧
وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ	يـونس	١٨	٥٤٦ ، ٥٤٨
أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً	يـونس	٢٤	٣٦٢
لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا الْحُسْنَى	يـونس	٢٦	٣٢٣
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ	يـونس	٤٦	١٩٣
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلٌ	يـونس	٤٧	٤٣٧
فَمَا آمَنَ لِمُوْسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ	يـونس	٨٣	٣٩٢
فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ	هـــود	٣٦	٤٢٢
لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ	هـــود	٤٣	٥٣٩
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُوْدِيِّ	هـــود	٤٤	٢٥٩
يَا نُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	هـــود	٤٦ - ٤٧	٣٧٤
وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوْداً	هـــود	٥٠	٤٥٨
إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظ	هـــود	٥٧	١٨٢
وَإِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحاً	هـــود	٦١	٤٥٨
فَاسْتَغْفِرُوْهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ	هـــود	٦١	٣٠٩
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً	هـــود	٨٤	٤٥٨
وَلاَ تَبْخَسُوْا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم	هـــود	٨٥	١١
وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ	هـــود	٩٠	٢١٥
خَالِدِيْنَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ	هـــود	١٠٧	٥٦٩
لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ	يوسـف	٥	٢٨١
وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ	يوسـف	٦	٤٧٧

الآيـــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا	يوســـف	١٧	٣٩٠ ، ٣٩٣
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً	يوســـف	٢٢	٤٨٧
مَعَاذَ اللهِ	يوســـف	٢٣	٤٧١
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا	يوســـف	٢٤	٤٧١
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا	يوســـف	٢٩	٤٦٨
وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ	يوســـف	٣٢	٤٧١
يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ	يوســـف	٣٩	٢٠٢
ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ	يوســـف	٥٢	١٥١
قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا	يوســـف	٥٤	٤٦٧
كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ	يوســـف	٧٦	٢٨١
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ	يوســـف	١٠٠	٤٩٢
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً	يوســـف	١٠٩ - ١١٠	٤٤٣ ، ٤٧٤ ،
			٤٩١ ، ٤٩٣
اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ	الرعـــد	٢	٢٤٤ ، ٢٤٩
اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى	الرعـــد	٨	٤١١
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	الرعـــد	٩	٢٠٣ ، ٢٠٨
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ	الرعـــد	٢٢	٣١٤ ، ٣٢١
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ	الرعـــد	٣٠	١٨٨
قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَر	إبراهيـــم	١١	٤٧٨
فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ	إبراهيـــم	٢٢	٤١٧
وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا	إبراهيـــم	٣٤	٣١١
وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ	إبراهيـــم	٤٢	٢٠٦

الآيـــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ	إبراهيــم	٤٨	٤١١
وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا	الحجــر	١٩	٤١١
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا	الحجــر	٢١	٤١١
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيْت	الحجــر	٢٣	٢١٤
لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ	الحجــر	٤٨	٥٦٩
نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُوْرُ	الحجــر	٤٩	٤٣١
وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ	الحجــر	٥١	٤٣١
وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ	الحجــر	٦٦	٤٠٦
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيْمُ	الحجــر	٨٦	١٨٧
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ	النحــل	٢٦	٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
وَقَالَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا لَوْ شَاءَ	النحــل	٣٥	٤٦٨
فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ	النحــل	٣٥	٤٨٩
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً	النحــل	٣٦	٤٥٣
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً	النحــل	٤٣	٤٦٤ ، ٤٨٥
لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ	النحــل	٤٩	٣٢٩
يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ	النحــل	٥٠	٣٣٣ ، ٣٣٨
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	النحــل	٩٣	٢٩٢
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا	النحــل	١٢٨	٢٣٤
وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ	الإســراء	٢٣	٤٠٦ ، ٤٠٧
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ	الإســراء	٧٩	٥٤٠
أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيْلاً	الإســراء	٩٢	٣٥٤

الآيـــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ	الفرقان	٢٥	٣٦٢
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ	الفرقان	٥٨ - ٥٩	٢٤٩
إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ	الشعراء	١٥	٢٣٤
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا	الشعراء	١٦	٤٣٤ ، ٤٣٥
فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ	الشعراء	٢١	٤٨٨
فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ	الشعراء	٦١ - ٦٢	٣٧٧
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ	الشعراء	٧٨ - ٨٠	٣٤٠
فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ	الشعراء	١٠٠ - ١٠٢	٥٤٦
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٠٥	٤٥١
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ	الشعراء	١٠٧	٤٦٧
كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٢٣	٤٥٢
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ	الشعراء	١٢٥	٤٦٧
كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٤١	٤٥٢
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ	الشعراء	١٤٣	٤٦٧
كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٦٠	٤٥٢
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ	الشعراء	١٦٢	٤٦٧
كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٧٦	٤٥٢

الآيـــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ	الشعراء	١٧٨	٤٦٧
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم	الشعراء	١٨٣	١١
إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ	النمل	٣٠	٥١
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ	النمل	٣٥	٤٣٤
وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً	النمل	٥٠ - ٥١	٢٨١
آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ	النمل	٥٩	٣٣٧
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ	النمل	٨٧	٥٣٢
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى	القصص	١٤	٢٥٨
فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ	القصص	١٥	٤٠٨
إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ	القصص	٢٦	٤٦٧
فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ	القصص	٢٩	٤٠٧
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ	القصص	٣٠	٢٦٥
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ	القصص	٨٨	٣١٣ ، ٣٢١ ، ٥٧٧
فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ	العنكبوت	٢٦	٣٩٢
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ	العنكبوت	٢٧	٤٧٨
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا	العنكبوت	٦٩	٤٦٨
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	العنكبوت	٦٩	٢٣٥
ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ	الروم	٣٨	٣١٤
وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ	الروم	٣٩	٣١٤ ، ٣٢١
مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ	السجدة	٤	٥٣٤ ، ٥٤٦

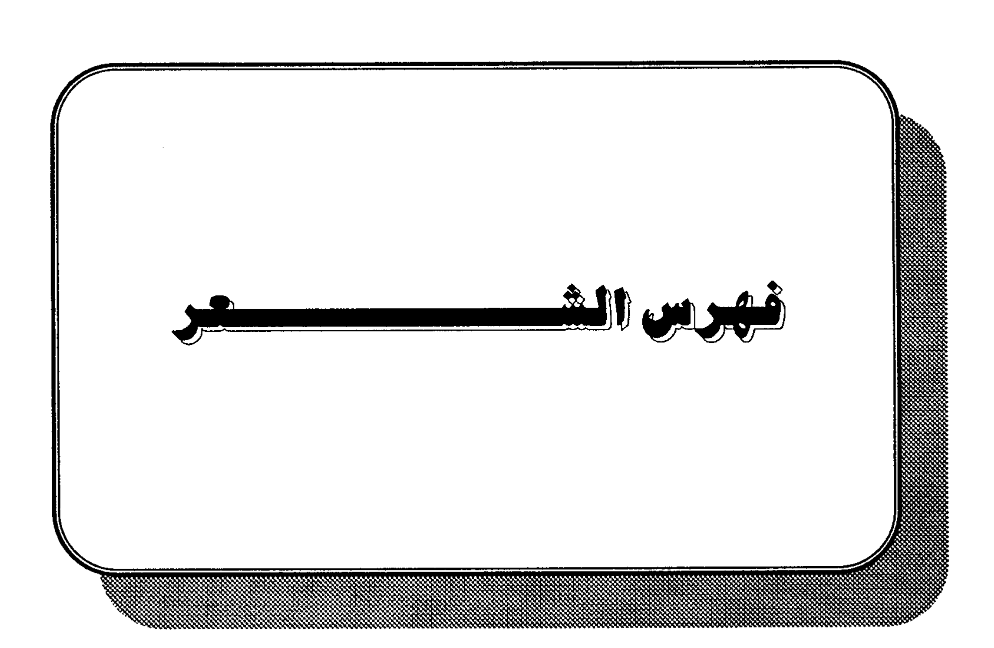
الآيـــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
اللّهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ	السجدة	٤ - ٦	٢٥٠
فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم	السجدة	١٧	٥٨١
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُوْنَ الأَحْزَابَ	الأحزاب	٢٢	٤٠١
وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُوْلَهُ	الأحزاب	٣٦	٤٥٦
مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ	الأحزاب	٣٨	١٥٤
وَاللّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ	الأحزاب	٥٣	٢٧٢ ، ٢٧٣
قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ	سبأ	٢٢ - ٢٣	٥٤٩
قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا	سبأ	٢٦	١٩٨
جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً	فاطر	١	٤٦٤
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ	فاطر	١٠	٣٢٩ ، ٣٣٤
وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ	فاطر	١٣	٥٤٩
أَأَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً	يس	٢٣	٥٤٦
مَا يَنْظُرُوْنَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً	يس	٤٩ - ٥١	٥٣٠
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً	يس	٨٢	٤٠٧
فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوْمِ	الصافات	٨٨ - ٨٩	٤٦٦
وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ	الصافات	٩٦	٤١٧ ، ٤٢٢
وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ	ص	٤٨	٤٥٨
قَالَ يَا إِبْلِيْسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ	ص	٧٥	٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣
لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ	ص	٨٢ - ٨٣	٥٠٣
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي	الزمر	٥	١٩٦
أَمِ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللّهِ شُفَعَاءَ	الزمر	٤٣	٥٤٧
قُلْ لِلّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيْعاً	الزمر	٤٤	٥٣٨ ، ٥٤٨

الآيـــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى	النجم	٣ - ٤	٤٩٠
وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ	النجم	٢٦	٥٤٠ ، ٥٤٨
فَقَالُوْا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ	القمر	٢٤	٤٨٠
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	القمر	٤٩	٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٥
إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ	القمر	٥٤	٢١١
الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ	الرحمن	١	١٨٩
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ	الرحمن	٢٦ - ٢٧	٣٢١
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ	الرحمن	٢٧	٣١٤
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ	الواقعة	٨٥	٢٣٢
هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ	الحديد	٣	١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ٢٥٠
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ	الحديد	٤	٢٣٢
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيْبَةٍ	الحديد	٢٢	٤١٤
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيْمَ	الحديد	٢٦	٤٧٨
مَا يَكُوْنُ مِنْ نَجْوَى	المجادلة	٧	٢٣٢ ، ٢٣٨
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا قَوْماً	المجادلة	١٤	٣٥٠
إِنَّ الَّذِيْنَ يُحَادُّوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ	المجادلة	٢٠	٤٥٦
لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ	المجادلة	٢٢	٣٤٢ - ٣٤٣
فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا	الحشر	٢	٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ	الحشر	٧	٤٨٧
هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ	الحشر	٢٣	١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٨٩

الآيــــــــــــة	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
عَمَّ يَتَسَاءَلُوْنَ	النبأ	١ - ٢	٤٢٩
إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً	النبأ	٢١ - ٢٣	٥٧٤
رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا	النبأ	٣٧	١٨٨
لاَ يَتَكَلَّمُوْنَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ	النبأ	٣٨	٥٣٦ ، ٥٣٩
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ	النازعات	٦ - ٧	٥٣٠
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيْمَ	التكوير	٢٨ - ٢٩	٤١٥ ، ٤٢٠
فَالْيَوْمَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ	المطففين	٣٤	٢٧٩
كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوْبُوْنَ	المطففين	١٥ - ١٧	٣٧٨
وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْوَدُوْدُ	البروج	١٤ - ١٥	٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥
إِنَّهُمْ يَكِيْدُوْنَ كَيْداً	الطارق	١٥ ، ١٦	٢٨١
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى	الأعلى	١	١٧٧ ، ٣٣٣
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً	الفجر	٢٢	٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى	الليل	٥ - ٧	٢٩٠
اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ	العلق	٣	١٧٧
جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ	البينة	٨	٣٤٣
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	الإخلاص	١ ، ٢	١٧٦ ، ١٩٣

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


فهرس الشعر

فهرس الشعر (١)

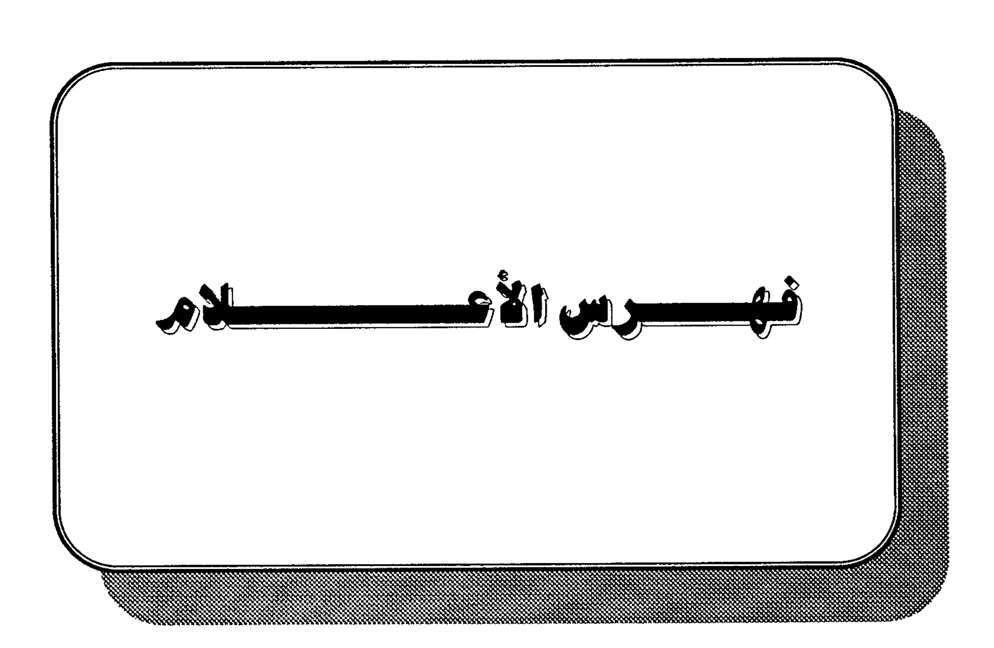
صدر البيت	قافيته	قائله	عدد أبياته	الصفحة
يَا جَامِعَ الأَمْوَالِ	الإرهابِ	مصطفى بن حسن	٢٠	١٦٨ - ١٦٩
مَا عَيْبُكُمْ هَذَا	بالصاحبِ	أبو السعـــود	٢	٩٦ - ٩٧
نَحْنُ أُنَاسٌ	طالبِ	رافضي	٢	٩٦
لاَهُمَّ يَا مُقَلِّبَ	الكروبِ	أبو السعـــود	٢	١٣٢
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ	سبتِ	أبو السعـــود	٢	١٦٧
أَلاَ مَنْ بَنَى	ممردا	أبو السعـــود	٦	١٣١
إِلاَّ لِمِثْلِكَ	الأمدِ	النابغـــة	١	٢٦٠
خُذُوا مِنْ ثَنَائِي	النثرِ	أحمـد العليف	٨	٤٦
أَصَوْتُ صَاعِقَةٍ	ناقور	أبو السعـــود	١٨	٥٤ - ٥٥
يَا بَائِناً	تفتاز	أبو السعـــود	٣	١٢٠ - ١٢١
قَدِ اسْتَوَى بِشْر	مهراق	؟	١	٢٥٧
كَأَنَّ عَيْنِي	سحقاً	زهـــير	١	٥٦٧
يَا خَاتَمَ النُّبَآءِ	هداكا	عباس بن مرداس	٢	٤٣١
أَلاَ خُذْ حِكْمَةً مِنِّي	القالا	أبو السعـــود	٢	١٠٥
دَنَا النَّأْيُ	المنازلا	أبو السعـــود	٢	١٠٤
إِيمَانُنَـــا	بالزلل	السفـــاريني	١	٣٩٥
سُلاَلَةَ الأَكَابِرِ	الفخامِ	أبو السعـــود	٦	١٣٢
أَبَعْدَ سُلَيْمَى	غرامُ	أبو السعـــود	١٣	١٢١ - ١٢٢ ، ١٥٨

(١) ترتيب الأشعار حسب قافية البيت ، ثم حسب ترتيب حروف الهجاء .

صدر البيت	قافيته	قائله	عدد أبياته	الصفحة
أَمْسَى بِجِوَارِ رَبِّهِ	الاسمِ	الانقشاري	٢	١٦٧
سُبْحَانَ	ثاني	؟	٢	١٦٧
طَالَ النَّوَى	الأشجان	أبو السعود	٣٣	١٢٦ - ١٢٩ ، ١٥٧
فَلَهُمْ عِبَارَات	الطعانِ	ابن قيم الجوزية	٤	٢٥٦
وَكَذَلِكَ الجَبَّار	نوعانِ	ابن قيم الجوزية	٥	٢٩٣
وَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ	الرحمن	ابن قيم الجوزية	٤	٢٧٠
وَهُوَ الحَيِيُّ	العصيان	ابن قيم الجوزية	٢	٢٧٣
جَادَ الحِمَى	وهاده	؟	١	٢٩٦
مَقَالَةُ الحَقِّ	دلائلها	أبو السعود	٢٣	١٢٣ - ١٢٥ ، ١٥٧
وَغَدَاةَ رِيحٍ	زمامها	لبيد	١	٢٩٦
لِمَنِ الدُّنَا	جدرانها	أبو السعود	١٧	١٠٦ ، ١٢٩ - ١٣١
أَيُّهَا الفَاضِل	قدوه	سائل	٢	١١٨
أَيُّهَا السَّائِل	قهوه	أبو السعود	١٤	١١٩ - ١٢٠

فهرس الألفاظ اللغوية الغريبة

فهرس الألفاظ اللغوية الغريبة


فهرس الأعلام

فهرس الأعلام[1]

(أ)

---

(١) وهو فهرس شامل للأعلام المترجَم لهم وغير المترجم لهم ، والأرقام التي تحتها خط تمثّل صفحات الترجمة .

(ب)

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الفِرَق والقبائل والجماعات

فهرس الفِرَق والقبائل والجماعات

فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

📖 **تفسير ابن كمال باشا :** أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف ، رقم : (٥٤٨) .

📖 **رسالة في أصل البدعة** : أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة لاله لي إسماعيل بتركيا ، رقم : (٣١/٧٠٦) ، من ورقة (٢٢٨/ب - ٢٢٩/أ).

📖 **رسالة في الإيمان أو الرسالة الإيمانية** : أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة حسن خيري بإستانبول، رقم : (١٨٧) ، وتقع في (٤٥) ورقة .

📖 **رسالة في حق الروافض :** أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة لاله إسماعيل ، رقم : (٣٣/٧٠٦) ، وتقع في ثلاث ورقات .

📖 **رسالة في القضاء والقدر** : أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة الحاج محمود أفندي ، رقم : (٢٠٥٦) .

📖 **فتاوى أبي السعود :** مخطوطة في مكتبة محمود أفندي ، رقم : (١٢١٧) وفيها : (٣١٣) ورقة .

📖 **قصائد أبي السعود - القصائد العربية-** : أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي ، رقم : (٣٧٤١) .

📖 **القصيدة الميمية** : أبو السعود العمادي . مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي بإستانبول ، رقم : (١١/٣٧١٣) ، وتقع في (٤) ورقات .

📖 **منتخبات من فتاوى أبي السعود** :مخطوطة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، رقم : (١٣٠) ضمن مجموع .

ثانياً : الرسائل العلمية

📖 **ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية** : د. سيد حسين باغجوان . (رسالة دكتوراه) . إشراف : د. محمود خفاجي . عام : ١٤١٣هـ/١٤١٤هـ . رقمها في مكتبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى : (١٦٤٢ ، ١٦٤٣) .

📖 **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا** : فائقة محمد حمزة بحري . (رسالة ماجستير) . إشراف : د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي . عام : ١٤٠٩ هـ . رقمها في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى : (١٦٧٧) .

📖 **البيضاوي ومنهجه في التفسير** : يوسف بن أحمد بن علي (رسالة دكتوراه) . إشراف : د. محمد شوقي خضر السيد . عام : ١٤٠٦ هـ . رقمها في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى : (١١٩٠) .

📖 **جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية** : المعتصم بالله إبراهيم شعوط . (رسالة ماجستير) . إشراف : د. حسنين محمد ربيع . عام : ١٣٩٩ هـ . جامعة الملك عبد العزيز . رقمها في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى : (٢٨٥) .

📖 **عبد الله بن كلاب وآراؤه الاعتقادية** : سالم بن وهبي صالجاقلي . (رسالة ماجستير) . إشراف : د. فاروق أحمد الدسوقي . عام : ١٤١٢ هـ . رقمها في مكتبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى : (١٥٢١ ، ١٥٢٢) .

ثالثاً : الكتب المطبوعة

📖 **الإبانة عن أصول الديانة** : الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) . تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط. ط ١. دمشق وبيروت : مكتبة دار البيان ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

📖 **أبجد العلوم** : صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٢٩٦ هـ .

📖 **ابن تيمية السلفي** : د. محمد خليل هراس . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

📖 **ابن حزم وموقفه من الإلهيات** : د. أحمد بن ناصر الحمد . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٦ هـ .

📖 **إثبات صفة العلو** : الإمام موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) . تحقيق : بدر بن عبد الله البدر . ط ١ . الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **اجتماع الجيوش الإسلامية** : الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١ هـ) . تحقيق : د. عواد بن عبد الله المعتق . ط ١ . الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **أحكام الجنائز وبدعها** : الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **إحياء علوم الدين** : الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) . مصر : مطبعة بولاق ، ١٢٩٦ هـ .

📖 **الأدب المفرد** : الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ترقيم وتخريج : محمد فؤاد عبد الباقي . ط ٣ . بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

📖 **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** : إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ) . تعليق : زكريا عميرات . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود** : القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ). ط٤. بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م . ونسخة أخرى ، بيروت : دار الفكر . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية** : برنارد لويس . ترجمة : د. سيد رضوان علي . ط ٢ . الرياض : الدار السعودية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **أسد الغابة في معرفة الصحابة** : أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) . تحقيق : محمد إبراهيم البنا وغيره . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٨٠ م .

📖 **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة** : د. عمر سليمان الأشقر . ط ٢ . الأردن : دار النفائس ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية** : الإمام ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تحقيق : د. صلاح الدين المنجد . ط ٣ . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **الأسماء والصفات** : الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) . تعليق : محمد زاهد الكوثري . بيروت : دار إحياء التراث العربي . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً** : الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) . تحقيق : شريف بن محمد فؤاد هزاع . ط ١ . الجيزة : مكتبة التوعية الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ .

📖 **إشارات المرام من عبارات الإمام** : كمال الدين أحمد بن الحسن البياضي الحنفي (ت ١٠٩٨ هـ) . تحقيق : يوسف عبد الرزاق . ط ١ . استانبول : دار الكتاب الإسلامي ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

📖 **إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين** : عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣ هـ) . تحقيق : د. عبد المجيد دياب . ط ١ . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **الإصابة في تمييز الصحابة** : الإمام أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **أصول الدين** : أبومنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) . ط ٣ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

📖 **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة** : د. محمد بن عبد الرحمن الخميِّس . ط ١ . الرياض : دار الصميعي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

📖 **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** : الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) . بيروت : عالم الكتب ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

📖 **أطلس العالم** : محمد سيد نصر وآخرون . بيروت : مكتبة لبنان .

📖 **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) . تصحيح : كمال يوسف الحوت . ط ١ . بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **الأعلام** : خير الدِّين الزِّرِكْلِي (ت ١٣٩٦ هـ) . ط ٥ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م .

📖 **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام** : الإمام القرطبي . تحقيق : د. أحمد حجازي السقا . القاهرة : دار التراث العربي .

📖 **الاقتصاد في الاعتقاد** : أبوحامد محمد بن محمد الغزالي . (ت ٥٠٥ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي** : أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ). ط١. بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** : إسماعيل باشا البغدادي . (ت ١٣٣٩ هـ) . تصحيح : محمد شرف الدين . بغداد : مكتبة المثنى .

📖 **الإيمان** : الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) . تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . الكويت دار : الأرقم .

📖 **الإيمان** : الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت ٢٣٥ هـ) . تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . الكويت : دار الأرقم .

📖 **الإيمان** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميَّة (ت ٧٢٨ هـ) . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ .

📖 **بِبْليوغرافية أبي السعود** : آتسز التركي . استانبول : ميللي ، ١٩٦٧ م .

📖 **بدائع الفوائد** : الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة .

📖 **البداية والنهاية** : الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) . تحقيق : د. أحمد أبو ملحم وغيره . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **البدر الطالع بمحاسن مَن بَعْد القرن السابع** : الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ). ط١. القاهرة : مطبعة السعادة،١٣٤٨ هـ .

📖 **بغية المرتاد** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : د. موسى بن سليمان الدويش . ط ١ . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) . تحقيق : محمد المصري . ط ١ . الكويت : جمعية إحياء التراث ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **بيان تلبيس الجهمية** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨ هـ) . تصحيح : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم . الناشر : مؤسسة قرطبة .

📖 **البيهقي وموقفه من الإلهيات** : د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي . ط ٣ . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

📖 **تأويلات أهل السنة** : أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت ٣٣٣ هـ) . تحقيق : د. محمد مستفيض الرحمن . بغداد :

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **تاج العروس من جواهر القاموس** : مُحبّ الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . ط ١ . بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٣٠٦ هـ .

📖 **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكلمان . (ت ١٣٧٥ هـ) . الأصل الألماني ليدن : بريل ، ١٩٨٤ م . ونسخة أخرى مترجمة عن : القسم التاسع - العصر العثماني . ترجمة : د. محمود فهمي حجازي و د. عمر صابر عبد الجليل . القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة ، ١٩٩٥ م .

📖 **التاريخ الإسلامي - العهد العثماني -** : محمود شاكر . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **تاريخ بغداد** : الإمام أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **تاريخ الثقات** : أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٦١ هـ) . تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **تاريخ خليفة بن خياط** : خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) . تحقيق : د. أكرم ضياء الدين العمري . ط ٢ . الرياض : دار طَيْبة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **تاريخ الدولة العلية العثمانية** : محمد فريد بك المحامي . تحقيق : د. إحسان حقّي . ط٢. بيروت : دار النفائس ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

📖 **تاريخ الشعوب الإسلامية** : كارل بروكلمان . ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي . ط ٧ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ م .

- **التاريخ الكبير** : الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر** : محيي الدين عبد القادر ابن شيخ بن عبد الله العيدروسي (ت ١٠٣٨ هـ) . تصحيح : محمد رشيد أفندي الصفار . بغداد : المكتبة العربية ، ١٣٥٩ هـ - ١٩٣٤ م .
- **تبصرة الأدلة في أصول الدين** : أبو المعين ميمون بن محمد النسفي (ت ٥٠٨ هـ) . تحقيق : كلود سلامة . دمشق : المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٩٠ م .
- **التبيان في أقسام القرآن** : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تعليق : طه يوسف شاهين . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة** : إبراهيم بك حليم . ط ١ . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** : الحافظ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) . تحقيق : سلطان بن فهد الطبيشي . ط ١ . الرياض : دار ابن خزيمة ، ١٤١٤ هـ .
- **التدمرية** : شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : محمد بن عودة السعوي . ط ١ . [الناشر : بدون] ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة** : الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) . بيروت : دار الفكر .

- **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** : الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤هـ). تحقيق : د. صلاح الدين المنجد . دمشق : المجمع العلمي العربي ١٩٥٩م .
- **الترغيب والترهيب** : الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) . تعليق : مصطفى محمد عمارة . بيروت : دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- **التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة** : الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّي الحنبلي (ت ٣٦٠ هـ) . تحقيق : محمد غياث الجنباز . ط ٢ . الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- **التعريفات** : الإمام علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ م .
- **تعليقات على أنوار التنزيل** : محمد كامل بن مصطفى بن محمود الشاذلي الحنفي . تحقيق : عبدالدائم محمد الباجقني . ط١ . ليبيا : كلية الدعوة الإسلامية ١٤٠١هـ - ١٩٩١م .
- **تغليق التعليق على صحيح البخاري** : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي . ط ١ بيروت وعمّان : المكتب الإسلامي ودار عمار ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- **تفسير آيات أَشكَلت على كثير من العلماء ...** : شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة . ط ١ . الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- **تفسير أسماء الله الحسنى** : أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزّجّاج (ت ٣١١ هـ) . تحقيق : أحمد يوسف الدّقاق . ط ٥ . بيروت ودمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ** : الحافظ عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) . تعليق : أسعد محمد الطيب . ط ١ . مكة : مكتبة نزار الباز ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

📖 **تفسير القرآن العظيم** : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) . تعليق وتصحيح : عبد الوهاب عبد اللطيف ومحمد الصديق . ط ١ . القاهرة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

📖 **التفسير الكبير** : الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **تفسير النسائي** : الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) . تحقيق : سيد بن عباس الحليمي وغيره . ط ١ . القاهرة : مكتبة السنة ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **التفسير والمفسرون** : د. محمد حسين الذهبي . ط٢. القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

📖 **تقريب التهذيب** : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . تحقيق : محمد عوّامة . ط ١ . سوريا : دار الرشيد ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **تلبيس إبليس** : الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) . بيروت : دار الندوة الجديدة .

📖 **التمهيد** : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق : رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي . بغداد : جامعة الحكمة ، ١٩٥٧ م .

📖 **تهافت التهافت** : القاضي أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥ هـ) تحقيق : د. سليمان دنيا . مصر : دار المعارف ، ١٩٦٥ م .

📖 **تهافت الفلاسفة** : الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) . تحقيق : د. سليمان دنيا . ط ٣ . مصر : دار المعارف ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

📖 **تهذيب التهذيب** : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . ط ١ . حيدر آباد الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٦ هـ .

📖 **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزّي (ت ٧٤٢ هـ) . تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف . ط ١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** : الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) . تحقيق : محمد زهري النجار . الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ، ١٤٠٤ هـ .

📖 **الثغر البسّام في ذكر مَن وُلّي قضاء الشام** : شمس الدين ابن طولون (ت٩٥٣هـ). تحقيق : د. صلاح الدين المنجد . دمشق : المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٦م .

📖 **جامع البيان في تأويل القرآن** : الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

📖 **جامع الرسائل (رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية)** : جمع وتحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط ١ . جدة : دار المدني ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

📖 **جامع العلوم والحِكَم** : الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) . بيروت : دار المعرفة .

📖 **الجامع لأحكام القرآن** : الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) . تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني وغيره . ط ٢ . القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

📖 **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده** : د. نبيل عبد الحي رضوان . ط ١ . مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح** : شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة (ت ٧٢٨ هـ) . القاهرة : مطبعة المدني .

📖 **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** : محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي (ت ٧٧٥ هـ) . تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو . ط ٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

📖 **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** : الحافظ أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تعليق : علي السيد صبح المدني . جدة : دار المدني . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** : الإمام قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني (ت ٥٣٥ هـ) . الجزء الأول : تحقيق : د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي . والجزء الثاني : تحقيق : د. محمد بن محمود أبو رحيم . ط ١ . الرياض : دار الراية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه** : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط ٦. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **حركة الإصلاح العثماني ...** : د. محمد عبد اللطيف البحراوي . ط ١ . القاهرة : دار التراث ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

📖 **حياة الأتراك في القرن ١٦ م. في ضوء فتاوى شيخ الإسلام أبي السعود أفندي:** محمد أرطغرل دوز داغ . استانبول : إنديرن ، ١٩٨٣ م .

📖 **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** : المولى محمد الأمين المُحِبّي (ت١١١١هـ). بيروت : دار صادر . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **خَلْقُ أفعال العباد** : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) . تعليق : بدر البدر . الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **دائرة المعارف الإسلامية** : مجموعة من المستشرقين . ترجمة : إبراهيم زكي خورشيد وغيره . القاهرة : دار الشعب .

📖 **درء تعارض العقل والنقل** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : د. محمد رشاد سالم . الناشر : دار الكنوز الأدبية .

📖 **دراسات في الأهواء والفِرق والبدع** : د. ناصر بن عبد الكريم العقل . ط ١ . الرياض : دار اشبيليا ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

📖 **دراسات قرآنية** : الشيخ محمد قطب . ط ٢ . بيروت والقاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

📖 **الدر المنثور في التفسير المأثور** : الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **دعوة الرسل إلى الله تعالى** : الشيخ محمد أحمد العدوي . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم .

📖 **دفتر كتبخانه أسعد أفندي = فهرس مكتبة أسعد أفندي** .

📖 **دفتر كتبخانه عاشر أفندي = فهرس مكتبة عاشر أفندي** .

📖 **دلائل النبوة :** الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) . تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** : د. إسماعيل أحمد ياغي . ط ١ . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

📖 **الدولة العثمانية والغزو الفكري** حتى عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م : د. خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

📖 **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية** : د. محمد كمال الدسوقي . القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٦ م .

📖 **ديوان زهير بن أبي سُلْمى مع شرحه :** زهير بن أبي سُلْمى (ت ١٣ قبل الهجرة) . شرح : حجر عاصي . ط ١ . بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٩٤ م .

📖 **ديوان كعب بن زهير :** كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني رضي الله عنه (ت ٢٦ هـ) . تقديم : د. محمد يوسف نجم . ط ١ . بيروت : دار صادر ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **ديوان النابغة الذبياني** : زياد بن معاوية الذبياني ، أبو أمامة (ت نحو ١٨ ق هـ = ٦٠٤ م) . شرح : كرم البستاني . بيروت : دار صادر .

- **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان** : حسين خوجة بن علي بن سليمان الحنفي (ت ١١٤٥ هـ) . تحقيق : الطاهر المعموري . ليبيا وتونس : الدار العربية للكتاب .
- **الذيل على طبقات الحنابلة** : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) . تصحيح : محمد حامد الفقي . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- **الرد على القائلين بوحدة الوجود** : علي بن سلطان القاري (ت ١٠١٤ هـ) . تحقيق : علي رضا بن عبد الله بن علي رضا . ط ١ . دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- **الرسالة الأكملية فيما يجب لله تعالى من صفات الكمال** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تقديم : أحمد حمدي إمام . جدة : مؤسسة المدني ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- **الرسالة القشيرية** : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت ٤٦٥ هـ) . تحقيق : معروف مصطفى زريق وغيره . ط ٣ دمشق وبيروت : دار الخير ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- **الرسالة المدنية** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة . تحقيق : الوليد بن عبد الرحمن الفريان . ط ١ . الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٨ هـ .
- **الرسل والرسالات** : د. عمر بن سليمان الأشقر . ط ٢ . الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل** : أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ت ١٣٠٤ هـ) . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . ط ٣ .

حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **رؤيـــة إسـلامية لأحـوال العـالم المعـاصر** : الشيخ محمد قطب . ط ١ . الرياض : دار الوطن ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

📖 **رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها** : د. أحمد بن ناصر بن محمد الحَـمَد . ط ١ . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

📖 **روح المعـاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني** : أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

📖 **زاد المسير في علم التفسير** : الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد بن الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ) . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

📖 **زاد المعـاد في هـدي خير العبـاد** : الإمـام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) . تحقيق : شعيب وعبـد القـادر الأرنؤوط . ط ١ . بيروت والكويت : مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

📖 **سلسلة الأحـاديث الصحيحة** : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **سنن ابـن مـاجـــــــه** : الحـافظ أبو عبـد الله محمد بن يزيد القـزويني (ت ٢٧٥ هـ) . تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .

📖 **سنن أبي داود** : الحـافظ أبوداود سليمان بن الأشعث السجستـاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) . تعليق: عزّت عبيد الدعّاس وعادل السيد . ط ١ . بيروت : دار الحديث ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

📖 **سنن الترمذي = الجامع الصحيح** : الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) . شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **سنن الدارمي** : الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **السنن الكبرى** : الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت ٧٤٥ هـ) . ط ١ . الهند : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٦ هـ .

📖 **السنن الكبرى** : الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي (ت ٣٠٣ هـ) . تحقيق : د. عبد الغفار البنداري وسيِّد كسروي . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

📖 **سنن النسائي** : الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي (ت ٣٠٣ هـ) . بشرح السيوطي وحاشية السندي وترقيم عبد الفتاح أبو غدة . ط ٣ . بيروت : دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **سير أعلام النبلاء** : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق : مجموعة من الباحثين . ط ١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **شأن الدعاء** : أبو سليمان حَمْدُ بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) . تحقيق : أحمد يوسف الدقاق . ط ٣ . دمشق وبيروت : دار الثقافة العربية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

📖 **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** : محمد بن محمد بن مخلوف . بيروت : دار الكتاب العربي . نسخة مصورة عن نسخة المطبعة السلفية عام ١٣٤٩ هـ .

📖 **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب** : أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) . القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٣٥١ هـ .

📖 **شرح الأصول الخمسة** : القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥ هـ) . تحقيق : د. عبد الكريم عثمان . ط ١ . القاهرة : مكتبة هبة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

📖 **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** : الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) . تحقيق : د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي . الرياض : دار طيبة .

📖 **شرح حديث النزول** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . ط ٦ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **شرح السنة** : الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره . ط ١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

📖 **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية** : الإمام علي بن علي بن أبي العز الحنفي . تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة . ط ٢ . الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **شرح العقائد النسفية** : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) . مع حاشية الخيالي . مصر : مصطفى البابي الحلبي .

📖 **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية** : د. محمد خليل هراس . الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

📖 **شرح الفقه الأكبر** : الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الحنفي السمرقندي (ت ٣٣٣ هـ) . مراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . قطر : الشؤون الدينية ، ١٣٢١ هـ .

📖 **شرح الفقه الأكبر** : الإمام الملا علي القاري الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) . تحقيق : علي محمد دندل . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **شرح القصيدة النونية = القصيدة النونية مع شرحها** .

📖 **شرح المواقف في علم الكلام - الموقف الخامس في الإلهيات -** : الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) . تحقيق : د. أحمد المهدي . القاهرة : مكتبة الأزهر ، ١٣٩٦ هـ .

📖 **الشريعة** : الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرّي (ت ٣٦٠ هـ) تعليق : محمد حامد الفقي . ط ١ . باكستان : حديث أكادمي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **شرح المقاصد** : مسعود بن عمر بن عبد الله المعروف بسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ) . تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية .

📖 **شعب الإيمان :** الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) . تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) :** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) . تحقيق : د. مفيد قميحة . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

📖 **الشفا بتعريف حقوق المصطفى :** أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل :** الإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

📖 **الشفاعة :** أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي . ط ٢ . الكويت : دار الأرقم ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية :** طاشكُبْري زاده (ت ٩٦٨ هـ) . بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . ويليه : العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لابن بالي .

📖 **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي وأسلوبه في التفسير :** د. عبد الله آيديمير . أنقرم : ياني لاري ، ١٩٦٨ م .

📖 **الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم :** شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : محمد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري . ط ١ . الدمام : رمادي للنشر ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

📖 **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** : إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . ط ٣ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

📖 **صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)** : الإمام محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) . ترتيب : الإمام علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) . تقديم : كمال يوسف الحوت . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **صحيح البخاري - المطبوع مع فتح الباري -** : الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) . ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . ط ١ . القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **صحيح سنن أبي داود باختصار السند** : محمد ناصر الدين الألباني . ط ١ . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

📖 **صحيح سنن الترمذي باختصار السند** : محمد ناصر الدين الألباني . ط ١ . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **صحيح سنن ابن ماجه** : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط ٣ . الرياض : مكتب التربية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **صحيح مسلم** : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) . ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **صحيح مسلم بشرح النووي** : شرح : الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) . مصر : المطبعة المصرية ومكتبتها ، ١٣٤٩ هـ .

📖 **صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة** : علوي بن عبد القادر السقاف . ط ١. الرياض والثقبة : دار الهجرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **الصفدية** : شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط ٢ . [الناشر : بدون] ، ١٤٠٦ هـ .

📖 **صِلات بين العرب والفرس والترك - دراسة تاريخية أدبية -** : د. حسين مجيب المصري . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

📖 **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ط ١ . الرياض : دار العاصمة ، ١٤٠٨ هـ .

📖 **طبقات الأطباء والحكماء** : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جُلْجُل (ت بعد ٣٧٧ هـ) . تحقيق : فؤاد السيد . القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ م .

📖 **طبقات الحنابلة** : أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء (ت ٥٢٦ هـ) . تصحيح : محمد حامد الفقي . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

📖 **طبقات الشافعية** : جمال الدين عبد الرحمن الأسنوي (ت ٧٧٢ هـ) . تحقيق: عبد الله الجبوري . الرياض: دار العلوم، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م .

📖 **طبقات الشافعية الكبرى** : أبو نصر عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١ هـ) تحقيق : د. محمود محمد الطناحي وغيره . ط ١ . مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

📖 **الطبقات الكبرى** : محمد بن سعد بن مَنيع الهاشمي مولاهم (ت ٢٣٠ هـ) . بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة)** : محمد بن سعد بن مَنيع (ت ٢٣٠ هـ) . تحقيق : د. زياد محمد منصور . ط ٢ . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **طبقات المفسرين** : محمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥ هـ) . تحقيق : علي محمد عمر . ط ١ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

📖 **طبقات النحويين واللغويين** : أبو بكر محمد الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف .

📖 **عقائد السلف** : جمع وترتيب : د. علي سامي النشار وعمار الطالبي . الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧١ هـ .

📖 **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم** : ابن لالي بالي المعروف بمَنْق (ت ٩٩٢ هـ) . مطبوع في آخر الشقائق النعمانية .

📖 **العقود الدرية** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق : محمد حامد الفقي . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **العقيدة الإسلامية سفينة النجاة** : د. كمال محمد عيسى . ط ١ . جدة : دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

📖 **العقيدة الحموية = الفتوى الحموية الكبرى .**

📖 **عقيدة السلف وأصحاب الحديث** : الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت ٤٤٩ هـ) . تحقيق : د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع . ط ١ . الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٥ هـ .

📖 **العقيدة نبع التربية** : د. أحمد بن ناصر بن محمد الحمد . ط ١ . مكة المكرمة : مكتبة التراث ، ١٤٠٩ هـ .

📖 **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ** : الشيخ صالح بن مهدي المقبلي اليمني (ت ١١٠٨ هـ) . دمشق : مكتبة دار البيان .

📖 **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥ هـ) . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٤٨ هـ .

📖 **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** : موفّق الدِّين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي المعروف بابن أبي أُصَيْبعة (ت ٦٦٨ هـ) . تحقيق : د. نزار رضا . بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ م .

📖 **غاية النهاية في طبقات القراء** : أبو الخير محمد الجزري (ت ٨٣٣ هـ) تحقيق : برجستراسر. ط ٢ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ .

📖 **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . ط ١ . القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : الإمام محمد ابن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) . تصحيح : أحمد عبد السلام ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **الفتوى الحموية الكبرى** : شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تقديم : محمد عبد الرزاق حمزة . جدة : مؤسسة المدني ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **الفَرق بين الفِرق** : أبومنصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) . تعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد . [الناشر وتاريخ النشر : بدون] .

📖 **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل** : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) . تحقيق : د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة . بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **فهرس مكتبة أسعد أفندي** : طُبع في استانبول بدون تاريخ .

📖 **فهرس مكتبة عاشر أفندي** : طُبع في مطبعة محمود بك ، ١٣٠٦ هـ .

📖 **الفهرست الوصفي المفصل للمخطوطات التركية والفارسية** : د. محمد عبداللطيف هريدي . الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

📖 **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** : أبو الحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي الهندي (ت١٣٠٤هـ) . ط ١ . مصر : مطبعة السعادة ١٣٢٤هـ .

📖 **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** : الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) . تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض . ط ١ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **فوات الوفيات** : محمد شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) . تصحيح : نصر الهوريني . مطبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ .

📖 **في ظلال القرآن** : سيد قطب . ط ٨ . القاهرة وبيروت : دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

📖 **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** : شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

📖 **القاموس المحيط** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) . بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

- **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين** : د. زكريا سليمان بيومي . ط ١ . جدة : عالم المعرفة ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- **القصيدة النونية = الكافية الشافية - مع شرحها** - : الإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . بشرح : د. محمد خليل هراس . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة** : د. عبد الرحمن بن صالح المحمود . ط ٢ . الرياض : دار الوطن ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- **القوة العثمانية بين البر والبحر** : د. نبيل عبد الحي رضوان . مكة : دار الثقافة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- **قيام الدولة العثمانية** : محمد فؤاد كوبريلي . ترجمة : د. أحمد السعيد سليمان . الناشر : دار الكاتب العربي .
- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** : الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق : عزت علي عطية وموسى محمد الموشى . ط ١ . مصر : دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- **كتاب التوحيد** : الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت ٣٣٣ هـ) . تحقيق : د. فتح الله خليف . بيروت : دار المشرق .
- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل** : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) . تحقيق : د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان . ط ١ . الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

📖 **كتاب السنة** : الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **كتاب السنة** : الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠ هـ) . تحقيق : د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني . ط ٢ . الدمام : رمادي للنشر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **كتاب السنة** : الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت ٣١١ هـ) . تحقيق : د. عطية الزهراني . ط ١ . الرياض : دار الراية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

📖 **الكشاف** : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الفكر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

📖 **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** : إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢ هـ) . ط ٢ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٥١ هـ .

📖 **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** : المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب جلبي ، والمعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ). بيروت : دار الفكر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

📖 **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ** : محمود عبد الرؤوف القاسم . ط ٢ . الأردن : المكتبة الإسلامية ، ١٤١٣ هـ .

📖 **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** : نجم الدين الغزي . تحقيق : د. جبريل سليمان جبّور . بيروت : محمد أمين دمج . [تاريخ النشر : بدون].

📖 **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** : الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) . بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **لسان العرب :** أبو الفضل ابن منظور (ت ٧١١ هـ) . تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرين . القاهرة : دار المعارف .

📖 **لسان الميزان :** الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . ط ٢ . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

📖 **اللُّمَع** : أبو نصر عبد الله بن علي السَّراج الطُّوسي (ت ٣٧٨ هـ) . تحقيق : د. عبد الحليم محمود وغيره . مصر وبغداد : دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

📖 **لوامع الأنوار البهية . . . شرح الدرة المضية** : محمد بن أحمد السّفاريني . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **الماتريدية :** أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي . ط ١ . الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

📖 **الماتريدية :** شمس الدين السلفي الأفغاني . ط ١ . الطائف : مكتبة الصديق ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

📖 **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :** الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) . بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر . بيروت : مؤسسة المعارف ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين :** جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان . ط ١ . الرياض : دار الوطن ، ١٤١٠ هـ .

📖 **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** : جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد . نشر : الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين** : جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان . ط ٢ . الرياض : دار الثريا ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز . تجميع : د. محمد بن سعد الشويعر . ط ٢ . [الناشر : بدون] ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية** : الناشر : محمد علي صبيح بالقاهرة عام : ١٣٨٥ هـ .

📖 **مجموعة الرسائل المنيرية لشيخ الإسلام ابن تيمية** : نشر وتعليق : إدارة الطباعة المنيرية لمحمد منير الدمشقي . تصوير : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٤٣ هـ .

📖 **محاسن التأويل** : الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) . ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . ط ٢ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

📖 **محاضرات في النصرانية** : الشيخ محمد أبو زهرة . الكويت : دار الكتاب الحديث .

📖 **مختار الصحاح** : الشيخ زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦ هـ) . ترتيب : محمود خاطر (ت ١٣٦٧ هـ) . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **المختـار المصون من أعلام القرون :** محمد بن حسن بن عقيل موسى . ط ١ . جدة : دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :** الصواعق : لابن قيم الجوزية ، والمختصر : لمحمد الموصلي . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **مختصر العلو للعلي الغفار :** العلو : للحافظ الذهبي ، والمختصَر : لمحمد ناصر الدين الألباني . ط ١ . دمشق وبيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م .

📖 **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** : الإمام أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠ هـ) . تخريج : زكريا عميرات . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **مذاهب فكرية معاصرة** : الشيخ محمد قطب . ط ١ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

📖 **مسائل الإمام أحمد :** الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) . تقديم : محمد رشيد رضا . بيروت : دار المعرفة .

📖 **المستدرك على الصحيحين :** الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) . بيروت : دار المعرفة .

📖 **مسند الإمام أحمد بن حنبل** : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) . وبهامشه كنز العمال . ط ٥ . بيروت ودمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

وطبعة أخرى بشرح الشيخ أحمد محمد شاكر وترقيمه . ط ٢ . مصر : دار المعارف ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

🕮 **مسند أبي داود الطيالسي** : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) . تصحيح : أبي الحسن . بيروت : دار المعرفة .

🕮 **مسند أبي عوانة** : أبو عوانه يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني (ت ٣١٦ هـ) . بيروت : دار المعرفة .

🕮 **مسند أبي يعلى الموصلي** : الإمام أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) . تحقيق : إرشاد الحق الأثري . ط ١ . بيروت وجدة : مؤسسة علوم القرآن ودار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

🕮 **مشاهير علماء الأمصار** : محمد بن حبّان البُسْتِي (ت ٣٥٤ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية .

🕮 **مشكاة المصابيح** : الإمام ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت بعد ٧٣٧ هـ) . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

🕮 **مشكل الحديث** : الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك (ت ٤٠٦ هـ) . تعليق : د. محمد عبد المعيد خان . ط ٢ . الهند : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٠ م .

🕮 **مصائب الإنسان من مكائد الشيطان** : الإمام تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن مفلح المقدسي (ت ٨٠٣ هـ) . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

🕮 **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية** : صادق سليم صادق . ط ١ . الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

🕮 **المعتزلة** : د. زهدي حسن جار الله . يافا : النادي العربي ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

📖 **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها** : د. عوّاد بن عبد الله المعتق . ط ١ . الرياض : دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ .

📖 **معجم الأدباء** : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) . تحقيق : د. إحسان عباس . ط ١ . بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣ م .

📖 **معجم البلدان** : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

📖 **المعجم الكبير** : الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . ط ٢ . بغداد : الدار العربية .

📖 **معجم المؤلفين** : عمر رضا كحالة . بيروت : دار إحياء التراث العربي . [تاريخ النشر : بدون] .

📖 **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة** : يوسف إلياس سركيس . مصر : مطبعة سركيس،١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

📖 **معجم المفسرين** : عادل نويهض . ط ١ . الناشر : مؤسسة نويهض الثقافية،١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

📖 **معنى لا إله إلا الله** : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) . تحقيق : علي محيي الدين علي القره داغي . ط ٣ . بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** : طاشكبري زاده (ت ٩٦٨ هـ) . تحقيق : كامل بكري وغيره . القاهرة : دار الكتب الحديثة .

📖 **المفردات في غريب القرآن** : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) . تحقيق : محمد سيد كيلاني . القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

📖 **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات** : د. محمد بن عبدالرحمن المغراوي . ط ١ . الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) . تصحيح : هلموت ريتر . ط ٣ . فيسبادن بألمانيا : فرانز شتاينر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

📖 **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد** : الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) . تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . ط ١ . الرياض : مكتبة الرشد، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **المِلَل والنِّحَل** : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) . تقديم : د. عبد اللطيف محمد العبد . ط ١ . مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ م .

📖 **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** : الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تعليق : أحمد عبد الشافي . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

📖 **مناهل العرفان في علوم القرآن** : محمد عبد العظيم الزرقاني . ط ٣ . بيروت : دار الفكر .

📖 **المنقذ من الضلال** : الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) . تصحيح : أحمد غلوش . ط ٢ . مصر : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

📖 **منهاج السنة النبوية** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط ١ . الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

📖 **منهج الإمام الشوكاني في العقيدة** : د. عبد الله نومسوك . ط ٢ . الرياض : مكتبة دار القلم ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **منهج الماتريدية في العقيدة** : د. محمد بن عبد الرحمن الخميس . ط ١ . الرياض : دار الوطن ، ١٤١٣ هـ .

📖 **المواقف في علم الكلام** : القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) . بيروت : عالم الكتب .

📖 **الموسوعة الإسلامية الميسرة** : هـ . ا . ر. جب ، و ج . هـ . كالمرز . ترجمة : د. راشد البراوي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥ م .

📖 **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** : الندوة العالمية للشباب الإسلامي . ط ٢ . الرياض : الندوة العالمية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

📖 **الموضوعات** : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . المدينة المنورة : المكتبة السلفية .

📖 **موقف ابن تيمية من الأشاعرة** : د. عبد الرحمن بن صالح المحمود . ط ١ . الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

📖 **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين** : شيخ الإسلام في زمن الدولة العثمانية مصطفى صبري (ت ١٣٧٣ هـ) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

📖 **موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة** : د. سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن . ط ١ . الرياض : دار العاصمة ،

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

📖 **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق : علي محمد البجاوي . بيروت : دار المعرفة .

📖 **النبوات** : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

📖 **نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن** : د. حسن ضياء الدين عتر . ط ١ . بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

📖 **النبي والرسول** : د. أحمد بن ناصر بن محمد الحمد . ط ١ . الزلفي : مكتبة القدس ، ١٤١٤ هـ .

📖 **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** : جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكي الحنفي (ت ٨٧٤ هـ) . القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي . مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية .

📖 **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** : د. علي سامي النشار . ط ٧ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ م .

📖 **نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان** : أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (ت ١٠٨٧ هـ) . تحقيق : د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي . ط ١ . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **نقض تأسيس الجهمية = بيان تلبيس الجهمية** .

📖 **النهاية في غريب الحديث والأثر** : مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) . تحقيق : محمود محمد الطناحي وغيره . بيروت : المكتبة العلمية .

📖 **النهاية في الفتن والملاحم** : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) . تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز . القاهرة : دار التراث الإسلامي .

📖 **هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** : إسماعيل باشا البغدادي . بيروت : دار إحياء التراث العربي . [مصورة عن مطبوعة وكالة المعارف الجليلة بإستانبول سنة : ١٩٥٥م] .

📖 **الوابل الصيب من الكلم الطيب** : الحافظ أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) . تصحيح : إبراهيم العجوز . بيروت : دار الكتب العلمية .

📖 **واقعنا المعاصر** : الشيخ محمد قطب . ط ١ . جدة : مؤسسة المدينة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 **وسطية أهل السنة بين الفرق** : د. محمد با كريم محمد با عبد الله . ط ١ . الرياض وجدة : دار الراية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

📖 **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : أبو العباس أحمد بن محمد بن خَلِّكَان (ت ٦٨١ هـ) . تحقيق : د. إحسان عباس . بيروت : دار صادر.

📖 **اليوم الآخر (القيامة الكبرى)** : د. عمر سليمان الأشقر . ط ١ . الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٦ م .

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس الموضوعات

الباب الأول

(أبو السعود : عصره وحياته)

الباب الثاني

(آراؤه الاعتقـــــادية)


فهرس الفهارس

فهرس الفهارس